السبت 14 أيار 2022
العدد 4628 السنة السادسة عشرة
Samedi 14 Mai 2022 nº 4628 16ème année

28 صفحة
5000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

أحمد شاملو...
«هواء نقي» في رئة القصيدة الفارسية الحديثة

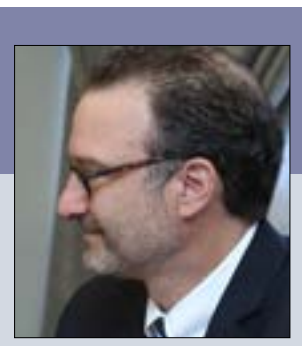

اعترافات ديفيد شينكر

حلفاؤنا المرشحون نرجسيون وشخصانيون سيأكلون بعضهم حاولنا مع رجال أعمال وإعلاميين شيعة مواجهة حزب الله

(هيثم الموسوي)

البلاد

من النهر إلى البحر
النكبة الدائمة والشعب الفدائي
[16]

وجوه
فيصل حوراني... العائد من «دروب المنفى»
[17]

شتات
مقابر المخيّمات تضيق باللاجئين
[18]

انتخابات 2022

ديفيد شينكر (بالصوت والصورة) يقيّم المرشّحين من حلفائه:

نرجسيّون وشخصانيّون سيأكلون بعضهم بعضاً!

قبل ساعات من انطلاق الانتخابات النيابية، تتكشّف اعترافات بالصوت والصورة عن الدور الأميركي في تسريع حصول الانهيار المالي في لبنان، والأخطر، حجم التعويل الذي كان لدى واشنطن، في مرحلة ما، على مجموعات 17 تشرين، سعياً إلى إضعاف حزب الله وحلفائه. هذه الاعترافات لم يكشف عنها مقرّبون من دوروثي شيا ولا وسائل إعلاميّة نقلاً عن مصدر أميركي، بل أتت على لسان ديفيد شينكر، الأب الروحي لمشروع الاستثمار الأميركي في مجموعات «الثورة» والتغيير بعد 17 تشرين الأول 2019

علي مراد

عقد أمس الجمعة «معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى» ندوة عبر تطبيق «Zoom» حملت عنوان «ديناميات حزب الله والشيعة وانتخابات لبنان: التحدّيات والفرص والتداعيات السياسية». أدار الندوة مدير المعهد روبرت ساتلوف، وشارك فيها كل من حنين غدار الباحثة في المعهد، وبشار حيدر أستاذ الفلسفة في الجامعة الأميركية في بيروت، إلى جانب ديفيد شينكر، الباحث العائد إلى «معهد واشنطن» منذ كانون الثاني 2021، بعدما شغل لعامين منصب مساعد وزير الخارجية الأميركي لشؤون الشرق الأدنى. تناوب المشاركون على الحديث في الندوة التي استمرّت لحوالي ساعة و20 دقيقة، قدّم خلالها كل من حيدر وغدار رؤيتيهما عن بيئة حزب الله وما ستحمله الانتخابات من نتائج متوقّعة. مداخلتا الاثنين لم تخلوا من التدلّل للرجل الأبيض (الصهيوني)، الذي اضطرّ في نهاية الندوة إلى أن يُسكتَهما ليتحدّث الأشكنازي شينكر.

في مداخلته، بدأ شينكر باستعراض أداء إدارات الرئيس جورج بوش الابن ثم باراك أوباما، وصولاً إلى دونالد ترامب، معتبراً أنّ الأول كان الأكثر استعداداً لـ«استغلال الفرص الحيوية ضد حزب الله» عندما انحازت إدارته لأجندة فريق 14 آذار بعد اغتيال رفيق الحريري في عام 2005. لكن شينكر اتّهم إدارة أوباما بأنّها «ألغت برامج في لبنان كانت قائمة مع شخصيات شيعية مناهضة لحزب الله، الأمر الذي جعل الضغوط على حزب الله تتلاشى»، وقال إن أوباما فعل ذلك بحجة التوجّه حينها للتوصل إلى الاتفاق النووي مع إيران. ثم ادّعى الدبلوماسي الأميركي السابق بأنّ إدارة ترامب «كانت تملك استراتيجية متعدّدة الأوجه»، متحدّثاً عن «أنشطة عديدة». أوّلاً والأهم، بحسب شينكر، محاولة «منع حصول المنظّمة (حزب الله) على المداخيل المالية».

في هذه النقطة بالتحديد، يكشف شينكر، للمرة الأولى، وبصوته مباشرة، عن دور إدارة ترامب في تسريع حصول الانهيار المالي في لبنان عندما قال بالحرف (ضاحكاً بطريقة شامتة): «فرضنا عقوبات على مؤسسات حزب الله المالية، كبنك الجمّال. وكنّا حريصين على مزامنة ذلك مباشرةً بعد قيام وكالة موديز للتصنيف الائتماني بخفض تصنيف لبنان، وفي اليوم التالي أعلنّا فرض العقوبات على بنك الجمّال، لكن كنّا نحن من يقف خلف قرار خفض تصنيف لبنان الائتماني».

اعترافات شينكر طالت الكشف عن بعض تفاصيل مشروع الاستثمار في «المجتمع المدني»، فهو أقرّ بأنّ واشنطن كانت تبحث عن «الفرص السياسية»، وهي رأت أنّ «هناك فرصة لهزيمة حزب الله كما في الانتخابات البلدية (2016)». وهنا استشهد ديفيد، الدبلوماسي الأميركي السابق، بحالة «بيروت مدينتي» خلال الانتخابات البلدية، وقال إنّهم أرادوا «البناء على هذه التجربة». لكن شينكر ادّعى بأنّ التوقّعات كانت متواضعة منذ البداية، وأضاف: «كنّا نؤكّد أنّ هذه المنظّمة (حزب الله) ليست غير قابلة للهزيمة».

> **لست متفائلاً بنتائج الانتخابات وادعو الإدارة إلى عدم الرهان على تغيير في لبنان**

وعن الاستثمار بخلق «قوى بديلة»، قال شينكر «زرعنا رجال أعمال شيعة، وخلال تولّي منصبي كمساعد لوزير الخارجية لشؤون الشرق الأدنى سافرت إلى لبنان مرتين أو ثلاث مرات، وفي كل المناسبات عقدتُ لقاء علانية على العشاء مع رجال أعمال شيعة معارضين لحزب الله»، ومدح شينكر «الصحافيين الشيعة المعارضين لحزب الله»، مسمّياً موقع «جنوبية»، الذي قال إنّه كان يلتقيهم باستمرار ويعوّل عليهم. يكشف شينكر هنا أن «الفكرة كانت تتلخّص في الترويج لفرص اقتصادية للمناطق الشيعية، للمساعدة على إضعاف اعتماد هذه المناطق على حزب الله». ووصف شينكر العمل بأنّه كان «بجهد» لتحقيق الأهداف، معتبراً أنّ «بعض التقدّم أُحرز كبداية، ولكن لأسباب عديدة ومنها انفجار المرفأ لم تُستكمَل الجهود».

يُذكّر أنّ أهم عشاء كان قد جمع شينكر برجال الأعمال والشخصيات الشيعية المعارضة حصل في 10 أيلول 2019 في منزل «م. ن.»، قبل خمسة أسابيع من اندلاع تظاهرات 17 تشرين. وبحسب شينكر، فإن كل هذه اللقاءات والمآدب مع رجال الأعمال الشيعة كانت تجري بترتيب من لقمان سليم، الذي كشف بأنّ «الخارجية الأميركية أرسلت له قبل 8 سنوات تحذيراً بأنّه معرّض للاغتيال».

وعن توقّعاته للنتائج التي ستفرزها الانتخابات النيابية، قال شينكر إنّه «على الرغم من الاحتجاجات التي حصلت عام 2019، والسخط الشعبي المتّسع في لبنان، لا أرى أنّ الانتخابات ستغيّر الوضع بشكل دراماتيكي». وعرّج الدبلوماسي الأميركي السابق على مسألة الهجوم على التيار الوطني الحر و«تصويره على أنّه فاسد» من باب علاقته بحزب الله، معتبراً أنّه ليس من الواضح إن كان هذا الأسلوب سيؤثّر على خيارات القاعدة التصويتية المسيحية كما يراد لها.

وكان لافتاً ما قاله في هذا السياق، إذ أبدى أسفه لأنّ «المعارضة منقسمة بشكل مريع، وتمتلئ بالقادة النرجسيين والشخصانيين الذين هم مهتمون أكثر بأن يتزعّموا أحزابهم، على أن يتوحّدوا للإطاحة بالنخبة الفاسدة». واشتكى شينكر من كثرة عدد المرشّحين المعارضين عندما قال متعجّباً: «هناك حوالي 100 حزب يترشّح في الانتخابات، الأحزاب المعتادة وأيضاً كل هذه الأحزاب الصغيرة، وأخمّن بأنهم سيأكلون بعضهم بعضاً ولن يربحوا ما يكفي من المقاعد لإحداث تحوّل في التوازن».

وختم شينكر حديثه عن الانتخابات و«قوى التغيير» بالقول: «أنا شخصياً لست متفائلاً بهذه الانتخابات ولا أعتقد بأنّ على الإدارة الأميركية أن تراهن على هذه الانتخابات. هناك نظام معطّل في لبنان، والانتخابات بمثل قوانين انتخابية كهذه لن تصلحه بشكل واضح».

عملت مع إعلاميين ورجال أعمال شيعة لمواجهة حزب الله ونحت من خفض التصنيف الائتماني وعافيا البنوك (أرشيف)

نصرالله: سنقود معركة الإنماء واللامركزية الإدارية

نجح حزب الله في تنظيم حشد شعبي كبير يومَ أمس في البقاع، كما فعل قبلاً في الضاحية والجنوب. وأطلق أمينه العام السيد حسن نصرالله مواقف شددت على أن التصويت للوائح الحزب وحلفائه تندرج في إطار معركة الدفاع عن المقاومة، مجدداً الوعد بالمزيد من العمل من داخل الدولة لتحقيق الإنماء في البقاع كما في كل لبنان.

وخاطب نصرالله أهل البقاع بالقول: «أنتم أهل المقاومة وزندها وقبضتها وعقلها وعيونها وقلبها وعاطفتها وحضوركم في هذا المهرجان هو دليل ورسالة وجواب واضح». وأضاف: «ما هو ردكم على كل الذين يتآمرون على المقاومة وسلاحها؟ هؤلاء يتآمرون على تضحياتكم وعلى انتصاراتكم ويجب أن يكون جوابكم في 15 أيار بهذا المستوى أيضاً»، لأن «الاقتراع في يوم الانتخاب هو رسالة لكل المتآمرين على المقاومة وسلاحها ومستقبل اللبنانيين». وعرض نصرالله للحملات التي يشنها خصوم المقاومة والتي تتناوله شخصياً أيضاً وخصوصاً الإشارات المتكررة إلى إصبعه، وقال للحاضرين: «اسمي مكتوب على لوائح الشطب لكن لا يمكنني أن انتخب، لكن الذي يحمي هذا الإصبع ويبقيه مرفوعاً وعلامة لإلحاق الغيظ في قلوب كل الأعداء هو أصابعكم».

واستعرض نصرالله موقع البقاع من غربه ووسطه وشرقه وشماله في تأسيس وحماية المقاومة وإنجازاتها ضد إسرائيل وضد التكفيريين. وأكد على العمل الجاد من قبل حزب الله بالتعاون مع جميع نواب المنطقة من أجل تحصيل خطوات عملانية من قبل الدولة لأجل إنماء المنطقة وتحقيق اللامركزية الإدارية.

إلى ذلك، ووسط استمرار التحضيرات الرسمية ليوم الأحد، وضعت وزارة المالية تصوراً للقيمة المالية التي ستُصرف لعناصر الأجهزة الأمنية والعسكرية لقاء مشاركتهم في حفظ أمن نهار الانتخابات، على أن يتم صرف البدلات اليوم. وعلمت «الأخبار» أن قيمة الاعتماد تقارب 90 مليار ليرة لبنانية، 40 ملياراً لصالح قوى الأمن و40 أخرى إلى الجيش، 5 مليارات للمديرية العامة للأمن و5 مليارات للمديرية العامة للأمن العام. وعلمت «الأخبار» أن المديرية العامة لأمن الدولة أتمّت، الخميس الماضي، جداولها بالعناصر المستحقة للدعم وأرسلتها إلى وزارة المالية، وشملت ما يقارب 4 آلاف عنصر، تم تصنيفهم بين عناصر ميدانية سينالون مليوني ليرة لبنانية واحتياط مليوناً و500 ألف ليرة، وعناصر لوجستية تتقاضى مقابل استفادة مالية أقل لعناصره. ويقدّر عديد الجيش بين 70 إلى 80 ألفاً بين ضابط ورتيب وجندي سيشارك معظمهم بالاستنفار العام، ما يعني أن حصة كل فرد منهم تتراوح بين 500 إلى 700 ألف ليرة لبنانية كأقصى حد.

> **سجال بين قوى الأمن والجيش حول البدلات المالية وخشية من توترات مع أنصار «المستقبل» في بيروت وطرابلس**

وكان عنوان الانتخابات مادة رئيسية أمس في خطب أئمة المساجد ليوم الجمعة، ولوحظ أن مساجد الشمال تميزت بدعوات مكثّفة للمشاركة في الانتخابات بوصفها «واجباً شرعياً» تلبية لدعوة مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ عبد اللطيف دريان بقصد مواجهة خطة تيّار المستقبل لتوسيع المقاطعة. وأدّى هذا التعارض إلى بروز حالات توتر وخلافات بين المشايخ نصرةً لتيّار المستقبل في طرابلس. وكان لافتاً زيارة أحد مشايخ عرب خلدة، المعروف بـ«أبو زيدان»، مقام عزاء أهالي ضحايا «مركب الموت» من آل الدندشي، حيث قدّم مساعدة مالية إلى العائلة نيابة عن العشائر. على إثر وصول الدعم، قام عدد من وجهاء العائلة باستخدام الأموال في سبيل شراء أسلحة فردية، وتوزيعها ليل الخميس على مقربين منهم. وأفادت مصادر أمنية عن لقاءات عقدت في بعض الأحياء، اتفق خلالها على تنفيذ تحرك احتجاجي أمام سراي طرابلس وإقامة صلاة وسط الطريق، ورفع الصوت للإسراع في انتشال أجساد ابنائهم المدفونين بالمركب في قعر البحر. ويبدو أن هناك من يريد جعل التحرّك مفتوحاً حتى نهار الأحد. وسط مخاوف من ذهاب الأمور إلى مواجهة في حال قرر الجيش فتح الطريق.

السخونة التي تخشاها القوى الأمنية في طرابلس، ترافقت مع رصد دعوات لأنصار تيّار المستقبل في بيروت، لمواجهة القوى التي «خانت» الرئيس سعد الحريري وقررت خوض الانتخابات. وكان لافتاً دعوة ناشطين من التيار وكوادر إلى ترك دار الفتوى بعيدة عن السجالات السياسية والانتخابات. وجاءت هذه المواقف رداً على الضغط من قبل دار الفتوى (بطلب سعودي) لتعطيل مفعول قرار الرئيس الحريري بالعزوف عن الانتخابات.

وسجلت في الساعات الماضية تحركات في مناطق بمحاذاة الطريق الجديدة وقصقص في بيروت، أبقيت تحت الرصد الأمني، فيما برزت إلى الواجهة معلومات عن احتمال حصول تحركات مماثلة قد تتولى تنفيذها مجموعات من عرب خلدة على الطريق الساحلي بيروت – صيدا.

(الأخبار)

ابراهيم الامين

حدث الأحد: غياب الحريري!

نسبة المتردّدين في إعلان موقفهم الانتخابي لا تزال مرتفعة في كل استطلاعات الرأي، بما فيها تلك التي جرت في الأسبوع الأخير. المتردّد هذا لا يعني أن المستطلَع مقاطع حكماً، أو أنه ليس صاحب موقف. بل هو إمّا أنه لا يريد إشهار موقفه الآن، أو ينتظر تطوراً ما قبل اتخاذ قراره يوم غدٍ الأحد. لكنّ ارتفاع هذه النسبة سيكون له تأثيره على النتائج وعلى مصير مقاعد كثيرة.

مع ذلك، يجدر بالجميع إدراك أن 15 أيار ليس الحدث الذي يقرر مصير لبنان، وأن هذه الانتخابات، على وجه التحديد، ليست الوسيلة لقلب الطاولة أو قلب النظام. بل هي مناسبة تتيح قياس المزاج العام الذي تبدّل كثيراً خلال الأعوام الأربعة الماضية.

حدث الأحد يمكن وضعه، ببساطة، ضمن سياق السجال حول الخيارات الفردية أو العامة عند اللبنانيين. لكنها خيارات غير كافية لنقل لبنان من ضفة إلى أخرى. ولا تعني حكماً سلطة من نوع مختلف. ولا تتيح بالتأكيد وضع دستور جديد للبلاد.

حدث الأحد سيُظهر، مع الأسف، حجم الاحتقان لدى الناس من تحت، بكل خلفياتهم السياسية والطائفية والمذهبية والاقتصادية والطبقية والجندرية، إضافة إلى الذائقة الثقافية على ندرتها. وهو احتقان يسمح بتقدير أن لبنان جاهز للانفجار في كل لحظة. لكنّ الانفجار ليس محسوماً بحجمه أو طبيعته أو نتائجه. وما في ذاكرتنا الطريّة هو انفجار الحروب الأهلية على أنواعها، وهي حروب لا تنتج سوى الخراب والمزيد من الإحباط. والخشية أن يكون البعض في لبنان قد أوصله اليأس إلى تفضيل الحرب على الحوار والفوضى على الترميم.

صحيح جداً أن التصويب على المقاومة هو عنوان رئيسي عند غالبية القوى الخارجية التي تملك نفوذاً حقيقياً في لبنان. وهو عنوان لدى فرق ومجموعات وقوى لبنانية لا تريد المقاومة من أساسها. لا تريد فكرة المقاومة ولا هدفها ولا تحمّل كلفتها. ولم تكن تريدها منذ اليوم الأول. لكنها صارت تعارضها وتعاديها وتعمل ضدّها لأن الخارج المتضرّر من المقاومة قرّر معاقبة الجميع إذا لم يثوروا ضدّها. بهذا المعنى، فإن التحول في موقف معارضي المقاومة هو الانتقال من مرحلة اللامبالاة إلى مرحلة التصدّي للمقاومة خشية تعرّضهم لعقاب أولياء الأمر والنعمة في الخارج.

> **الصحيح، أيضاً، أن من سيخرجون غداً للتصويت دعماً للمقاومة، سيرفعون الإثنين السوّال المباشر في وجهها، طارحين مسألة الإصلاح**

لكنّ الصحيح، أيضاً، أن في حدث الغد غضباً كبيراً على واقع السلطة القائمة. والسلطة، هنا، ليست عنواناً مجهولاً، بل هو واضح المعالم. بهذا المعنى، ستصاب المقاومة بطلقات كثيرة كونها تقف في مربّع يتواجد فيه فاسدون ممن لا يريدهم الناس. وفي هذه اللحظة، سيكون من الصعب على المقاومة تمييز نفسها بقوة. صحيح أن كل من يتهمون المقاومة بحماية الفساد إنما يُخفون حقيقة أنهم لا يريدون المقاومة أصلاً. وصحيح أن معظم من يهاجمون المقاومة لا يبادرون إلى أيّ فعل ضد الفاسدين الحقيقيين. لكنّ الصحيح، أيضاً، أن من سيخرجون غداً للتصويت دعماً للمقاومة، سيرفعون الإثنين السؤال المباشر في وجهها، طارحين مسألة الإصلاح.

لكنّ الحقيقة المؤلمة تتمثّل في أن الناس لا يزالون يستمعون إلى قوى وشخصيات ساهمت في قتلهم مرات ومرات خلال عقود. والحقيقة المؤلمة أن هناك مجموعات بشرية كبيرة في لبنان لا تزال تقبل بالسير خلف زعامات طائفية ومناطقية ومذهبية، كانت ولا تزال أصل البلاء في هذا البلد. وعلى الناس الذين اختاروا الوقوف مجدّداً أمام هذه الزعامات تحمّل مسؤولية أفعالهم، خصوصاً أن أقلّ الواجب هو الامتناع عن التصويت إذا لم يجدوا البديل المناسب. لكنّ استسلامهم لهذه الزعامات بحجة الخوف والخشية على الجماعة من الآخر، فعل انتهازيّ يمنع على صاحبه ادّعاء الرغبة بتغيير حقيقي في البلاد...

إلى ذلك كلّه، ثمّة حدث مركزي يُعطي الانتخابات معناها السياسي اليوم، وهو يتصل بقرار سعد الحريري، أقوى الزعماء السُّنّة في لبنان، العزوف عن المشاركة في الانتخابات. هو حدث الغياب الذي لم يظهر أن في إمكان أحد، من مريديه أو منافسيه أو خصومه، تعويضه. وكلّ الأصوات التي ستصبّ في مصلحة مرشحين ينطقون بلسان الحريرية التفافاً، لا تعني شيئاً قابلاً للصرف طالما تمسّك الحريري بقراره. لذلك، فإن العنوان المُنصِف لانتخابات يوم غدٍ الأحد يبقى محصوراً في عبارة شديدة الصراحة: سعد الحريري الغائب الحقيقي!

أمر أخير، حتى لا يكون هناك التباس عند أحد. وهو أن الإثنين سيكون فعلاً يوماً آخر، وسيدخل اللبنانيون في دوّامة جديدة من القهر ريثما يصار إلى تركيب تسوية جديدة، ترعاها وتموّلها جهات خارجية، وتتيح هدنة جديدة بين اللبنانيين تجنّبهم المزيد من الويلات في زمن الحروب الكبرى. وكل من يعتقد أن هناك وسيلة للتعايش بغير الحوار، مجنون ومجنون ومجنون حتى ينقطع النفس!

انتخابات 2022

فتور انتخابي في عرسال: العتب على الحريري ليس على قدر المحبة!

ترشيح أربعة من أبناء عرسال إلى الانتخابات لم يكن كافياً لإثارة الحماسة فيها، للمقاطعة الحريرية تأثيرها، لكن لـ«العراسلة» همومٌ أخرى. البلدة التي رفعت صور عبد الناصر وأرادت أن تكون رأس حربة لإسقاط بشار الأسد، وكنت أخيراً إلى أنها كانت ضحية في الصراع الإقليمي، لذلك يبدو أنها ارتضت ألا تغضب أحداً. فرغم الفتور، ستكون للجميع حصة من الصحن العرسالي... بصافيهم القوات بفعل المال الانتخابي، رغم سقوط 43 شهيداً من أبناء البلدة على أيدي عناصرها

لينا فخر الدين

(أرشيف - مروان طحطح)

يعود أهالي عرسال بالذاكرة إلى 22 نيسان 2018، حينما نحروا الخراف للرئيس سعد الحريري الذي زار بلدتهم. يومها، ضرب «دولة الرئيس» على صدره قائلاً: «لن تشعر عرسال بالغبن بعد اليوم. سابقى معكم بغضّ النظر عن أي ولاءات، والمهم حق عرسال على الدولة. هذا التزام سعد رفيق الحريري لكم».

مرّت 4 سنوات بالتمام والكمال، وبقي الالتزام حبراً على ورق. على الأرجح نسيه الحريري، لكنّ «العراسلة» لا يزالون يتذكّرون. فهم، من جهتهم، نفّذوا ما التزموا به عندما توجّه أكثر من 10 آلاف من أصل 24 ألف ناخب إلى مراكز الاقتراع، وكان للائحة المستقبل منهم حصّة الأسد (7800 صوت)، نال منها ابن البلدة بكر الحجيري

> **تحسّر على وعود الحريري وانزعاج من أداء السنيورة وميزانية قواتية لشراء الأصوات**
>
> أكثر من 5 آلاف صوت.
>
> تضحك «أم هاني» الحجيري وهي تتلو لائحة وعود الحريري، وقبله ابن عمّته أحمد، لأهالي المنطقة وسُجّلت على «لوح الثلج»: «وعدونا بفرص عمل وخدمات اجتماعية، قبل أن يقفل تيار المستقبل المستوصف التابع له في البلدة».
>
> لم يكن الحريري، ولا غيره، يوماً سنداً لـ«العراسلة». مناصرتهم له كانت أقرب إلى التعاطف مع «ابن الشهيد السنّي». رغم ذلك، أربكهم اعتكافه. «لَيش تركنا؟»، تسأل «أم محمّد» الجالسة على كرسي من القش في باحة منزل «على الباطون»، كمعظم بيوت البلدة المبنيّة بعشوائية داخل الأزقة الضيّقة.
>
> أساساً، لا يعرف أهالي عرسال يوماً أن زعيماً سياسياً أنصفهم، وحده البير منصور كان ملجأهم. عام 1980 حفر أول بئر ارتوازية لتتوقف عرسال عن الشرب من مياه اللبوة. كانت أبواب ابن رأس بعلبك مفتوحة لهم. أدخل قسماً كبيراً من أبنائهم إلى السلك العسكري عندما كان وزيراً للدفاع، وألحق غيرهم بوزارة الإعلام عندما كان وزيراً لها. يحفظون لألبير منصور الجميل، تماماً كما يحفظونه للرئيس فؤاد شهاب الذي أدخل الكهرباء إلى البقاع الشمالي من عرسال يوم كان قائداً للجيش. كانت هذه مكافأة البلدة مقابل عودتها إلى حضن الدولة بعدما تمرّدت عليها وكمال جنبلاط إلى معروف سعد وجورج حاوي... صورة الحريري كان ذلك منذ سنوات طويلة، قبل أن تطوي الدولة الصفحة على «الرعايا العراسلة». لا يذكر أحد منهم أن الرئيس رفيق الحريري اهتمّ بهم يوماً. صور كثيرة رُفعت في منازل البلدة، من جمال عبد الناصر وجورج حاوي... صورة الحريري كان وزيراً للدفاع، وألحق غيرهم بوزارة الإعلام عندما كان وزيراً لها. يحفظون لألبير منصور الجميل، تماماً كما يحفظونه للرئيس فؤاد شهاب الذي أدخل الكهرباء إلى البقاع الشمالي من عرسال يوم كان قائداً للجيش. كانت هذه مكافأة البلدة مقابل عودتها إلى حضن الدولة بعدما تمرّدت عليها وكمال جنبلاط إلى معروف سعد وجورج حاوي... صورة الحريري كان ذلك منذ سنوات طويلة، قبل أن تطوي الدولة الصفحة على «الرعايا العراسلة». لا يذكر أحد منهم أن الرئيس رفيق الحريري اهتمّ بهم يوماً. صور كثيرة رُفعت في منازل البلدة، من جمال عبد الناصر

ورقة الشيوعيّ البيضاء

تدمع عينا «أم نضال» عندما تتذكّر يوم رقص الأمين العام الأسبق للحزب الشيوعي اللبناني جورج حاوي الدبكة «على الأول» في أحد أعراس البلدة في السبعينيات. ليست هذه الذكرى الوحيدة المطبوعة في ذاكرتها عن الحزب. «كلنا هون كنا شيوعية ويساريون»، تقول الثمانينيّة، قبل أن تنقلب الأمور ويطغى الخطاب المذهبي على أسنة أهالي البلدة. يقول مسؤول الحزب الشيوعي في عرسال خالد البريدي إنّ «الصراع الطائفي رفع سقف الانقسام العمودي في البلدة ما أثّر على العلمانيين وأكل من أجسادهم، لتتدنى نسبة وجودهم إلى ما دون الـ3000 صوت (غالبيتهم من الشيوعي)». يقر البريدي بأن الشيوعي «غير قادر على الحشد وتوحيد كلمته في الانتخابات الحالية، خصوصاً أنه غير مشارك في الاستحقاق في دائرة البقاع الثالثة». ويتحسّر على «وقوف حزب الطليعة ومنظمة العمل الشيوعي في وجهنا عندما طالبنا بالتصويت على استقلالية تمويل الحملة الانتخابية للائحة المعارضة في البقاع الشمالي، ما أدى إلى فكّ التحالف وانسحاب المرشحة التي كان يدعمها الحزب الشيوعي نائبة رئيس البلدية ريما كرنبي». عليه، يقف «الشيوعي» الذي كان يملك منذ عشرات السنوات غالبية أصوات الناخبين في عرسال، على الحياد في المعركة. الخيار الأنسب، يقول البريدي، هو في «الورقة البيضاء» مع علمه أن الملتزمين لن يتعدوا الـ100.

كان السنيورة مصراً على الحجيري بسبب وجود مرشح من العائلة الكبرى في البلدة (أكثر من 6 آلاف ناخب) على لائحة الثنائي، ما يثير «نفرة» لدى العائلات الأخرى من سيطرة «الحجيريين» على «القرار المحلي» (نائب حالي، رئيس بلدية، إمام البلدة، منسّقو الأحزاب...)، بوجود 3 مرشحين من العائلة نفسها التي تنقسم إلى 4 فروع: أبو علي، مصطفى (منهم النائب بكر والمرشحان ملحم ومحمّد محمود)، أبو قاسم وأبو زيدان (منهم زيدان الحجيري). أرادها السنيورة «ضربة معلم» لتشتيت أصوات «الحجيريين».

الأمل والوفاء» (الثنائي)، زيدان الحجيري على لائحة «بناء الدولة» (المدعومة من القوات والرئيس فؤاد السنيورة)، محمّد محمود الحجيري على لائحة «ائتلاف التغيير»، ومحمد الفليطي على «لائحة العشائر والعائلات». يُرجّح المتابعون ألا يتعدّى عدد المقترعين الـ6 آلاف. وما يعزّز ذلك عدم تمكّن لائحة «بناء الدولة» من رفع منسوب الحماسة الانتخابية. كثيرون من أهالي عرسال لا يخفون انزعاجهم من أداء السنيورة الذي عمل على سحب المرشح سميح عز الدين لمصلحة المرشح زيدان الحجيري، بعدما أقام الأول مهرجاناً انتخابياً أعلن فيه ترشّحه على اللائحة، قبل المهرجان بساعات، تلقّى عز الدين اتصالاً من السنيورة طلب منه التوجّه إلى «السادات تاور»، حيث طلب منه الانسحاب، في حضور الوزيرين السابقين حسن منيمنة وجمال الجراح. ردّ ابن عرسال بأنّه لا يقبل أن يكون تحت عباءة أحد. كان الاجتماع عاصفاً وبدا فيه السنيورة منزعجاً من تمرّد عز الدين الذي عاد إلى بلدته ونقل تفاصيل ما حصل بحرفيّته. أثار تصرّف السنيورة نقمة العديد من أبناء البلدة من تعامل السنيورة مع «الرجل المستقلّ والمحبوب والمثقف، لمصلحة مرشح يسيطر التزام على علاقاته مع كثيرين في عرسال».

متابعون يؤكدون أنّ أسهم محمد محمود الحجيري تبدو مرتفعة، وهو ما ظهر خلال المهرجان الانتخابي الذي أقامه الأسبوع الماضي، إضافة إلى كون الأستاذ الثانوي محبوباً من تلامذته وأبناء البلدة ومعارضته لكل القوى السياسيّة، فيما يؤخذ عليه محاولته التنصّل من تاريخه في حزب البعث العربي الاشتراكي.

رغم ذلك، بحسب المصادر نفسها، لكل مرشح عرسالي حصة من الأصوات تراوح بين 800 و1200 باعتبار أن كل المرشحين، حتى من خارج البلدة، «يأكلون» من الصحن العرسالي. في انتخابات 2018، نال مرشحو الثنائي أكثر من 200 صوت، واللواء جميل السيّد 200 صوت والبير منصور أكثر من 400... غير أن ما قد يغيّر في معادلة الأرقام هو ما يتردّد في البلدة عن وضع حزب القوات اللبنانية ميزانيّة 400 ألف دولار لعرسال وحدها، لتعويض خسارتها ثلاثة مرشحين شيعة على لائحتها، وأنها ستدفع 500 دولار أميركي مقابل كل صوت لمرشحها الماروني أنطوان حبشي. هذا، في حال صحّ، قد يرفع الحصيلة القواتية إلى أكثر من 3 آلاف صوت. بعض أبناء البلدة يجاهرون بأنهم سينتخبون حبشي «نكاية» بحزب الله. يقول أحدهم: «أعرف أن القوات مجرمون»، مشيراً إلى 43 شهيداً من أبناء عرسال سقطوا على حواجز القوات وفي مجزرة تل الزعتر، «ومع ذلك سأنتخب حبشي».

العلاقة مع حزب الله

في المقابل، لحزب الله أنصاره الذين يتزايدون. المنضوون في سرايا المقاومة زادوا من 350 إلى 800 ما يعني أن للمرشح علي لائحته ملحم الحجيري نسبة تُعادل نسب خصومه، إضافة إلى تقديمه مساعدات اجتماعية عبر بطاقة «الشّجاد» ومازوتاً للتدفئة خلال الشتاء الفائت، في حين يضع آخرون ذلك في إطار «المال الانتخابي». مع ذلك، يشير كثيرون إلى أن «خطأ» حزب الله هو عدم خروجه من الدائرة المحسوبة عليه في الترشيحات إذ إن ملحم الحجيري وعائلته «منهم وفيهم». لكنهم يقرّون بأن الرجل «يستحق ترشيحه»، إذ إن «أبو وليد» لم يتزحزح عن مواقفه قيد أنملة في عزّ التحريض الطائفي على حزب الله ووجود المسلحين الذين أدرجوا اسمه على «لائحة الاغتيالات».

في ديوان عُلّقت فيه صورة للأمين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله، يشير الحجيري إلى أن «البعض صار يسبقنا إلى الموقف القريب من جو المقاومة». صحيح أنّه عضو اللجنة المركزية في التنظيم الشعبي الناصري، إلا أن الأمر يبدو محسوماً بالنسبة إليه. لن يكون في كتلة أسامة سعد، بل «مع من ترشحت معهم»، من دون أن يرى لترشيح سعد في وجه الثنائي في صيدا تأثيراً عليه أو على التنظيم.

البعث راجع!

يحاول حزب البعث العربي الاشتراكي إحياء علاقاته في بلدة عرسال. منذ أن عُيّن علي حجازي أميناً عاماً للحزب وهو يتردد بين أزقّة البلدة ويعيد الحنين إلى «الرفاق القدامى» حيث لجذور الحزب جذور تاريخية. تمكّن حجازي، خلال شهر، من رفع عدد المنتسبين من 100 إلى 218. السبب في ذلك، بحسب أهالي البلدة، وعود بإزالة أسمائهم عن لوائح المطلوبين ما يتيح لهم الدخول بحرية إلى الأراضي السوريّة مع تأمين أوراق تسهيل مرور (خط عسكري). كما يجهد الرجل لدى الأجهزة الأمنية والقضائية لمعالجة الملفات الأمنية للمطلوبين من البلدة، كإخلاء سبيل موقوفين في السجون اللبنانية والسورية ممن لا علاقة لهم بما حصل داخل عرسال إبّان وجود المسلحين فيها. والأهم، وفق الأهالي، هو وعدهم بإنهاء أزمة الأراضي التي يملكها بعضهم داخل سوريا وتكلّفوا فيها نفقات إنشاء مشاريع زراعية ويُمنعون اليوم من زيارتها والاهتمام بها. لم يكن تفصيلاً أن يحضر العشرات الإفطار الذي أقامه توفيق الحجيري تكريماً لدور حجازي في إعادة 3 شبّان من البلدة كانوا محتجزين داخل السجون السورية. ينوّه الكثير من أهالي عرسال بدور حجازي، في حين يعتبر آخرون أن الأمين العام للبعث يريد إثبات حيثيته الشعبية بغية حجز مقعد له في الانتخابات المقبلة.

«أبو عجينة».... من سوريا وإلى سوريا نعود!

لم يخرج رئيس بلدية عرسال السابق علي الحجيري من السجن الذي قضى فيه عاماً كاملاً ليقف على الحياد. «أبو عجينة» تعلّم من تجربته. ينقل عنه أهالي بلدته قوله إنّ «حزب البعث جعلني رئيساً للبلدية والأحزاب التي سرت خلفها بعد الثورة السورية جعلت مني مجرماً مصيره السجن»!

صديق «الريّس» اليوم ليس إلا الأمين العام لحزب البعث العربي الاشتراكي علي حجازي الذي نجح في إخراج نجل «أبو عجينة» من السجن قبل أسابيع. يؤكد «أبو عجينة» أمام أبناء عرسال أنّه سيزور الشام قريباً، بتسهيل من حجازي الذي وعده بـ«تنظيف سجلّه» لدى القيادة السورية ليتمكّن من التنقل بحرية في سوريا. وهو كان حاضراً في الإفطار التكريمي لحجازي. لا يتردّد الرجل في القول بصوتٍ مرتفع: «صوتي لحلفاء سوريا. شو إجاني من مخاصمتهم؟». لكنه، في لقاء مع «الأخبار»، يكتفي بابتسامةٍ حينما يُسأل: «مع مين إنت؟». ويجيب: «عم راقب وشوف»، من دون أن ينكر أنه صار مقرّباً من البعث. وعن إمكانية توجهه إلى سوريا، يؤكد: «إيه يمكن اطلع قريباً وما في شي عليّ»، مشدّداً على أن «الإعلام شوّه صورتي، ولكنني لستُ نادماً على ما فعلت، إذ إنني جنّبتُ عرسال مصيراً أسوأ وجميتها، وأهل عرسال يعرفون من أكون، وهم يكنّون لي المحبة والاحترام، وهذا ما أُريده». وعن دور حجازي في إخراج نجله محمد، يقول: «أخذوا أولادي الـ3 ولفّقوا لهم التهم، ولكنّ أولادي أبرياء».

17 عاماً من العزلة

17 عاماً من العزلة عاشتها عرسال غالى بعضهم فيها في رفع الشعارات المذهبية، «كنا نريد أن نسقط النظام السوري أكثر من السوريين أنفسهم»، يقول مسعود عز الدين، الذي يتحدّث عن ارتباط عرسال التاريخي مع سوريا «التي تُعد أقرب لنا من بعلبك».

لم تنتهِ العزلة بعد، لكنّ كثيرين من الأهالي، حتّى ممن رفعوا راية العداء للنظام السوري، صاروا اليوم يُجاهرون بضرورة «التوجّه شرقاً»، وينتظرون بفارغ الصبر إعادة فتح معبر الزمراني مع سوريا. هذا ما يفسّر ارتفاع أعداد المنضوين في حزب البعث (218) وسرايا المقاومة من 350 إلى 800. تقول «أم هاني» الحجيري إن معظمهم يتعاملون مع بطاقات الانتساب إلى الأحزاب القريبة من النظام، كبطاقات تسهيل مرور إلى الأراضي السورية، ولإعادة العلاقات التجاريّة مع بلدة اللبوة.

وهذا أيضاً ما تؤكّده نائبة رئيس البلديّة ريما كرنبي التي تلفت إلى أنّ الكثيرين من أهالي البلدة صاروا مقتنعين بأنّ إسقاط النظام السوري من عرسال غير قابل للصرف، وأن «استباق السوريين بخطوات في المُعارضة ألحق الضرر بأهالي البلدة أكثر بكثير ممّا نفعهم».

نقابة المحضرين بيروت

عملاً بالمادة ٣٠٦ من النظام الداخلي للنقابة وبناء لقرار مجلس النقابة بتاريخ ٢٠٢٢/٥/١١ تدعى الهيئة العامة لكل فرع من فروع النقابة السبعة لعقد جلسة في دار النقابة - بيت المهندس يوم الثلاثاء الواقع فيه ٣١ أيار ٢٠٢٢ لانتخاب أربعة أعضاء لعضوية مكتب كل فرع.

تجري عملية الانتخاب وتفتح صناديق الاقتراع ابتداء من الساعة الثانية بعد الظهر ولغاية الساعة الخامسة حيث تقفل صناديق الاقتراع ويباشر بعملية الفرز.

تقدم الترشيحات خطياً لغاية يوم الاثنين الواقع فيه ٣٠ أيار ٢٠٢٢ حتى نهاية الدوام الرسمي، وعلى العضو المرشح ان تتوفر فيه الشروط التالية:

١ـ أن يكون لبنانياً.

٢ـ أن يكون قد مضى على تسجيله بالنقابة في نهاية السنة المالية السابقة خمس سنوات على الأقل.

٣ـ أن يكون قد مضى على انتمائه إلى الفرع المذكور مدة ثلاث سنوات.

٤ـ أن يكون قد سدد كافة الرسوم السنوية عن السنة المالية المنصرمة.

يكون انعقاد الهيئة العامة لكل فرع قانونياً مهما بلغ عدد الحاضرين وتجري الانتخابات على دورة واحدة وبالأكثرية النسبية ويشارك فيها المهندسون اللبنانيون الذين سددوا كافة الرسوم السنوية عن السنة المالية المنصرمة قبل أول آذار ٢٠٢٢.

النقيب عارف ياسين

انتخابات 2022

أمن الانتخابات: 110 آلاف عسكري على الأرض

يُشارك في تأمين الاستحقاق الانتخابي غداً نحو 110 آلاف عسكري ورجل أمن، وفق ما أقرّته الخطة الأمنية المشتركة التي تم الاتفاق على بنودها في آخر اجتماع عُقد في الصنائع برئاسة وزير الداخلية بسام المولوي، السبت الماضي. الخطة التي لحظت مختلف تحدّيات اليوم الانتخابي، مثل المشكلات أو قطع الطرقات، لحظت أيضاً احتمال تخلّف بعض العناصر عن الالتحاق بمراكزهم

تلقّى قادة الوحدات العسكرية تعليمات صارمة بعدم السماح بإقفال أي طريق

عبد الله قمح

تنطلق الخطة الأمنية من ضرورة خلق أجواء ملائمة للمشاركة في الاقتراع ومن ضمنها قمع أيّ تحركات مشبوهة أو مخالفات إن وجدت، وعدم التدخل في مجرى سير العملية الانتخابية، إلى جانب التعاون بين

> **قدّرت المصادر عدد أفراد الاقتراع بـ1755 توزّع بين مناطق ساخنة وأخرى بادرة**

الجسم الإعلامي والأمني، وهو ما أكد عليه وزير الداخلية على هامش الاجتماع الأخير الذي عُقد، ثم قائد الجيش جوزف عون خلال اجتماع آخر عُقد مع أركان القيادة وقادة الوحدات والأفواج يوم الثلاثاء الماضي. كما تم الاتفاق على زيادة درجة التنسيق مع التيارات الحزبية والمدنية الناشطة سياسياً والمشاركة في العملية الانتخابية، وقد طُلب منها بشكل رسمي التعاون مع القطعات الأمنية والعسكرية الموجودة في حال تطلّب الأمر ذلك.

مشاركة الجميع

يُشارك في الخطة ما يقارب الـ110 آلاف عسكري ورجل أمن، ينقسمون ما بين 70 إلى 80 ألف عنصر من الجيش، 17 إلى 20 ألفاً من قوى الأمن الداخلي، فيما يتوزّع العدد المتبقي بين المديرية العامة للأمن العام وبين المديرية العامة لأمن الدولة. ومن المقدّر أن يبلغ مستوى الجهوزية الـ100% لمختلف القطاعات الثابتة والمتحركة بما في ذلك مديريات الجيش، على أن يبدأ التنفيذ مطلع فجر اليوم ويستمرّ حتى موعد صدور النتائج المتوقع حدوثه يوم الإثنين المقبل.

حماية ممرّات الناخبين

تم توزيع التكليفات على الأجهزة كافة. وكما ينصّ القانون، ذهبت مهمة تأمين أقلام الاقتراع داخل المنشآت الانتخابية إلى قوى الأمن الداخلي، مع ترك احتمال تدخل من قبل الجيش بناءً على استدعاء بالمؤازرة قد يرد من قبل قطعة قوى الأمن داخل قلم الاقتراع، شرط أن يتم الاستدعاء خطياً من خلال ورقة تكليف يتم توقيعها من جانب آمر قوة المؤازرة العسكرية.

خارج قلم الاقتراع، ستكون المهمة ملقاة على عاتق الجيش. وبحسب معلومات «الأخبار»، حُدّد شُعاع يبلغ قطره 50 متراً في محيط قلم الاقتراع عبارة عن منطقة محرّمة للدعاية الانتخابية، على أن تتولى وحدات من الجيش السهر على حسن التنفيذ. خارج هذا النطاق، سيتولى الجيش أيضاً عملية فرض الأمن، من خلال انتشار عسكري سيشمل تحريك دوريات ونصب حواجز ثابتة ومتنقلة، سيّما على الممرات والطرقات الرئيسية التي تستخدم لعبور الناخبين وتنقلهم. وعلى سبيل المثال، تمّ في بيروت تداول معلومات عن وجود نية لدى أنصار تيّار المستقبل بإقفال بعض الطرقات والمسالك صبيحة يوم الانتخاب. وعُلم أن قادة الوحدات العسكرية تلقوا تعليمات صارمة بتأمين الممرّات والمسالك ومنع الاعتداء على الناخبين في حال توفر أي معلومة، والتدخل في حال حدوث أي طارئ، فالقرار هو بمنع الشغب غداً. وقد كُلّفت مديرية المخابرات في الجيش بالتعاون مع شعبة المعلومات ومفرزة الاستقصاء التابعين لقوى الأمن الداخلي وأمن الدولة، تولّي مهام الأمن الاستعلامي والاستباقي على الأرض من خلال نشر وحدات مدنية عملانية في مختلف المناطق خاصة تلك التي يُتوقع أن تشهد سخونة معينة.

30 غرفة عمليات

وتتطلّب الخطة تنسيقاً عالياً بين الأجهزة المختلفة، لذلك خصّصت غرفة عمليات مشتركة مركزية تجمع مختلف الأجهزة الأمنية ومقرّها البيرزة، ولمزيد من الانسيابية، تضمنت الخطة إنشاء غرف عمليات ميدانية تشمل المحافظات الخمس، أضيفَ إليها غرف عمليات فرعية ضمن الأقضية (28 قضاءً)، ستكون تحت أمرة الجيش بمشاركة مندوبين عن الأجهزة الأمنية الأخرى بهدف تسهيل التواصل. هذا الربط، وفق مصادر معنية، سيُعزّز التواصل بين الأجهزة الأمنية كافة، ويخلق داتا وآلية اتصال وتنسيق سريعة فيما بينهم. ولفتت الأوساط إلى أن الخطة الموضوعة هي من الأضخم التي تم تنفيذها أقله منذ اتفاق الطائف.

تصنيف للمناطق الساخنة

من جانب آخر، قدّرت مصادر في وزارة الداخلية عدد أقلام الاقتراع بـ1755 مركزاً. هذا الرقم الكبير، يتوزع بين مناطق ساخنة انتخابياً وأخرى بادرة. وتولّت الأجهزة الأمنية تصنيف هذه المراكز بناء على المعلومات التي تمتلكها، وبناء عليه تتحدّد طريقة التوزيع في كل مركز ومنطقة. من بين هذه المناطق دائرة بيروت الثانية، دائرة جبل لبنان الرابعة (الشوف- عاليه)، دائرة جبل لبنان الأولى (جبيل- كسروان)، بالإضافة إلى دوائر الشمال الثلاث، فيما ستحظى دائرتا الجنوب الأولى (صيدا- جزين) والجنوب الثانية (صور - الزهراني) بدرجة من الحيطة الأمنية تبعاً لما شهدته أخيراً من أحداث.

أمن الدولة والأمن العام

بالنسبة إلى عناصر مديريّتي الأمن العام وأمن الدولة، ستنحصر المهام الملقاة على عاتقهم في عمليات الإسناد. فيتولى الأمن العام تأمين الدعم والمؤازرة لقوى الأمن الداخلي في مجال حماية السجون، فيما ستلقى مهمة تأمين المولدات الكهربائية الخاصة بتزويد مراكز الاقتراع بالطاقة على عناصر أمن الدولة، كما سيكونون جاهزين لتولي مهمات عناصر مؤازرة لدى الجيش خلال النهار في حال طلب منهم ذلك. تجدر الإشارة إلى أن الجيش سيتولى إضافة لانتشاره في المناطق، مهمة تأمين الحماية للمراكز الرئيسية التي تتولى تقديم الخدمات التقنية لصالح مراكز الاقتراع والفرز، بالإضافة إلى مواكبة نقل صناديق الاقتراع إلى مقار المحافظات.

«عسكري دبّر راسك»

يشكل يوم الانتخابات اختباراً جدياً لمدى قدرة العناصر الأمنية والعسكرية على التحمّل، في ظلّ حالة الاستنزاف التي يعيشونها منذ بدء الأزمة المالية، ولا سيّما عناصر قوى الأمن الداخلي الذين يستولون بأنفسهم تأمين حاجياتهم اللوجستية من مياه وغذاء ونقل، بخلاف جنود الجيش الذين يستتلى قيادتهم مهمة تأمين مستلزماتهم، وستقوم مطابخ الجيش بإعداد الطعام وتوزيعه من خلال عربات عسكرية، على نفقة ميزانية الجيش. وعلمت «الأخبار» أن قوى الأمن الداخلي التي تُعاني من نقص حاد في الآليات نتيجة الأعطال، ستعتمد آلية لتوزيع العناصر على مراكز الاقتراع متخذةً من السكن ومقرّ الخدمة وقربه من مركز الاقتراع أساساً، فيما ستكون عملية تنقل العناصر بالتفاهم والتنسيق في ما بينهم.

هذا الواقع قد يهدّد بظهور حالات من عدم الالتزام بالأوامر العسكرية من قبل العناصر وإن كانت الجهات المعنية تستبعده. رغم ذلك، خصّصت الخطة التي تم وضعها حيّزاً لقوة احتياط قد يتم اللجوء إليها في حالات الطوارئ.

حوافز لرؤساء الأقلام والكتبة

فؤاد بزي

كان من المفترض أن تصدر تكاليف العامة للمشاركة في إدارة العملية الانتخابية قبل نحو شهر من اليوم الانتخابي، من خلال إصدار لوائح بأسماء المشاركين وإرسالها إلى الإدارات المركزية الخاصة بهم لتبليغهم بالأقضية المعيّنين فيها للالتحاق، فيصبحوا بذلك مكلّفين. هذا الأمر لم يحصل إلا الأسبوع الماضي، وعبر تسريب أسماء 14887 موظفاً من مختلف إدارات الدولة ومؤسساتها على ملف «أكسيل» ليعرف منه الموظفون، بعد انتشاره على مجموعات «الواتساب» المختلفة، في أيّ دائرة انتخابية سيخدمون وذلك قبل وصول التبليغات الرسمية يوم الثلاثاء 10 أيار الفائت. مدير في إحدى الوزارات لم يخف استغرابه ولا امتعاضه من الأمر واضعاً إياه في خانة الضغط على الموظفين من قبل الماكينات الانتخابية التي أصبح لديها كلّ المعلومات عن الموظفين المكلّفين بالعمل، من أرقام هويات وهواتف شخصية وأسماء ثلاثية مع تواريخ الميلاد بالإضافة إلى الأرقام الآلية.

رفع التعويضات

لكن الملف المسرّب أتاح للموظفين المكلّفين الالتفات إلى أنهّا المرّة الأولى التي تقوم فيها وزارة الداخلية بتوزيعهم على مناطق قريبة من سجلات نفوسهم، ما سيخفّف عليهم عناء الانتقال بين المناطق، ويمكن أن يزيد من حجم تجاوبهم مع إتمام المهمة التي كُلّفوا بها ولا سيّما في ظل الضائقة الاقتصادية وارتفاع أسعار البنزين. وبلغت عدد منهم إلى أن العادة كانت سابقاً بتوزيع الموظفين على محافظات وأقضية بعيدة جداً عن سجلات النفوس، مثل أن يكون الموظف من صيدا فيكلّف في الشمال.

بالإضافة إلى ذلك، لحظت الحكومة رفع التعويض الخاص بالأعمال الانتخابية من خلال إلغاء المرسوم 2009/2201 ورفع التعويض إلى 3,600,000 لرئيس القلم و3,400,000 للكاتب و1,500,000 للاحتياط (رئيس قلم أو كاتب) ما زاد من حماسة الموظفين للمشاركة، ودفع المكلّفين، واقتصر الأمر على إرسال حقيبة تدريبية ممكننة ورابط «يوتيوب». ويردّ عدد من الموظفين الجدد والقدامى السّبب إلى الأزمة المالية التي انعكست على التدريب الذي «كان حضورياً في الدورات السّابقة وأصبح عن بعد». ولا

الماكينات تتولى التدريب!

أما بالنسبة إلى التعليمات التي يفترض أن يطلّع عليها الموظف لكي يحسن إدارة العملية الانتخابية فقد «بعتولنا التدريب فيديو» يقول فادي، الأستاذ المشارك للمرة الأولى في تنظيم العملية الانتخابية. هذه المرة، غابت المديرية العامة للشؤون السّياسية واللاجئين في وزارة الداخلية على مستوى التدريب عن ساحة التواصل مع الموظفين المكلّفين، واقتصر الأمر على إرسال حقيبة تدريبية ممكننة ورابط «يوتيوب». ويردّ عدد من الموظفين الجدد والقدامى السّبب إلى الأزمة المالية التي انعكست على التدريب الذي «كان حضورياً في الدورات السّابقة وأصبح عن بعد». ولا يخفي عدد منهم شعوره بالقلق من عدم الإحاطة بكلّ دقائق العملية الانتخابية بسبب عدم قيام الداخلية

> **سُرّبت أسماء 14887 موظفاً مكلّفاً بإدارة العملية الانتخابية قبل تكليفهم رسمياً**

بدورها على أكمل وجه. ما سبق قد يؤدي لبلبلة داخل الأقلام يوم الانتخاب كما حصل في انتخابات المغتربين، ولا سيّما أنّ القانون الذي تُجرى على أساسه الانتخابات اليوم ليس بسيطاً. على سبيل المثال، عند انتهاء عمليتَي الاقتراع والفرز هناك متابعات إدارية على رئيس القلم والكاتب إتمامها بشكل

لم يتلقّ الموظفون أيّ تدريب على إدارة العملية الانتخابية (أرشيف - بلال جاويش)

متقن منها مثل كتابة محاضر على أكثر من نسخة، وتوضيب لوائح الشطب والفرز واللوائح الانتخابية كلّ في مغلّف خاص ليختم بالشمع الأحمر، ما يضاعف المسؤوليات الملقاة على عاتقهم ويدفعهم للاعتماد على مندوبي اللوائح الأكثر خبرة للتدخل والتصويب، فهؤلاء «بيعرفو كل شي» حسب إفادة عدد من الموظفين.

هذا الأمر تلافَته الماكينات الانتخابية للأحزاب، فوجهت الدعوات إلى الأساتذة المنتدبين في أحزابها للخضوع إلى دورات تدريبية على حسن إدارة العملية الانتخابية ما يدفع للسؤال عن نزاهة هذا الأمر سيّما أنّ رئيس القلم والكاتب موظفان منتدبان من الدولة، ويجب أن يكونا خارج تأثير أيّ من القوى المتنافسة كي لا يقع أيّ تداخل بين الانتماء الحزبي والحيادية المطلوبة يوم الانتخاب.

عقوبة التغيب: السجن

لا يخلو الأمر من انتداب الدولة لموظفين لم يكونوا قد تقدّموا بطلبات مشاركة لأسباب شخصية، أو ربما بسبب كونهم في إجازات دون راتب (حال الكثير من الموظفين). من سأل منهم عن المقتضى القانوني في حال عدم الالتحاق وجد الرّد في كتاب التكليف الصادر عن مديرية الشؤون السّياسية واللاجئين بالتالي: «يعاقب كلّ موظف تخلّف بدون عذر مشروع عن الالتحاق بمركز قلم الاقتراع الذي عيّن فيه رئيساً أو كاتباً بالحبس مدة شهر أو بغرامة قدرها مليون ليرة لبنانية»، ما ترك الموظفين غير الراغبين بالمشاركة في حيرة أكبر لأنّ النص لم يشر إلا لمن كُلّف ولم يلتحق واسقط من لم يذهب من الأساس إلى التكليف (التوقيع على استلام صندوق).

النقل مؤمّن: قسائم بنزين واستئجار حافلات

رحيل دندش

تنشط الماكينات الانتخابية عند كل استحقاق انتخابي لضمان أعلى نسبة اقتراع للوائحها، وياتي في أولى المهام المنوطة بها تأمين التنقلات وبدلات النقل (بونات

> **اختار صاحب شركة عدم تأجير باصاته على حساب ضياع بلد**

البنزين) للناخبين لينتقلوا إلى أماكن قيدهم ولا سيما أن كثيرين منهم قد يمتنعون عن الاقتراع بسبب ارتفاع كلفة النقل.

كلّ الأحزاب، من دون استثناء، أعدّت خطة نقل بدأت بتطبيقها منذ أيام عبر مفاتيحها الانتخابية من مخاتير ومندوبين في المناطق والقرى يعملون كخلايا النحل، محاولين التقليل قدر الإمكان من هوامش الخطأ كأن تُمنح قسائم البنزين (البونات) لمن لن يقترع. ومن الأفكار التي سُتعمد هو تسليم «بون البنزين» على دفعتين، عند الانطلاق وعند العودة من مكان الاقتراع عبر مندوب يكون موجوداً عند محطة البنزين، ليختم البون.

عدم تكافؤ الفرص

تختلف قيمة القسائم، إذ تُدفع لكل آلية بحسب المسافة التي يحتاج إليها الناخب للوصول إلى محلّ قيده. فمن سينتقل على سبيل المثال من بيروت إلى الهرمل يحصل على «بون» بـ90 ليتر/ من البنزين. ومن هنا يمكن تقدير ما ستتكبّده الماكينات الانتخابية من أموال لتوفير النقل. لكنها «كلفة سخيفة إذا ما قورنت بما تدفعه الأحزاب للأصوات» يقول مرشح عن لائحة «بيروت مدينتي»، مشيراً إلى عدم تكافؤ الفرص بين المرشحين خصوصاً الذين لا قدرة لديهم على تأمين كلفة النقل لناخبيهم.

حالة العجز عن تأمين النقليات تنسحب على معظم لوائح «قوى الاعتراض» بحسب أحدهم. يقول: «نحن في حالة عجز كلي ولا إمكانات لدينا لتأمين نقل الناخبين بالباصات وغيرها. فمجمل التبرّعات التي حصلنا عليها لدعم الحملة من مغتربين ومقيمين وصلت إلى 20 ألف دولار فقط، ولذلك ينفق المرشحون من لحمهم الحي». يقدّم نفسه مثالاً: «استطعت أن أؤمّن بين 50 إلى 70 سيارة من مالي الشخصي لأشخاص نعرف تماماً أنهم سينتخبوننا».

التاجر بلا «فريش دولار»

حلّ آخر تم اللجوء إليه، وهو استئجار الباصات والفانات والسيارات العمومية لكي تنقل من لا يملكون سيارات إلى قراهم، وتُعيدهم إلى أماكن سكنهم وحتى تؤمّن نقلهم ضمن البلدات نفسها.

يقول محسن نجم الدين، صاحب شركة السلام لتأجير الباصات، إن غالبية باصاته حُجزت عبر الهاتف، موضحاً أن أجرة باص متوسط من نوع روزا، يتّسع لـ 32 راكباً، تُراوح بين 300 إلى 350 دولاراً إلى الجنوب والبقاع. ويلفت إلى أن الطلب يكون غالباً على الباصات الصغيرة من سعة 14 راكباً وهي تنقل عائلة واحدة أو اثنتين على الأكثر نظراً إلى أن البيوت في القرى قد يكون بعضها بعيداً عن بعض.

أما بالنسبة إلى شركة «ستار ناسيونال» لتأجير البولمانات والباصات، فيقول صاحبها علي بارصا إنه لن يعمل في الانتخابات خوفاً من المشاكل وحوادث التكسير التي قد تقع «لأن قطع الغيار والتصليح غالية والفريش دولار». في المقابل، أماكن سكنهم وحتى تؤمّن نقلهم ضمن البلدات نفسها.

يقول محسن نجم الدين، صاحب شركة السلام لتأجير الباصات، إن غالبية باصاته حُجزت عبر الهاتف، موضحاً أن أجرة باص متوسط من نوع روزا، يتّسع لـ 32 راكباً، تُراوح بين 300 إلى 350 دولاراً إلى الجنوب والبقاع. ويلفت إلى أن الطلب يكون غالباً على الباصات الصغيرة من سعة 14 راكباً وهي تنقل عائلة واحدة أو اثنتين على الأكثر نظراً إلى أن البيوت في القرى قد يكون بعضها بعيداً عن بعض.

أما بالنسبة إلى شركة «ستار ناسيونال» لتأجير البولمانات والباصات، فيقول صاحبها علي بارصا إنه لن يعمل في الانتخابات خوفاً من المشاكل وحوادث التكسير التي قد تقع «لأن قطع الغيار والتصليح غالية والفريش دولار». في المقابل،

مهمّة ممتعة مع الناس... مؤتعبة مع السلطة

زينب حمود

«حطونا بعكار، طلبت موظفة في إحدى الوزارات لدى فرزّ رؤساء الأقلام على الدوائر الانتخابية. للوهلة الأولى يخطر لك أنها من سكان عكار وتريد أن توفر كلفة النقل ومشقّة السفر، إلا أنها تسكن في حي السلم. واستطاعت هذه السيدة أن «تربطها»، فجاء اسمها وأسماء أصدقائها في عكار. لماذا؟ «لنتعرّف إلى هذه المنطقة التي لم تتسنّ لنا زيارتها من قبل». يرى بعض رؤساء الأقلام في مهامهم فرصة للتقاهة والتعرّف إلى مناطق جديدة. الحفاوة التي يستقبل بها أبناء البلدات والمناطق «مبعوثي الدولة إليهم» غالباً ما تغطي على مشقة الوصول إلى الأقلام وضغط العمل. فيؤمّن رؤساء البلديات والمخاتير والمرشحون كافة احتياجات رؤساء الأقلام من الماوى إلى الطعام والشراب وثياب النوم أحياناً، ذلك أن مهامهم تبدأ من اليوم الذي يسبق اليوم الانتخابي وتتمثل بتسلّم صناديق الاقتراع وتجهيز الأقلام، ما يحتّم عليهم المبيت في «مكان الخدمة» إذا أتوا من مكان بعيد.

وكما يخوّض البعض أول تجربة رئاسة قلم بحماسة، هناك من ينتظرها بقلق. «صَعقتْ»، تقول إحداهم عندما علمت أن اسمها جاء في بعلبك. فهي تقطن في قضاء بعبدا. لم تقلق من مهام توكل إليها للمرة الأولى بقدر ما قلقت من «مكان أزوره لأول مرة، وأجهله، وكل ما أسمعه عنه أن أبناءه يحوّلون أي حدث صغير فيه إلى اشتباك عنيف». بحثت في الجداول التي وزّعت رؤساء الأقلام على الدوائر الانتخابية عن أحد تعرفه وتكون وجهته بعلبك أيضاً، فكان ابن قريتها. اتفقا أن يترافقا بسيارة واحدة ويتقاسما ثمن صفيحة البنزين. لكن لسوء الحظ هو أيضاً لا يعرف الطريق إلى هناك. كيف سيصلان؟ «سنجرّب في الوغْل ماب». وأين سيقضيان ليلة السبت قبل اليوم الانتخابي؟ «سؤال صعب»، تجيب.

تحذيات مادية ومعنوية

سابقاً، كان رؤساء الأقلام يتقاضون 570 ألفاً بدل مهامهم، أي ما يعادل 350 دولاراً، وكان مردوداً مالياً جيداً. اليوم ارتفعت مخصصاتهم إلى 3 ملايين و600 ألف، لكن قيمتها بالدولار لا تعادل الـ150 دولاراً. منهم من سيستخدمها لتسديد الأقساط المدرسية عن الأولاد، ومنهم من سيعوّض النواقص التي رتّبها الراتب المتآكل، في حين يرى آخرون أنها غير كافية لتسديد كلفة النقل وحجز غرفة في فندق مع مصاريف الأكل والشرب في حال لم يتلقوا عروض استضافة. وهنا يُطرح السؤال: هل ستستطيع البلديات المتعثرة والمرشحون الذين لم ينفقوا بغالبيتهم على حملاتهم الانتخابية إلا «من الجمل أذنه»، أن يحتفوا برؤساء الأقلام هذا العام؟ سؤال من شأنه أن يعيد حسابات رؤساء الأقلام بشأن المكاسب المادية والمعنوية التي لطالما حصلوا عليها.

ظروف عمل سيئة تاريخياً

يتحدّث الأستاذ الثانوي المتقاعد منذ عشر سنوات والمناضل التربوي في هيئة التنسيق النقابية، محمد قاسم، عن ظروف عمل سيئة عاناها رؤساء الأقلام تاريخياً، «أوّلها انتهاك حرماتهم في وزارة الداخلية والسراي بسبب الآليات التنفيذية البدائية، خاصة لجهة حمل صناديق الاقتراع من محل إلى آخر والانتظار في طوابير عند التسلّم والتسليم، عدا الإهانات وسوء معاملة القوى الأمنية لهم. وليس آخرها تعرّضهم للضغوطات عند فرز الأصوات لتزوير النتائج جرّاء غياب وسائل الرقابة على العملية الانتخابية». لهذه الأسباب رفض قاسم أن يكون رئيساً لقلم طوال مسيرته المهنية، لكنّ الأمانة تقتضي القول إن «ظروف عمل رؤساء الأقلام تحسّنت كثيراً مع استخدام التلفزيونات داخل أقلام الاقتراع ووجود جمعيات رقابية مثل لادي ولجنة الإشراف على الانتخابات».

من جهته، يرى الأستاذ الثانوي المتقاعد جورج سعادة أن أوضاع رؤساء الأقلام مرهونة بوجود جسم نقابي متماسك يدافع عنهم، ويتحسّر على أيام حنا غريب عندما «كان لنا ظهر يحمينا». يروي باندفاع، كما لو أنها قصة لعنترة بن شداد، «كيف أوقف غريب عمل

> **الفوضى عند تسلّم صناديق الاقتراع وتسليمها تتكرّر عند كل دورة انتخابية**

رؤساء الأقلام في الانتخابات البلدية لعام 2010، ودعاهم إلى الامتناع عن تسلّم الصناديق على خلفية تعاطٍ سيّئ لعنصر في قوى الأمن الداخلي مع رئيس قلم، ولم تستأنف العملية إلا بعد اعتذار وزير الداخلية آنذاك زياد بارود من رؤساء الأقلام على الهواء وتوقيف العنصر المعتدي». نسأله عن عدد المرات التي كان فيها رئيس قلم، فيجيب: «شاركت في حوالي 5 دورات». يعدّها: «مرة في عكار، مرتين في بيروت، رحلة، البقاع الغربي، صيدا، بيروت»... ثم يصحح لنفسه: «يبدو أنها أكثر بكثير».

إذلال رؤساء الأقلام

في الاستحقاق الأخير عام 2018 «لعنت الساعة» يقول سعادة، معبّراً عن «خيبة أمل» مني بها في ظل وجود «جسم نقابي مهنّئ ومملوك من أزلام السلطة». يومها «وقفنا في صفوف وتعرّضنا للتفتيش والإهانة من القوى الأمنية التي عاملتنا كما لو أننا أجراء». حاول هذا الرجل التسيتي أن يحفظ كرامته فوقف جانباً لعلّ الطوابير تنتهي. لكنّ الوقت تأخر، وبدا له أن الانتظار غير مُجد، فاستسلم لأمر الواقع.

الفوضى في السرايات والقائمقاميات عند تسلّم صناديق الاقتراع وتسليمها هي سوء تصرف تكرّره وزارة الداخلية في كل دورة انتخابية. المشهد يشبه «معركة يقودها الإسكندر المقدوني»، كما يصفه الأستاذ ناجي ياسين، الذي شارك في رئاسة أقلام منذ التسعينيات حتى الاستحقاق الانتخابي الأخير. ورغم «الإذلال»، لا ينكر «المتعة في التلاقي مع الناخبين والاستمتاع بقصصهم السريعة ونهفات بعضهم». يذكر ذات مرة عندما خرجت سيدة من وراء العازل وهي لا تحمل ورقة الاقتراع، وعندما سألها عن السبب أجابته أنها «أسقطتها في فتحة الكرسي المجاور للعازل».

قضية اليوم | مقاتلو الحرب الناعمة

جهات متعددة ومرجعية واحدة

مراقبو الانتخابات... من يراقبهم؟

رندة وهبة

«أصبح السيناريو مألوفاً. يُعلن عن إجراء انتخابات في بلد في مرحلة انتقال سياسي، وله أهمية للمجتمع الدولي، بما يجعلها تبدو مفصلية للأفق الديموقراطي في هذا البلد. قبل أشهر من التصويت، يأتي أول المراقبين الأجانب، بعض الأشخاص من أميركا أو أوروبا الغربية، ويستقرون للإشراف على العملية الانتخابية من البداية حتى النهاية. في الوقت نفسه، ينشئ فريق صغير من المستشارين الأجانب دكاناً في البلد لمساعدة هيئة الانتخابات الوطنية في عملية إدارة الانتخابات. بعد بدء العملية الانتخابية وتسجيل المرشحين وبدء الحملات، تأتي

> **بدأت بعثات غربية التشكيك في الانتخابات منذ أشهر بعد استطلاعات رأي مخيبة للسفارات الغربية**

عدة بعثات مسح/دراسات ما قبل انتخابية من الخارج لتقييم الجو السياسي والتحضيرات الإدارية وفترة الحملات الانتخابية المبكرة، وتصدر تقارير تثير الكثير من الجدل في البلد الخاضع للتدقيق، وتلفت الانتباه إلى جوانب التقصير في العملية، وتدفع السلطات السياسية لاتخاذ خطوات علاجية. هذا السيناريو يصلح لأن يكون في نيكاراغوا أو البوسنة أو روسيا 1996».

(مروان بو حيدر)

زيمبابوي: المعارضة والمراقبة والعقوبات في نفس المطبخ

العلاقات الأميركية مع زيمبابوي بدأت بطريقة ملتبسة. فحركة التحرر في البلاد كانت قد انشقت إلى حزبين أحدهما موال للاتحاد السوفياتي والثاني للصين، والأخير هو الذي انتصر في النهاية تحت قيادة روبرت موغابي. حينها قرع كيسنجر ناقوس الخطر، وتدخل شخصياً للتفاوض على إيان سميث الرئيس الأبيض البريطاني الأصل، لمنع الراديكالية من السيطرة على القارة السمراء، كما صرح بنفسه. عندما بدأ موغابي بتأميم الأراضي المنهوبة من قبل الأقلية البيضاء، وإعادتها لأهل البلاد الأفارقة بعد التحرير، بدأ الأميركيون يعملون من تحت الطاولة لإسقاطه، ولم يتوقفوا حتى اليوم بعد وفاته، لأن تأميم الأراضي هو وصفة تحرر ملهمة وضرورية لدول جوار زيمبابوي من جنوب أفريقيا إلى ناميبيا، وهو أمر خطير جداً للمصالح الأميركية. محاولات الإسقاط عديدة، إحداها انتخابات عام 2002 التي تظهر وثائق «ويكيليكس» أن الأميركيين كانوا يظهرون أنفسهم كطرف حليف للبلاد مقابل البريطانيين والأوروبيين المستعمرين، وكيف كانوا يحاولون إقناع زيمبابوي بقبول البعثات الأوروبية للمراقبة، وفي الوقت نفسه ينسقون مع الأوروبيين توقيت العقوبات على البلاد بعد قبول بعثاتهم، ومع البريطانيين والمعارضة لإسقاط موغابي. العقوبات والمراقبة والمعارضة كلها كانت من تنسيق السفارة الأميركية.

توماس كاروثرز: صعود مراقبة الانتخابات: المراقبون تحت المراقبة، 1997

نشرت هذه الورقة جامعة هوبكينز الأميركية، أما الباحث فهو محام أميركي خبير في شؤون دعم الديمقراطية الدولية والسياسة الخارجية الأميركية، سبق له العمل في وكالة التنمية الأميركية (USAID)، وهو يتقلد منصباً بحثياً رفيعاً في صندوق كارنيغي للسلام العالمي. في الورقة، يسرد الرجل انتشار ظاهرة مراقبة الانتخابات في الثمانينيات، ويرى فيها منافع كثيرة. مع ذلك، يعترف ببعض إشكاليات هذه البعثات، منها التركيز المفرط على يوم الانتخابات وحده، ونقص الخبرة لدى بعض جهات المراقبة التي تهمل التركيز على ما هو خارج عملية الاقتراع بحد ذاتها، وإهمال فترة الترشح المليئة بالتشوهات.

هنا، يعطي مثال الانتخابات الروسية عام 1996، فيفصّل التلاعب والانتهاكات التي أوصلت بوريس يلتسن إلى الرئاسة لولاية ثانية. ومع ذلك، يعتبر أن هذه الانتهاكات لا تنزع الشرعية عن الانتخابات ولا تنتقص من أهميتها لروسيا وللغرب. بمعنى أوضح: شرعية الانتخابات غير مرتبطة بالالتزام بأي معايير، بل بأهميتها ومدى تحقيقها للمصالح الغربية في بلد ما.

لكن ما يغفله الكاتب هو أن هذه المخالفات، عام 1996، قام بها الفريق الأميركي الذي أتى لإنقاذ يلتسن من المأزق الذي غرق فيه باتباعه للسياسات الأميركية. في تلك الانتخابات، كانت هناك مصالح رأسمالية غربية تعتاش على الفساد وبحاجة إلى دمية محلية، وداعمين دوليين ليلتسن، ومراقبين دوليين أيضاً، لذا مرّت الانتهاكات الانتخابية من دون أي ضجيج، وفاز الرجل بالولاية الثانية.

عند مراجعة الحدث، يتملّص الباحث من المسؤولية الأميركية عن سرقة الانتخابات الروسية. لا بل يعتبر أن لا خط فاصلاً يمكن اعتماده لتمييز التحيز الثالث، والأهم، هو إقراره بأن المراقبين يتبعون أجندات سياسية وأيديولوجية تدفعهم إلى التسامح مع مخالفات وتضخيم أخرى بحسب ميولهم السياسية.

يعدّد الباحث المؤسسات الدولية التالية كجهات مختصة بمراقبة الانتخابات: مركز كارتر والمعهد الديموقراطي الوطني NDI والمعهد الجمهوري الدولي IRI من الولايات المتحدة، معهد أوروبا، والبعثات المرسلة من الحكومات الأوروبية، والمجموعات البرلمانية والحزبية، والأمم المتحدة UNEAD، ومنظمة الدول الأميركية OAS، ومنظمة الأمن والتعاون في أوروبا OSCE، والاتحاد الأفريقي. وتضاف إليها المؤسسة الدولية لنظم الانتخابات (IFES) التي، بحسب «ويكيليكس»، تبدو جزءاً من ترويكا أميركية معتمدة للتدخل الانتخابي في دول عدة منها لبنان والعراق وغيرهما من الدول المستهدفة أميركياً. وتتألف التروبكا من IFES وNDI وجمعيات «محلية» ممولة من جهات غربية إن لم تكن أميركية على وجه التحديد. وهي تلعب أدواراً مختلفة كما يرد في بحث كاروثرز، لكنها مكمّلة لبعضها بعضاً، من متابعة المرحلة التحضيرية إلى استطلاعات الرأي وإصدار التقارير فمراقبة العملية الانتخابية. ومرجع كل المؤسسات المذكورة، سواء كانت أميركية أو أممية أو أوروبية، هي مبادئ الأمم المتحدة لمراقبة الانتخابات التي تم تبنيها من قبل 55 منظمة شبه حكومية. لكن هذه المبادئ التي ترفع بأفضل الأمم المتحدة تعود لـ«NDI» في الحقيقة، كما يتضح على موقع الصندوق الديموقراطي، فهي التي أدارت كل عملية إنشائها وتبنيها، ولم تكن الأمم المتحدة إلا مدعوّة لحمل اسمها.

نزع شرعية مسبق الدفع

استطلاعات الرأي، كما تقول ورقة كاروثرز، جزء من الباقة الأساسية الجاهزة التي يستخدمها الغرب في «مراقبته» للانتخابات للدول الانتقالية. وبناء على استطلاعات الرأي التي أجرتها سفارات غربية عدة في لبنان، والتوقعات المخيبة للآمال لكل ما يسمى بالقوى التغييرية والسيادية التي ركبت موجة 17 تشرين، بدأت تظهر منذ أشهر تقارير تشكك بشرعية الانتخابات بشكل مسبق، منها ما هو أميركي، ومنها ما هو سعودي وقطري، ومنها ما هو أوروبي. كل من اكتشف أنه حصانه خاسر أصدر تقريراً أو مقالاً ينزع الشرعية عن الانتخابات. على سبيل المثال، هناك بيان بعثة الـ«NDI» الافتراضية للانتخابات اللبنانية، وهي بعثة افتراضية بحجة «كوفيد»، مع أنها عملت منذ منتصف شباط الماضي. أعضاء البعثة من الأردن وجورجيا وكندا، علماً أن رئيسة فرع الصندوق في لبنان مسؤولة جورجية الجنسية - وجورجيا من الدول المخترقة أميركياً حتى النخاع. توصلت اللجنة إلى أن حرية وديموقراطية هذه الانتخابات في خطر بسبب الميزانية الهزيلة وصعوبة وصول المقترعين بشكل عادل خصوصاً مع شح الوقود والأزمة الاقتصادية، من دون أي ذكر للدور الأميركي في هذه الأزمات. بعض المبررات الأخرى التي ذكرها البيان القديمة التي كانت موجودة في انتخابات 2009 و2018، مثل مراعاة حقوق ذوي الاحتياجات الخاصة ودعم المرأة في الترشح ومسائل الجذرة، أصبحت اليوم عقبة في وجه شرعية هذه الانتخابات، فيما كانت سابقاً مسائل هامشية حين هللت المؤسسة لنزاهة الانتخابات الماضية. في البيان أيضاً، يبدو الخوف واضحاً من تداعيات مقاطعة السنّة للتصويت، واحتمال التعويل على هذه المقاطعة كأداة للطعن في شرعيتها، كما يبدو واضحاً التعويل على تصويت المغتربين، من دون أي ذكر للتخويف الذي يتعرض له من لا يؤيدون «الثورة» في الخليج والغرب.

مستوى أعلى من الطعن في شرعية الانتخابات صدر على موقع «معهد كارنيغي للسلام العالمي» في مقال لنيكولاس نو بعنوان «كارثة لبنان الانتخابية التي تلوح في الأفق». صدر المقال نهاية شباط الماضي، ويقول بـ«الينط العريض» إن «الانتخابات البرلمانية اللبنانية الأولى بعد الانتفاضة ستتسم غالباً بمستوى غير مسبوق من الفساد والتلاعب إلا إذا تم إبرام اتفاق دولي يسمح للبنانيين التصويت بحرية وأمن نسبيين». لم يعبأ نو بتبرير هذه الادعاءات بأي شواهد ودلالات ملموسة تؤكد نبوءاته السوداوية، بل أكثر من ذلك، توقع أن تسود لبنان الفوضى بعد سرقة صوت اللبنانيين الانتخابي، خصوصاً أن الدولة ضعيفة و«الجيش هزيل ويعتمد على المعونات الخارجية لتأمين لقمة عيشه».

أما أعلى سقوف الطعن المسبق فجاء من «الجمعية اللبنانية من أجل ديموقراطية الانتخابات» (لادي). في مقال لها على موقع مؤسسة «هاينرش بُل» الألمانية، وهو موجه للمراقبين الدوليين، تؤكد أن انتخابات العام 2018 كانت غير ديموقراطية وغير حرة، وتحذر المراقبين الدوليين من أن سير العملية الانتخابية بشكل سلس ونظامي لا يكفي لإعطائها الشرعية، لأسباب أهمها أن مراقبة العملية الانتخابية بحد ذاتها لا يلحظ عامل الزبائنية السياسية أو لا يأخذ في الاعتبار اختلاف وزن الصوت الانتخابي بين المناطق، من بين مسائل أخرى لم تتغير منذ انتخابات 2009 التي راقبتها المؤسسة ولم تشكك في شرعيتها حينها، رغم العدد الكبير من المخالفات التي رصدتها بنفسها. طبعاً، «هاينرش بُل» من اللاعبين المنحازين سياسياً في الساحة اللبنانية، كما هي الـ NDI، المؤسسة الأم التي ساهمت في نشوء «لادي». وفي ظل كل هذه المعطيات يبدو أن المراقبين بحاجة إلى مراقبة، ويجب التأكد من عدم انحيازهم على مستوى الساحة الداخلية، وعدم الارتباط مع جهات وأجندات خارجية، حتى لا يتحولوا لاعباً انتخابياً، ويفقدون شرعية المراقبة.

فنزويلا: حول جدوى المراقبة

لا تكاد تخلو دولة لاتينية من التدخل الأميركي في انتخاباتها، وأهمها طبعاً فنزويلا. ورغم إدراك السلطات الفنزويلية بالدور التجسسي لهؤلاء المراقبين، إلا أن كاراكاس تستقبل هذه البعثات كل مرة، للتأكيد على ديموقراطية الحكم فيها.

في الانتخابات الأخيرة عام 2018، بدأ مسؤولون غربيون التشكيك في شرعية الانتخابات بشكل مسبق. ورغم من أن هذه الانتخابات الأكثر خضوعاً للمراقبة في العالم بأنظمة مراقبة رقمية وحماية محكمة، بشهادة الصحافي البريطاني الكندي جيرمي فوكس الذي كان بين المراقبين، لم يمنع ذلك الدول الغربية من اختراع رئيس شرعي بديل لمادورو، وهو خوان غوايدو، من دون أي دليل على شرعيته أو شعبيته أو حتى قبوله لدى الجماهير الفنزويلية. وبمعيته تم تشديد العقوبات على بلاده وسرقة الذهب الفنزويلي لدى بريطانيا.

LADE

عين الغرب الساهرة على الانتخابات

جوليا قاسم

رسّخت «الجمعية اللبنانية من أجل ديموقراطية الانتخابات» (LADE) نفسها الجهة الرئيسة لمراقبة الانتخابات في لبنان، وهي المنبثقة من «المركز اللبناني للدراسات السياسية» (LCPS) في آذار 1996. أول من ترأس الجمعية كان بول سالم، الذي لعب أيضاً دوراً بارزاً في تأسيس كلّ من «المركز اللبناني للدراسات السياسية» (LCPS)، و«مؤسسة فارس»، و«مركز كارنيغي للشرق الأوسط».

من الجهات الرئيسية التي أسهمت في تأسيس (LADE) وتمويلها «المعهد الديموقراطي الوطني» (NDI) و«الصندوق الوطني للديموقراطية» (NED)، من أجل جعل معايير مراقبة الانتخابات في لبنان «ترقى إلى مستوى معايير المجتمع الدولي». وقد أسهمت NDI في تأسيس منظّمات مراقبة الانتخابات في 156 دولة حول العالم، ودعم 300 منظمة مدنية لمراقبة الانتخابات و925 حزباً ومنظمة سياسية، و10000 مشرّع.

انضمت «الجمعية اللبنانية من أجل ديموقراطية الانتخابات» إلى «الشبكة العربية لديموقراطية الانتخابات» (ANDE)، وأصبحت كلتاهما جزءاً من «الشبكة العالمية لمراقبي الانتخابات المحلية» (GNDEM) التابعة «للمعهد الديموقراطي الوطني» (NDI)، وشاركتا في تأسيس «مراقبون»، وهي هيئة مراقبة الانتخابات في تونس.

تؤكّد «لادي» أنها تقدم خدمات مراقبة الانتخابات بحيادية، بناء على طلب أيّ جماعة أو منظّمة في لبنان، وتلتقي مع كل الأحزاب والمجموعات المختلفة لئلّا يتعرقل عملها في مراقبة الانتخابات والوصول إلى المعلومات. وفي هذا الإطار، يشدد أمين سرّ الجمعية حسين مهدي لـ«الأخبار» أنه على عكس المنظمات الأخرى، «ترفض LADE التوقيع على أيّ وثيقة تتعلق بقانون محاربة الإرهاب، لأننا نعتقد أنه يجب أن نكون قادرين على الجلوس مع كل الأحزاب والمرشحين». إضافة إلى (NDI) و(NED) ، تتلقى الجمعية تمويلاً من مؤسسات أوروبية وأميركية. لكنها تشدّد على أنّ الدعم الخارجي لا يتعارض مع عملها، مؤكّدة أنها ترفض تلقي الأموال مباشرة من المؤسسات الحكومية التي تدعم بشكل خاص المنظمات التي تتدخل مباشرة في الشؤون اللبنانية الداخلية، مثل «الوكالة الأميركية للتنمية الدولية» (USAID)، والسفارة الفرنسية، والسفارة السعودية. ويشير مهدي إلى أنّ مواقف الجمعية منفصلة عن مموليها، لافتاً، على سبيل المثال، إلى أنه بعد انتخابات 2018 التي شهدت فوز تحالف 8 آذار بغالبية برلمانية، والتي اعتبرها الاتحاد الأوروبي و«المعهد الديموقراطي الوطني»

> **تشدّد «لادي» على أنّ الدعم الخارجي لا يتعارض مع عملها رغم المصادر الأميركية لتمويلها**

ديموقراطية، ارتأت الجمعية أنّ الانتخابات كانت «غير ديموقراطية». ومن ضمن مشاريع الجمعية أخيراً، تعيين وتدريب مراقبين للانتخابات في 60 دولة خارج لبنان لمراقبة اقتراع المغتربين الأسبوع الفائت.

تاريخ LADE الانتخابي

في آب 1996، بعث إريك غولدشتاين، رئيس منظمة «هيومن رايتس ووتش» آنذاك، إلى وزير الداخلية اللبناني ميشال المر، بشكوى نيابة عن (LADE) حول رفض وزارة الداخلية البت بوثائق تسجيل الجمعية، اتّهمت الرسالة وزارة الداخلية، ولا سيما سامي شقير، أحد مسؤولي الوزارة، برفض تسجيل الجمعية وإصدار رقم تسجيل. وبحسب ما أوردته شهادة «هيومن رايتس ووتش» حول رواية الجمعية، رفضت وزارة الداخلية تسجيل الجمعية للمرة الثانية بعد محاولة تسليم المستندات مع وسيط قضائي، وجرى إبلاغ الجمعية أنه سيتم اعتبارها «جمعية سرية غير قانونية» في حال استمرّت بنشاطها في لبنان. وأضافت المنظّمة أنها رصدت حالات أخرى لرفض وزارة الداخلية إصدار أرقام تسجيل لبعض المجموعات، وعام 1995 سجّلت حالة طُلب فيها من إحدى المؤسسات تغيير نظامها الداخلي. وشددت رسالة «هيومن رايتس ووتش» على أنّ المشكلات المتعلقة بتسجيل بعض هذه الوكالات، بما فيها «LADE»، تعود إلى عام 1992. وكان هذا يعكس كيف كانت الولايات المتحدة ترى انحياز قوانين الانتخابات ما بعد الطائف لصالح القوى الحليفة لسوريا، فأتى تأسيس الجمعية متماهياً مع الهدف الأميركي الرئيسي للبنان حينها، وهو إضعاف الجهات الحليفة لسوريا في السلطة التي تشكلت بعد اتفاق الطائف. وأتاح وجود الجمعية المراقبة الدولية على مدى «الانسحاب السوري الكامل من لبنان» في فترة الانتخابات عام 2005. أخيراً، زاولت الجمعية عملها في العلن وبحرية عام 2005 عندما كان زياد بارود أميناً عاماً لها وأحمد قعّقع وزيراً للداخلية، قبل أن يتولّى الأول وزارة الداخلية عام 2008. وقد اعتبرت LADE تجربة بارود في الداخلية نموذجية وأسهمت في نيل الوزارة جائزة الأمم المتحدة لأفضل إدارة عامة بالإضافة إلى كونه «شكّل سابقة في التعاون مع المجتمع المدني. كيف لا؟ وهو المتمرّس في مؤسساتة وحملاته المطالبة بحقوق الإنسان والعدالة والمساواة».

قبيل انتخابات 2005، شاركت الجمعية في حملة للتشجيع على التصويت مع «الوكالة الأميركية للتنمية الدولية» (USAID) كذراع لـ(NDI) في مراقبة الانتخابات ونتائجها. وخلال انتخابات 2005 و 2009، كان العديد من موظفي (LADE) أعضاءً في حركة «اليسار الديموقراطي» التابعة لتكتل 14 آذار الذي طلب من الجمعية مراقبة الانتخابات في الدورتين.

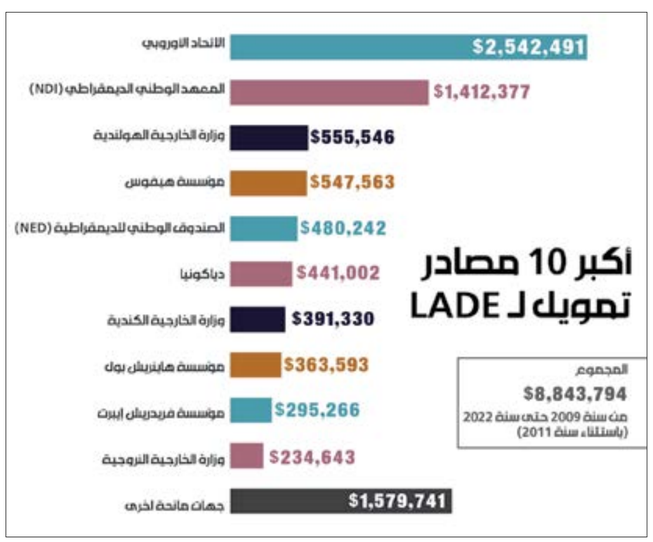

السفير الأميركي في موسكو متلبّساً

عيّن مايكل مكفاول سفيراً أميركياً لدى روسيا قبيل انتخابات برلمانية شديدة الأهمية نهاية فترة حكم دميتري ميدفيديف عام 2011. ومكفاول مختص بالشأن الروسي قبل أن يكون سفيراً، وهو من مؤسسي «معهد كارنيغي» - موسكو، ومن الأشخاص المحوريين لما سمي بـ«إعادة الضبط» للعلاقات الأميركية - الروسية، وهي في الظاهر إصلاح العلاقات بين البلدين، أما في العمق فهي توق إلى إعادة إخضاع روسيا كما كانت الحال أيام يلتسن. في كتابه الصادر عام 2018 بعنوان «من الحرب الباردة إلى السلام الحار»، كتب مكفاول أنه خطط لأن تكون الـ 100 يوم الأولى في منصبه الجديد من دون ضجيج، وأن يتحرك بوتيرة منخفضة، وأن يلعب بطاقة حبّه لروسيا والثقافة الروسية. إلا أنه فشل بسبب حملة روسية ظالمة تتهمه بالتآمر على الحكم في روسيا. وشرح مكفاول لماذا يفضل ميدفيديف. فالأمر هنا لا يتعلق بحرية الروس أو بالديموقراطية أو بمحاربة الفساد، بل لأن ميدفيديف فرض عقوبات على إيران، وفتح لأميركا خط إمداد على أفغانستان، ولبّى طلب واشنطن بامتناع روسيا عن التصويت في الأمم المتحدة حيال قصف ليبيا. وبكلام مكفاول نفسه «لم يوجد قائد سوفياتي أو روسي يقبل بتدخل عسكري غربي ضد دولة ذات سيادة على الإطلاق» سوى ميدفيديف.

وكان مكفاول قد التقى والرئيس السابق للـCIA ويليام بيرنز بقادة المعارضة الأوروبية، ولها فرع في روسيا، كما تنتشر في شرق أوروبا ودول الاتحاد السوفياتي السابق، وقد أثير حولها عدد من الفضائح أدّت إلى طردها من روسيا الصيف الماضي.

لماذا يكون حلّ حزب الكتائب وحظره واجباً وطنيّاً؟

أسعد أبو خليل *

ليس حزب الكتائب حزباً عادياً في حياة الجمهورية اللبنانية. الحزب كان في سنوات طفولتي وصباي حزباً هامشياً يسخر منه خصومه وبعض حلفائه. رئيسه لم يكن يحسن النطق، لا بالعربية ولا بالفرنسية. وكان في مثال قيادته أقرب تقليد محلّي للزعامات الفاشية والنازيّة الأوروبيّة. الانضباط والتنظيم الحديدي والعسكرة والقائد الأوحد كانوا عناوين التجربة. وكان ببار الجميّل وهو يقود سيارته — حتى عندما كان وزيراً — ينزل منها ولا يتورّع عن لكم سائق سيارة لا تعجبه طريقة قيادته. والحزب حزب هامشي تضخّم بفعل الدعم الخارجي والاحتقان الطائفي والدعم الشهابي. نعلم اليوم أن الحزب بدأ بتلقّي الدفوعات والتمويل الإسرائيلي من الخمسينيّات من القرن الماضي. إلياس ربابي كان ضابط الاتصال المبكر مع الحركة الصهيونية ثم مع دولة العدوّ (ربابي هذا انضم في ما بعد إلى السلك الدبلوماسي، لكن ما لبث أن طُرد منه في حملة «التطهير» ضد الفساد في عهد شارل حلو). كان ذلك قبل ولادة حزب الله وقبل ولادة منظمة التحرير الفلسطينيّة وقبل ولادة يحيى السنوار. حزب الكتائب نجح فقط من حيث تسويق نفسه محلياً وخارجياً:

1- محلياً صعّد فقط في 1958 عندما برز كمدافع عن الدولة الطائفية بوجه المحتجّين من المسلمين واليساريّين والعروبيّين. كان يمثّل حماية الطغيان والامتيازات الطائفية. هذا حزب كان وقحاً في طائفيّته، إلى درجة أنه عارض تعليم المسلمين. لم يكن يريد جامعة لبنانية لأنه خشي من انتشار التعليم بين المسلمين. حزب الكتائب عارض أيضاً منح شهادة التوجيهيّة والاعتراف بها لأن ذلك يمكن أن يزيد من نسبة المسلمين الصالحين للوظائف في الدولة والمجتمع. الحزب الطائفي أراد المسلمين عمالاً وماسحي أحذية فقط. هذا هو ببار الجميّل وحزبه. لم يكن موضوع السيادة مطروحاً آنذاك لأن الحزب كان الخارق الأول لها عبر الاستعانة بدعم غربي وإسرائيلي لمليشياه. الحزب تلقى سمّ «الأحرار» تسليحاً إسرائيلياً في الخمسينيّات وكان شاه إيران من المعجبين بالتجربة أيضاً وتلاقى في ذلك مع رؤية إسرائيل.

2- على الصعيد الإقليمي والدولي، طرح الحزب نفسه كحامٍ للمصالح اليمينية الغربيّة ضد المدّ اليساري والقومي العربي. ينسى البعض أن التصريحات اليوميّة لبيار الجميّل (لاحقاً عمل البروباغندا المُتقن: حزب الله لا ينطق مسؤولوه إلا لماماً، فيما رئيس حزب الكتائب كان يمدّ الصحف بتصريح يومي كان يعدّه له إما جوزيف أبو خليل أو جوزيف الهاشم، وكان رئيس تحرير «النهار» يشذّبه له لمحو عبارات قد تكون صارخة في احتقارها للمسلمين — اعترف لويس الحاج في «من مخزون الذاكرة» بذلك). حزب الكتائب اللبناني لم يكن ليصعد في الستينيّات لولا دعم فؤاد شهاب (ودعم الغرب في الحرب ضد الشيوعية والقومية العربيّة). فؤاد شهاب، وخلافاً للكلام عنه من بضاعة «الزمن الجميل» القبيح، كان رجلاً مقوداً لا يغفر لخصومه. لاحظوا التنكيل الذي تعرّض له الحزب السوري القومي الاجتماعي في عهده. يشكل التعذيب والقتل الذي لاحق أعضاء الحزب فصلاً مجهولاً من تاريخ لبنان (ومن تاريخ فؤاد شهاب). فؤاد شهاب كان يكره ريمون إدة وأطلق العنان (كأي رئيس فاسد) لاستخدام أجهزة الدولة من أجل دعم خصوم ريمون إدة، وكان أبرزهم حزب الكتائب. حزب الكتائب كان أقرب إلى جميعة أوغاد مؤيّدة للاستعمار الفرنسي، لكن الجميّل أدرك في الساعات الأخيرة للاستعمار أن عليه الظهور بمظهر المعترض على الاستعمار (المغادر). وكان هناك صورة مسرحية بالضادة للإيحاء بأن الاستعمار اعتدى عليه، وهو الذي كان من أدواته. بيار الجميل هو تجربة اقتفاء آثار النازية الألمانية التي ألهمته في تأسيس الحزب عندما حضر الألعاب الأولمبية في برلين (ولهذا فإنّ عنصريّة الحزب ليست حدثاً عارضاً أو هامشياً، بل من صلب العقيدة) ومحاولة ليبراليّي صحافة السعودية والإمارات لصق تهمة النازية بالحزب السوري القومي الاجتماعي ضعيفة لأنّ الحزب لم يخض يوماً معركة أو حملة عنصريّة في تاريخه (وكلام أنطون سعادة عن «اليهود» تحوّل منذ الستينيّات إلى عداء للصهيونيّة كعقيدة)، كما أن سعادة ذمّ العنصريّة في بعض كتاباته حتى تلك التي تشكّل إشكاليّة وتتضمّن عنصريّة مستوردة من كتابات غربية. بيار الجميّل زعيم نازي عن جدّ ولم يكن يقبل المجادلة وكانت سياسات الحزب أوامر منه، فيما كان أنطون سعادة يخوض نقاشات لساعات مع طلّاب في مدارس ثانويّة وجامعات. الحزب القومي ضحّ فكر العلمانيّة ونبذ الطوائف (وقد يكون أنجح حزب في تاريخ لبنان في التنشئة العلمانيّة—وكان أنجح بكثير من الأحزاب الشيوعيّة التي هجر بعض أفراد منها وانضووا في أحزاب يمينية وطائفيّة في ما بعد).

حزب الكتائب كان حزب الدفاع عن نظام القهر الطبقي والطائفي، وكان يعارض منح حقوق المواطنة للمسلمين. وكان يُروّج لنفسه للغرب كتشكيل الأوغاد الفعّال ضد الحركات اليسارية. إن صعود بشير الجميّل سبق اندلاع الحرب: شكّل بشير فريقاً من الزعران الأشدّاء للتجوال في الجامعات والمدارس لضرب الطلاب اليساريّين والمناصرين لقضيّة فلسطين وتعنيفهم. وكانت السفارة الأميركيّة، بالتنسيق مع إدارة الجامعة الأميركيّة، تستعين بهم لضرب اليسار. ومنذ الستينيّات في عهد شارل حلو، كان كميل شمعون وبيار الجميل يعزفان نفس سمفونية استجداء السلاح والمال من أجل ضرب اليسار (ثم ضرب المقاومة في ما بعد). في اجتماعاتهم مع الدبلوماسيّين الأميركيّين، وهذا العرض من قبل أوغاد ميليشيات اليمين شكّل عنصر جذب لإسرائيل وكل الأنظمة الرجعية التي أمدّتهم بالمال والسلاح.

حزب الكتائب ليس حزباً عادياً. هو سعّر الحرب الأهليّة في 1958 وكان وراء اغتيال نسيب المتني الذي أشعل اغتياله الحرب الأهليّة. ونحن نعلم اليوم من إصدارات وثائق الدبلوماسية الأميركية أن الحزب كان أداة غربيّة - إسرائيليّة في إشعال الحرب. كل ويلات الحرب وما بعدها يتحمّل هذا الحزب المسؤولية عنها. الحزب كان يحاول إشعال الحرب منذ 1969: أحياناً كان يربّب كمائن لقوافل فلسطينية في الخكالة، وأحياناً أخرى كان يطلق النار على فلسطينيّين في المخيّمات من الدكوانة. وفي عام 1973، أمر رئيس جمهوريّة لبنان بفتح كل خزائن الجيش اللبناني لمليشيات اليمين من أجل القضاء على المقاومة الفلسطينيّة التي كانت تتجنّب أيّ إشعال للحرب (وكان هذا خطأً كبيراً من ياسر عرفات ومن كمال جنبلاط وجورج حاوي ومحسن إبراهيم لأنهم أعطوا أفضليّة التحضير لمليشيات اليمين—علمنا من مقالة لغسان شربل، صحافي آل سعود، أن محسن إبراهيم كان «يُفضفض ويسرّ له وشكا أمامه من لجوء الحركة الوطنية إلى السلاح. كان يريدنا مهزومين). ولولا مساندة المقاومة الفلسطينيّة لرصاص حرب الفنادق، لكانت مليشيا بشير الجميل قد اجتاحت كل منطقة الحمرا واستولت على المصرف المركزي كما كان المخطط الجهنمي الشرير. وحدها جبهة الرفض الفلسطينيّة كانت (بلسان جورج حبش وآخرين) تحذّر منذ أوائل السبعينيّات من مخطط التعزيل لإشعال الحرب الأهليّة تنفيذاً لمؤامرة إسرائيليّة - أميركيّة - رجعية عربيّة. هذه ليست عبارة اليسار. الحزب خطّط لإشعال حرب أهلية وتغذيتها من الخارج من أجل الحفاظ على النظام الطائفي الجامد ومنع فتات جديدة من الاستفادة من الوظائف والحقوق السياسيّة (الحزب جمع بين العداء لليسار والعداء للمسلمين. أذكر مرّة سألت أنطون نجم (واحد من أشرس منظّري الفاشيّة في لبنان والعقل المدبّر لبيار وبشير الجميّل، وزرته بحجة بحث دراسي جامعي) عن سبب طائفيّة التركيبة الحزبيّة، فقال لي: كان هناك عضو للحزب بيروتي اسمه كمال بن بيت طبّارة، لكنّ المسلمين أحرقوا له منزله فتاب. سألته: لكن لماذا أحرقوا منزله؟ الحزب لم تكن محتومة في لبنان. لم يكن اليسار والمسلمون يطالبون بتغيير النظام. كان صائب سلام يمثّل الإسلام التقليدي واليساريّين. كان عناصر جيش أمين الجميل (والجيش في حينه كان ميليشيا) يخطفون المسلمين واليساريّين ويغتصبون النسوة. وأمين الجميل، ابن المؤسس الذي استعان بجيشين لفرض سيطرته على اللبنانيّين، عاد واستعان بجيوش «الأطلسي» لفرض نظامه بالقوّة ضد خصومه في الحرب الأهليّة. لكن عهد أمين الجميل كان عهد هزيمة منكرة لحزب الكتائب. كان يمكن أن تكون نهاية عهده نهاية مؤكدة لولا أنه استعان مستنجداً بالنظام السوري الذي زاره أكثر من أي رئيس جمهورية في تاريخ لبنان. هذا حزب السيادة. هذه دعوة لحصول إجماع على منع حزب الكتائب وحظره ومحاكمته تاريخياً على دوره في حقبات العنف والفتنة والاحتراب الداخلي في سنوات الجمهوريّة. الحزب أدخل إسرائيل في السياسة اللبنانيّة قبل عقود من بروز المقاومة الفلسطينيّة. هذا حزب يُعيد تجديد نفسه بنفاق وخداع معروف عنه. يحاول أن يذكّر بصفته كحزب «ديموقراطي اجتماعي»، على طريقة الإسم الكامل للحزب النازي. هذا حزب لم يتلّ فعل الندامة مرّة ولا طلب الغفران من ضحاياه. في الوقت الذي كان فيه قادة الحركة الوطنيّة يعتذرون عن شهداء الحركة الوطنيّة ويعبّرون عن خجلهم من تضحياتهم، كانت القيادة الكتائبية، بصفاقة معروفة عنها، تُطلق صفة «المقاومة اللبنانيّة» على جرائمها. لنصدّقهم لولهلة أن قتالهم ومجازرهم ضد المخيّمات التي ابيدت كانا من ضمن مقاومتهم، لكن هل كان قتل مسلمين لبنانيّين وتهجيرهم من المناطق الشرقيّة مقاومة؟ هل كان قتالهم مع إسرائيل بعد مغادرة قوات منظمة التحرير مقاومة أيضاً؟ هل مجازر صبرا وشاتيلا ضد مدنيّين لبنانيّين وفلسطينيّين من مقاومتهم أيضاً؟ لو أنسى لا أنسى ما روته لي فتاة فلسطينيّة قابلتها في جامعة أميركيّة قبل سنوات. روت لي أنها عندما كانت طفلة مختبئة تحت سريرها شاهدت مجرمي «الكتائب» وهم يغتصبون بالتداور أمّها قبل قتل بالمئات على مدار ساعات طويلة؟ وهل يُعقل أن الحزب على مستوى القيادة لم يكن يعلم؟

هذا ليس حزباً عادياً. هذا حزب جرائم الحرب في تاريخ لبنان. هذا حزب لم يتوقّف منذ التأسيس عن الارتهان للخارج. هذا حزب استدعاء الجيش السوري وجيش الاحتلال الإسرائيلي معاً. هذا الحزب مسؤول بصورة مباشرة (أكثر من الجميع) عن عشرات الآلاف ضحايا الحرب من جنسيات ثلاث (سورية ولبنانية وفلسطينيّة). طالبت الحركة الوطنية والمقاومة الفلسطينيّة والجبهة المشتركة للثورة الفلسطينيّة بعزل حزب الكتائب بعد ارتكاب مجزرة عين الرمّانة. لكن لا كمال جنبلاط ولا ياسر عرفات ولا جورج حاوي ولا محسن إبراهيم كانوا جديّين في المقاطعة، بل استمروا في تبادل الرسائل واللقاءات السرّية مع قادة اليمين اللبناني. لو أن الحركة الوطنية والمقاومة الفلسطينيّة أصرّتا على مقاطعة وحظر حزب الكتائب وتعميم الحظر على مستوى العالم العربي لكان الحزب فقد الكثير من شرعيّته السياسيّة. لكن الحزب استمرّ في علاقته العربيّة: من النظام السوري إلى أنظمة الخليج التي رعته، وخصوصاً في الرياض (نعلم اليوم—ولم نكن نعلم ذلك من قبل—أن سعود الفيصل كان الراعي العربي الرسمي لبشير الجميل وتشارك مع إسرائيل في رعايته تنصيبه رئيساً على لبنان). هناك محاولة لطمس تاريخ الحزب أو مساواة مشاركته في الحرب مع مشاركات أحزاب أخرى. ليس من سجّل في الحرب يماثل تاريخ هذا الحزب. هذا حزب كان يرتكب مجزرة بصورة يوميّة في الحرب. قد يكون الحزب من مستحقّي الحصول على براءات اختراع في ميدان التعذيب. ولم يكتفِ الحزب بسجلّ الإجرام في الحرب، فله سجل في السلطة أيضاً (يعتبر سامي الجميل الإصلاحي أن سجلّ النهب والسرقة والنصب في عهد أمين الجميل وشركاه سامي مارون وروجيه تمرز هو أفضل عهود لبنان الرئاسيّة). حقّبة امين الجميّل ليست مثل غيرها: هي حقبة الفساد على مستوى لم يعرفه من قبل (مع أن سجل السرقات في عهد سليمان فرنجية خصوصاً في قطاع الاتصالات كانت سابقة هي الأخرى). وعهد امين الجميل كان عهد الحرب على المسلمين

(الأرشيف - مروان طحطح)

> عندما أطلق شعار «ثورة من فوق» وذلك لمنع «ثورة من تحت». لكن لم يكن شمعون والجميل يقبلان بالإصلاح أبداً (حكم شمعون والجميل لبنان في عهد سليمان فرنجيّة ولم تكن الخلافات إلا حول حصص وتفاصيل). أرادوا الدفاع عن النظام مقابل تسديد خدمات للغرب وإسرائيل والرجعية العربيّة في ضرب اليسار والمقاومة الفلسطينية. لكن «الكتائب» و«الأحرار» بالغوا في تقدير قوّتهم الذاتيّة. بحلول عام 1976 وانْدحار «الكتائب» في معركة الفنادق، كانت الدفة تميل ضدّهم وبدأ التفكير عندهم بخيار الاستعانة بالنظام السوري. وكان حكمت الشهابي المنشق بين النظام السوري والإدارة الأميركية من أجل التصدي للبيسار والمقاومة الفلسطينية معاً. لم يكن النظام السوري الحريص على تبريد الجبهة مع العدوّ ليقبل بساحة متفلّتة في لبنان. شمعون والجميّل مثّلا دوراً أعادا تمثيله أمام قادة إسرائيل (ورواه اريبل شارون في مذكراته). زار شمعون والجميل سوريا وانْتحب الجميّل أمام حافظ الأسد، مُطالباً بتدخل الجيش السوري. هكذا دخل الجيش السوري إلى لبنان. لم يدخل عبر الحركة الوطنية أو المقاومة التي وقفت ضد تدخّل الجيش السوري (أطلق شفيق الوزان في «التجمّع الإسلامي» صفة «التوغّل» وذلك تجنّباً لوصف الاجتياح الذي نقرنه بتدخّل جيش العدوّ في لبنان).

حزب الكتائب ليس مسؤولاً فقط عن إشعال الحرب الأهلية، بل هو مسؤول عن المبادرة في كل جرائم الحرب. هو الحزب الذي أطلق العنان للغرائز الطائفيّة. تمّ العثور بعد أصعب ما مرَّ به كان صراخ امرأة كانوا يمعنون في تعذيبها واغتصابها في الليل. قال لي: أستطيع أن أنسى معاناتي، لكن ماذا عن صراخ تلك الامرأة؟

حزب الكتائب باشر بالقتل على الهويّة: على أساس طائفي وعلى أساس وطني. كان الفلسطيني يُقتل على الحواجز، كما كان المسلم يُقتل. هذا المرض ابتدعه الحزب وانتقل إلى مناطق أخرى. ينسى الناس أن الحرب لم تكن ذات منحى طائفي في المقلب الغربي من بيروت في بداية الحرب. السبت الأسود، عندما قام بشير الجميل بقتل مئات من الفقراء المسلمين اللبنانيّين والفلسطينيّين والسوريّين فقط بسبب الانتماء الطائفي، كان التدشين الرسمي لإدارة على أساس الهوية الطائفيّة. كتاب جوزيف سعادة منقوص. هل يصدّق عقل أن شخصاً واحداً ارتكب جريمة قتل بالمئات على مدار ساعات طويلة؟ وهل يُعقل أن الحزب على مستوى القيادة لم يكن يعلم؟

هذا ليس حزباً عادياً. هذا حزب جرائم الحرب في تاريخ لبنان. هذا حزب لم يتوقّف منذ التأسيس عن الارتهان للخارج. هذا حزب استدعاء الجيش السوري وجيش الاحتلال الإسرائيلي معاً. هذا الحزب مسؤول بصورة مباشرة (أكثر من الجميع) عن عشرات الآلاف ضحايا الحرب من جنسيات ثلاث (سورية ولبنانية وفلسطينيّة). طالبت الحركة الوطنية والمقاومة الفلسطينيّة والجبهة المشتركة للثورة الفلسطينيّة بعزل حزب الكتائب بعد ارتكاب مجزرة عين الرمّانة. لكن لا كمال جنبلاط ولا ياسر عرفات ولا جورج حاوي ولا محسن إبراهيم كانوا جديّين في المقاطعة، بل استمروا في تبادل الرسائل واللقاءات السرّية مع قادة اليمين اللبناني. لو أن الحركة الوطنية والمقاومة الفلسطينيّة أصرّتا على مقاطعة وحظر حزب الكتائب وتعميم الحظر على مستوى العالم العربي لكان الحزب فقد الكثير من شرعيّته السياسيّة. لكن الحزب استمرّ في علاقته العربيّة: من النظام السوري إلى أنظمة الخليج التي رعته، وخصوصاً في الرياض (نعلم اليوم—ولم نكن نعلم ذلك من قبل—أن سعود الفيصل كان الراعي العربي الرسمي لبشير الجميل وتشارك مع إسرائيل في رعايته تنصيبه رئيساً على لبنان). هناك محاولة لطمس تاريخ الحزب أو مساواة مشاركته في الحرب مع مشاركات أحزاب أخرى. ليس من سجّل في الحرب يماثل تاريخ هذا الحزب. هذا حزب كان يرتكب مجزرة بصورة يوميّة في الحرب. قد يكون الحزب من مستحقّي الحصول على براءات اختراع في ميدان التعذيب. ولم يكتفِ الحزب بسجلّ الإجرام في الحرب، فله سجل في السلطة أيضاً (يعتبر سامي الجميل الإصلاحي أن سجلّ النهب والسرقة والنصب في عهد أمين الجميل وشركاه سامي مارون وروجيه تمرز هو أفضل عهود لبنان الرئاسيّة). حقّبة امين الجميّل ليست مثل غيرها: هي حقبة الفساد على مستوى لم يعرفه من قبل (مع أن سجل السرقات في عهد سليمان فرنجية خصوصاً في قطاع الاتصالات كانت سابقة هي الأخرى). وعهد امين الجميل كان عهد الحرب على المسلمين

> نحن نعلم اليوم من إصدارات وثائق الدبلوماسية الأميركية أن الحزب كان أداة غربيّة - إسرائيليّة في إشعال الحرب

> يحاول أن يذكّر بصفته كحزب «ديموقراطي اجتماعي»، على طريقة الاسم الكامل للحزب النازي

اندحار «الكتائب» في وسط البلد على برميل من أعضاء بشريّة كان عناصر الحزب يقطعونها في عمليّات تعذيب. كانت عمليات التعذيب مقصودة، وكان يتم إعداد العناصر عليها (يعترف أسعد الشفتري ذو الشهادة الناقصة بذلك في مذكراته). التعذيب جرى على أيدي أحزاب ومنظّمات فلسطينية ولبنانيّة في المنطقة الغربية من بيروت، لكن لم يكن هناك سياسة تعذيب والتدريب عليه عند أيّ من الأحزاب هناك، وإن كانت بعض الأحزاب قد عذّبت محتجزين لديها، لكن لم يرتكب الشيوعيّون هذه الأعمال المشينة. هل تحدّث أحدكم لسجين فرّ من سجون «القوات» في الحرب؟ حدّثني مرّة عامل اسمه علي الموسوي كيف أنه اعتقل لأشهر في سجون «القوات» فقط لأن اسمه أوحى لهم أنه عدوّ وكان صبياً لم يبلغ العشرين. حدّثني أن

«مقرّ مجلس قيادة السطوح»

شوقي مسلماني *

- 1 -

الكاتب د. حسن حمادة ضمير، وهو يعتبر الانتخابات النيابيّة المقبلة في لبنان شؤماً، لأنّها ستؤكّد سلطة منظومة الفساد، فيما بعض «اليسار» كلّ منهم ينطح حيطاً للاشتراك في هذه الانتخابات متحالفاً مع هذا وذاك وذيّاك من الذين يقيسون من دون تمييز بين الذهب وبين قشور البصل الأحمر. من الذين يرفعون شعارات ما أنزل الله بها من سلطان، على ما يُقال بالعابرين أو الطائفيين، منها «تشليح المقاومة سلاحها»، ومن مثل أن الفاسدين لا نميّز بين كبيرهم المتربّع على المليارات والخادم في مطبخ بيت تأكّد أنّه مرّة سرق «ملفوفة» وسرق «ربطة خبز» لإطعام أطفاله، وهما سواسية تحت مقصلة حرفاء واحدة. ومنهم الذين تحوم شبهة «السفارات» وتشير نحوهم، ومنهم الذين بالكاد هم بعدد أصابع اليد الواحدة، يجتمعون في غرفة مرايا ويظنّون ما ظنّه الثعلب بالطبل الأجوف، وأقصى ما يجمع نفيرهم عشرين «صوتاً»، ربّما لزوجاتهم وأزواجهم وأبنائهم وأصهرتهم لا أكثر، ولغتهم السياسيّة «سنسكريتيّة» لا يفقهها أحد غيرهم. ومنهم الذين يعتبرون الانتخابات «سوق»، و«مع السوق نسوق». حمّى خوض هذه الانتخابات... «آه، يلعن أبو الهبل، يلعن أبو الكرسي... ويا عيب الشوم».

- 2 -

بدّك تقلّي إنّو منظّمات المجتمع المدني، اللي على كتير منها ألف سؤال وسؤال، هيّي اللّي نزّكت بالشارع بـ 17 تشرين ميّات ألوف الناس؟ معقوله؟ نزلت الناس مش لأنها مش قابضة حدا، نزلت الناس من قهرها، من مين؟ من اللي بالسلطة من التمانينات، من التسعينات، من 2005 وعمتحكي حكي. وخود مثلاً كلّ الأحزاب اللّي بتدّعي إنّها علمانيّة، بينوجدوا جماعة المجتمع المدني لو هل أحزاب علمانيّه حقيقيّة ومنظّمه ومش مستهتره ومبرجزه؟ كيف ما قلبتها مش راكبه.

- 3 -

وعلى هذا النحو تكون المعزوفة، حيث لهم توجيه أقسى النقد لإيران من دون أي اعتبار أنّ الدعم الإيراني كان له يد طولى في دحر الاحتلال الإسرائيلي في عام التحرير عام 2000 من دون قيد أو شرط، وله يد طولى في نصر تمّوز 2006 ضدّ العدوان الصهيوني على لبنان بإقرار زعيم المقاومة، ومن دون اعتبار للنصر الذي حقّقته غزّة العام الفائت على دولة الكيان الصهيوني. وقال زعيم «حماس»: «شكراً إيران للدعم المالي والعسكري والتقني»، فيما دولة مدنيّة واحدة لم تقدّم بندقيّة أو حتى رصاصة واحدة للمقاومة الفلسطينيّة في غزّة طوال صراعها مع دولة الاحتلال الصهيوني - إسرائيل. وإذا نقدّ ضدّ السعوديّة، مثالاً لا حصراً كدولة خليجيّة، فالويل والثبور وعظائم الأمور، فلدينا عمّال فيها يعملون، وشخصيّاً مع كلّ نقد محقّ ضدّ إيران أو ضدّ السعوديّة، ومع كلّ تثمين لكلّ دور إيجابي إيراني أو سعودي، قال وأضاف، ولكنّك تعرفهم أولئك اللاهثين.

- 4 -

مثلاً أميركا عم تحارب إيران منشان منع المدّ الشيعي؟ بالمحيط العربي السنّي؟ شو الشيعي وشو السنّي عند الأميركان يا غضنفر؟ يا السبع الغضنفر؟ إيران عم تقول لأميركا كتير هلقدّ، الأميركان ما بدهن يلقى آذان صاغيه هل حكي بدول جوار إيران الإسلاميّة، واللي حاصل إنّه الأغلبيّة سنيّة، بيلعبوا الأميركان هل ورقة، مش فرّق تسد؟ هيدي أبسط شي، ولو كانت هيدي الأغلبيّة شيعيّة بردو كانوا قالوا عربيّة - فارسيّة. مَ عملوها بحرب العراق - إيران. 8 سنين يقولوا عرب «فيرسس» فرس، ويغنّولّه: «يا حامي البوّابة الشرقيّة»، اللي أهدى، مثل ما قال هيكل، أوّل قذيفة مدفع على إيران لرأس «السي آي إيه»، رأس الاستخبارات الأميركيّة بالمنطقة، ملك الأردن السابق، الملك حسين. مش عم بيكوا عَ الحسين، مثل ما بيقولوا الشيعة، عم بيكوا عَ الهريسة. الله يحفظك ويحميك.

- 5 -

واسمع سيمون أبو فاضل كيف يبرّر لسياسة سعوديّة متخلّفة في لبنان. هو يقول إنّ حزب الله، كحزب «استراتيجي»، مشروعه التشييع أو الأسلمة، يجب التصدّي له. وانظر كيف يستنكر الحديث أن السفارة الأميركيّة كبيرة قياساً بلبنان، وهو في أن رئيس تحرير موقع «الكلمة أون لاين»!

- 6 -

وقال بسّام أبو شريف، وهو مستشار أسبق للرئيس الراحل ياسر عرفات، أنّ وليد جنبلاط هدّد الفلسطينيين بالتظاهرات ضدّهم إذا لم يقبلوا بعروض الخروج من بيروت، وقال إن جنبلاط كرّر قوله إنّ «بيروت عاصمتنا وليست عاصمتكم». وختم أنّه ذاته كان شاهداً على هذا الكلام الموثّق.

- 7 -

سقطوا في امتحان الصبر والحكمة، كان يقول له إنّ الإعلام الصهيوني في إسرائيل والإعلام الإمبريالي الغربي يروّجان لتوجيه الاتّهام مرّة إلى سوريا ومرّة إلى حزب الله في اغتيال رئيس وزراء لبنان الأسبق رفيق الحريري. وفيما نحن نتّهم إسرائيل والغرب الإمبريالي بدمّ رفيق الحريري فأقلّه كان يقول له أن ننتظر نتائج تحقيقات المحكمة الدوليّة. وهو يصرّ، مرّة سوريّا هي التي اغتالت، ومرّة حزب الله هو الذي اغتال. وأخيراً ها هي المحكمة الدوليّة، بعد خسارة لبنان مئات ملايين الدولارات عليها، وها هي المحكمة الدوليّة التي ذاتها كم هم كثر الذين يشكّكون بمصداقيتها، ها هي، بعد مضي كلّ هذه السنين، تخلص إلى نتيجة يقول ببراءة الدولة السوريّة وببراءة حزب الله. ماذا سيقول الآن؟ انغمس إلى رأسه بالمواقف الطائفيّة، وصار من نخبة متقّفي المذهبيّات التي لها لحى وقلنسوات وهو بكرافات. ولم يتميّز، وكأنّه صدى الإعلامَين، الصهيوني والغربي، وهما بالأصل واحد، ظلّ يردّد ما يذعقا به، إذا أسانا الظنّ، وإذا أحسناه قلنا: هو أحمق، أخرق، أصفق!

- 8 -

والمحاميّة بشرى الخليل قالت إنّ انهيار الليرة اللبنانيّة بدأ منذ ثمانينيات القرن العشرين حين كان «الشيخ» أمين «رئيساً» للجمهوريّة بالتعاون مع «الشيخ» رفيق الذي استكمل لعبة انهيار الليرة عندما صار: «رئيساً» للوزراء.

- 9 -

أسعد الشفتري أقرّ، في حوار متلفز، أنّ المسلم في لبنان كان نزيلاً في فندق يملكه مسيحي، ولو أعطيناه حقّه ما كانت حرب 75 لتقع. وأضاف: هل تعرف ماذا يعني عندما نقول «ولو! خدنا بحلمك»؟، «يعني فيك تعيش حلمك بس نحنا كمان موجودين، شوفنا بحلمك بالطريق»! وأسعد الشفتري كان من الضبّاط القريبين من بشير الجميّل، وما أشبه اليوم بالغد.

- 10 -

اليسار العربي محتاج أن يدرس أزمته، قال د. محمّد دوير، وأضاف: نحن في أزمنة يجب أن ندرسها ونقرّ بها أوّلاً، وماذا نريد؟ وعن ماذا نعبّر وأي الطبقات نلتزم؟ كيف نتأصّل بالتسامح المنهجي، بالعقلانيّة الثوريّة، من أجل التخلّص، اليوم قبل غد، من بقايا البرجوازيّة المتوسّطة التي لا تزال. للأسف، تهيمن على كوادر الاشتراكيّة في عالمنا العربي.

- 11 -

«أقام غابي أشكينازي، وزير خارجية إسرائيل، مأدبة إفطار على شرف سفراء الدول العربية والإسلامية المعتمدين لدى تلّ أبيب»، ضمنهم، بحسب موقع «إيلاف» الإلكتروني: سفراء مصر، خالد عزمي، الأردن، غسّان المجالي، الإمارات، محمود آل خاجة، المغرب، عبد الرحيم بيوض، إضافة إلى سفراء تركيا وكازاخستان وألبانيا وأوزبكستان وتنزانيا وكوسوفو، وشخصيّات عربيّة وإسلاميّة وعامّة في إسرائيل، وعرف الإفطار إجراء اتّصال عبر تقنيّة «زوم» بين الوزير أشكينازي ووزيري خارجيّة الإمارات والبحرين، الشيخ عبدالله بن زايد وعبد اللطيف الزياني. ومن كلمة أشكينازي في الإفطار: «لا يسعني إلا أن أمل أن يشهد العام المقبل انضمام المزيد من الممثّلين العرب والمسلمين إلى مائدة إفطار وزارة الخارجية الإسرائيليّة». وهذا ما لا يزال يحصل.

- 12 -

مَن بعد يتذكّر الشهيد البطل سليمان خاطر، المجنّد في قوى الأمن المركزي المصري، الذي خدم في سيناء، وأصاب بالنار، عام 1985، سبعة صهاينة حاولوا التسلّل، وكانت النتيجة أن حكمت عليه مصر مبارك بالسجن المؤبّد. ثمّ عام 1986 اغتيل إرضاءً لإسرائيل. يومها قيل أنّه انتحر شنقاً في زنزانته، وخرجت مصر في تظاهرات وهي تهتف: «المعقول المعقول، سليمان خاطر مات مقتول»، ويومها قالت أمّه: «قتلوا سليمان عشان خاطر يرضوا إسرائيل». أخيراً اعترف سليمان الفقّي، سكرتير مبارك، في شهادة، أنّ سليمان خاطر، حقّاً، لم ينتحر، بل اغتيل، وقال أيضاً: «عشان خاطر إسرائيل». ولأدة يا مصر ومنصورة.

- 13 -

والأخضر الإبراهيمي قال مرّة إنّ خطف الطائرات مارسته الجبهة الشعبيّة لتحرير فلسطين منذ عام 1969 للفت أنظار العالم إلى قضيّة شعب يُقتل ويُشرّد ولا من يلتفت، أي كان لخطف الطائرات فوائد لا أحد ينكرها.

- 14 -

استغربتُ أن لا يلحظ الفيلسوف والمناضل الفرنسي الشهير ريجيس دوبريه، وهو يردّ على سؤال، غير أنّ إسرائيل قامت عن ندم أوروبّي بقتل اليهود خلال الحرب العالميّة الثانية، ولم يضع احتمال أن تكون إسرائيل قد قامت ككيان صهيوني غريب في المشرق العربي لمشروع استعماري - إمبريالي أوروبّي مجرم.

- 15 -

ومن المفارقات في التاريخ، ما يروى أنّ المرشّح الرئاسي المصري د. أيمن نور، ويقول رئيس تحرير «عرب تايمز» د. أسامة فوزي إنّ نور مبدئيّاً حصل على أصوات أكثر من حسني مبارك، لذلك سجنه الأخير. سأله فوزي إذا حقّاً عرض عليه الرئيس المصري السابق محمّد مرسي منصب رئاسة الوزراء؟ أجاب نور بالإيجاب، وأضاف أنّ مرسي عرض عليه تشكيل الوزارة، وأن يترك له منصب، وقد خصّصه للّواء عبد الفتّاح السيسي الذي انقلب عليه في ما بعد وأودعه السجن حتى مات ودفن من دون السماح لأحد طبّي، محلّي أو دولي، للكشف عن أسباب أو سبب وفاته. قال له د. نور: أنا أقبل أن تشكّل أنت كلّ الحكومة، وفقط اتركْ لي أمر السيسي! وافترقا.

- 16 -

أرجو أن أكون ناقلاً صحيحاً عن الراحل الكبير الأنبا شنودا: إذا الشريعة الإسلاميّة هي «لهم ما لنا ولنا ما لهم، أو علينا ما عليهم وعليهم ما علينا، فالمسيحي سيعيش سعيداً بسيادة هكذا شريعة كريمة».

- 17 -

كتب الراحل الشاعر والمناضل أحمد فؤاد نجم، وبحروف كبيرة، على حائط، في بيته المتواضع: «مقرّ مجلس قيادة السطوح». وسألتني أستاذة جامعيّة ما المعنى؟ وشرحت لها أنّهم أخيراً أيضاً أولئك الذين يحيون عند فوّهة بركان.

- 18 -

الجنرال الأميركي جون بيرشينغ، وهو المشهور باسم «بلاك جاك» وبالدمويّة، كما روى الرئيس الأميركي السابق دونالد ترامب خلال حملته الانتخابية - 2016. قال إنّ بلاك جاك غمّس رصاصات بدماء خنازير وأعدم بها عشرات الأسرى من «المورو» وهم من سكّان الفيليبين الأصليين - وفي أن هم مسلمون - ذلك بعد الحرب الإسبانيّة - الأميركيّة التي بدأت عام 1898. وكان عدد الأسرى 50 شخصاً، أعدم 49 وأمر الناجي الوحيد بالعودة إلى قومه وإخبارهم بما حدث. والمورو كانوا في حينه يقاومون احتلالاً جديداً لبلادهم بعدما فرّت مدريد وتركت بلادهم مرغمة لواشنطن ذاتها السائدة اليوم.

- 19 -

يقول الكاتب حسام أبو النصر: «وقد يختلف علم التاريخ عن بقية العلوم، حيث إنه علم غير قابل للتجريب والتجارب، فهو ليس كيمياء أو فيزياء، ولا يحتمل نجاح التجربة أو فشلها، بل هو علم قائم على الدليل منذ اللحظة الأولى، ومساحة تفسير ظواهره متاحة إلى حدّ ما، وإلى مدى معيّن، إذا زاد عن حدّه يصبح تأويلاً وتهويلاً وإذا بني على التأويل ندخل في اتّجاه خارج سياق التاريخ».

- 20 -

وإنّ مالكولم إكس، الناشط الأميركي الكبير في مجال حقوق الإنسان، هو صاحب المقولة الشهيرة: «لا تغرز سكّيناً في ظهر رجل تسع بوصات ثم تسحبها ست بوصات وتدّعي أنّك أحررت تقدّماً».

* شاعر وكاتب

* كاتب عربي - حسابه على تويتر
@asadabukhalil

فلسطين

جنين تصفع الاحتلال «يمام» لا تكسر المقاومين

بات واضحاً أن العدو يريد تثبيت معادلة جديدة في جنين، بعدما تحوّل «عشّ الدبابير» - كما سمّاه أرئيل شارون يوماً - إلى منطلق لتنفيذ عمليات في الداخل المحتلّ، بل إلى بؤرة مقاومة لا تفتأ تزداد شراسة، وفق ما أكّدته مواجهات الأمس. لكن الإرادة الإسرائيلية تلك، والتي يحاول العدو إلى الآن إنفاذها بعمليات بـ«التقسيط» بعيداً من هجوم واسع النطاق سيكبّده الكثير، لا يبدو أنها قريبة المنال، بالنظر إلى أن اعتقال «مطلوب» واحد كلّف الاحتلال حياة جندي من وحدة النخبة «يمام»، فكيف بمطاردة قائمة طويلة من «المطلوبين». يُسجَّل بوضوح توسّعها يوماً بعد يوم. وإذا أضيف إلى ما تَقدّم تحذير فصائل المقاومة في غزة من أيّ محاولة لكسر معادلة «جنين - غزة»، وتأكيدها أنها لن تسمح بالاستفراد بمقاومي جنين، يضحي المشهد شديد التعقيد والخطورة والحراجة، بالنسبة إلى تل أبيب

بدا المشهد أمس أشبه بحرب شوارع حقيقية؛ إذ خاض أكثر من 15 مقاوماً الاشتباكات المسلّحة مع جيش العدو وقوّاته الخاصة في محيط مخيّم جنين. وبينما خلّفت المواجهات إصابة 13 فلسطينياً، أعلن الاحتلال مقتل جندي من قوّات النخبة التابعة له، «يمام»، بعد ساعات من إصابته. ويَنقل الصحافي الإسرائيلي، تال ليف رام، عن ضابط إسرائيلي كبير قوله إن جنين شهدت، صباح أمس، أكبر إطلاق نار منذ نحو 20 عاماً، حيث «أطلق المسلّحون آلاف الطلقات نحو القوات المقتحمة». ويبيّن مصدر مطّلع، لـ«الأخبار»، أن «الجندي الإسرائيلي القتيل أصيب برصاص المقاومة في نهاية العملية العسكرية عند انسحاب العدو، بعد اعتقال المطارَد الدبعي، ونقلته مروحية عسكرية من المكان»، مضيفاً أن «الجندي لم يُصَب خلال الاشتباك عند حصار المنزل، بل في المناطق المحيطة». وبحسب وسائل إعلام إسرائيلية، فإن القتيل هو نوعم راز، ويبلغ من العمر 47 عاماً، ويعمل في وحدة «يمام» الخاصة منذ 24 عاماً. وسيشكّل مقتل راز محطّة هامّة جدّاً من كلّ المحاور، ثمّ زاد من كثافة إطلاق النيران عليه مع استقدام جرّافة عسكرية إلى المكان. لكنّ مقاومين آخرين هرعوا إلى الشوارع ومحيط حيّ الهدف في محاولة لفكّ هذا الحصار، لتندلع اشتباكات مسلّحة عنيفة، بينما رفض الدبعي تسليم نفسه وقاتل حتى النهاية ونفاد ذخيرته قبل أن يتمّ اعتقاله.

> **سيشكّل مقتل الجندي نوعم راز محطّة هامّة جدّاً وخطيرة بالنسبة إلى الإسرائيليين**

آليات الجيش. «أطلق جنديّ صاروخ كتف تجاه باب منزل عائلة المطارَد محمود الدبعي، فاستيقظ جميع سكّان المنزل، ثمّ نادى الجنود عبر مكبّرات الصوت طالبين من الدبعي تسليم نفسه»، وفق ما تروبه مصادر «الأخبار»، مضيفة أن قوات الاحتلال أخرجت كلّ سكّان المنزل منه. وتفيد المصادر بأن «محمود انخرط في صفوف سرايا القدس مع المقاومين الشهداء جميل العموري وعبدالله الحصري وأحمد السعدي، وعمل بشكل سرّي حتى اكتشافه قبل عدّة أشهر، ووالده هو أحد قيادَيي حركة الجهاد الإسلامي في جنين».

وانتهج العدو عدّة أساليب لإجبار الدبعي، وهو أحد مقاومي «كتيبة جنين» في «سرايا القدس» والهدف الرئيس لعملية أمس، على تسليم نفسه، وأوّلها استخدام والدته درعاً بشرياً، وإرغامها على الطلب من ابنها الخروج، لكن محمود رفض الاستجابة للطلب، وردّ بإطلاق النار على قوّة «يمام» الخاصة، وتزامناً مع إطلاق الجنود قذائف «أنيرجا» وصواريخ محمولة على الكتف ومضادة للدروع في اتّجاه المنزل المحاصر، اتّبع العدو أسلوب «طنجرة الضغط»، مُحكِماً الحصار على المنزل

المقاومة تحذّر تل أبيب: معادلة «غزة ـ جنين» ثابتة

غزة - رجب المدهون

علمت «الأخبار»، من مصادر فلسطينية، أن فصائل المقاومة في قطاع غزة أجرت اتصالات عاجلة بالمصريين خلال اقتحام قوات الاحتلال مخيّم جنين، طالبةً إليهم نقل تحذيراتها إلى العدو من تجاوز الخطوط الحمراء في المخيّم، وتهديدها بأن «أيّ محاولة لاستغلال أحداث أخرى للانقضاض على المقاومة هناك، ستقابَل بردٍ غير متوقع». ونبّهت المقاومة إلى أن «العملية التي نفّذها الاحتلال لاعتقال المجاهد محمد الدبعي، ستجلب مزيداً من العمليات الفدائية داخل المدن المحتلّة»، مؤكدة أنها «لن تسمح للعدو بالاستفراد بالمقاومة في جنين»، وأن سعي إسرائيل لكسر معادلة «غزة - جنين» لن يفلح، بل إن «المقاومة ستسعى إلى ترسيخ هذه المعادلة خلال الفترة المقبلة، في حال تجاوز العدو الخطوط الحمراء».

وفي الإطار نفسه، أكدت حركتا «حماس» و«الجهاد الإسلامي»، أمس، أن «جنين ومقاومتها الباسلة ستبقيان شوكة في حلق الاحتلال». وقال الناطق باسم «حماس»، حازم قاسم، إن «جنين تقاتل بكل ما تملك من بسالة وعنفوان»، مضيفاً أنها «تمتلك من الصلابة والإصرار ما يمكّنها من مواصلة الثورة حتى هزيمة العدو وطرده من كامل أرضنا الفلسطينية». وشدد المتحدث باسم «الجهاد»، طارق عز الدين، بدوره، على أن «ما يجري من إرهاب في جنين على أيدي قوات

أكدت حركتا «حماس» و«الجهاد الإسلامي» أن «جنين ومقاومتها الباسلة ستبقيان شوكة في حلق الاحتلال» (أ ف ب)

الاحتلال جريمة كبرى لن تغتفر، وأن قصف البيوت بالصواريخ جريمة حرب، يجب ملاحقة العدو عليها»، محمّلاً الأخير «المسؤولية كاملة» عن تبعات أفعاله. وأشار عز الدين إلى أن العدو «يحاول تغييب صورة الواقع التي ظهرت للعالم بعد قتله الصحافية الشهيرة، شيرين أبو عاقلة، وهو الآن يعود إلى المخيم لإكمال جريمته هناك». ورأت «الجبهة الديموقراطية لتحرير فلسطين»، من جهتها، أن «تصدي المقاومة لاقتحام قوات الاحتلال مخيّم جنين، يؤكد احتضان شعبنا لمقاومته، وأنه حسم خياراته بأن المقاومة بكل أشكالها هي الخيار الوحيد لمواجهة الاحتلال ومستوطنيه، حتى كنسهم عن أرضنا وقدسنا والفوز بالحقوق الوطنية».

أما «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين»، فجزمت بأن «الفلسطينيين وفصائلهم لن يقفوا مكتوفي الأيدي أمام العدوان على مخيّم جنين، ولن يسمحوا للعدو بالتفرّد بأيّ منطقة فلسطينية»، مشددة على أن الردّ على جرائم الاحتلال «يكون بتصعيد جماهير شعبنا للمواجهة، والاشتباك مع جيش العدو ومستوطنيه في شوارع وأزقّة الضفة بكل مخيّماتها ومدنها». واعتبرت أنّ «حالة الاشتباك المستمرّة التي يخوضها مخيم جنين تجربة غنيّة تستحق التعميم على كل المدن والمخيّمات في الضفة»، مخاطبة العدو وحلفاءه والمطبّعين معه بأنّ عليهم أن يدركوا أن «لا أمان لهذا الكيان الإجرامي أو لمستوطنيه على الأرض الفلسطينية».

يوماً - لتنفيذ عمليات فدائية في وسط إسرائيل، بل إن الخطر الأعظم هو إمكانية سقوط قتلى إسرائيليين في جنين نفسها. كذلك، تمثّل الحادثة حسابانه لخطر المقاومين المتواجدين حالياً في المدينة ومخيّمها، خصوصاً أن هذا الخطر لم يَعُد مقتصراً على إمكانية خروج شبّان من «عشّ الدبابير» - كما سمّاه أرئيل شارون وخطيرة بالنسبة إلى الإسرائيليين؛ إذ لأوّل مرّة منذ 20 عاماً، يُقتَل جندي خلال اقتحام في جنين. كما أن الحدث سيجعل «الشاباك» يضاعف إخفاقاً جديداً لوحدة «يمام»، لكنّها ستدفع العدو إلى تشديد قبضته وتكثيف اقتحاماته وعملياته العسكرية، في محاولة لإنهاء ظاهرة الاشتباك المستعر منذ عام.

شيرين أبو عاقلة تخيف العدوّ... حتى في جنازتها

شهدت مراسم تشييع جثمان الصحافية الشهيدة، شيرين أبو عاقلة، قمعاً إسرائيلياً عنيفاً، سبقته شروط إسرائيلية تنصّ على عدم رفع العلم الفلسطيني أو إطلاق أيّ هتافات خلال التشييع. وبدأ أوّل فصول القمع في ساحة المستشفى الفرنسي، عندما تجمهر آلاف الفلسطينيين استعداداً لإخراج الجثمان بعد أن أدّى المسلمون صلاة الجمعة في المكان. ومع رفع الأعلام الفلسطينية ووسط الهتافات الغاضبة، عاد العدو واشترط نقل الجثمان من المستشفى إلى المقبرة بواسطة مركبة وليس بموكب جنازي راجل، الأمر الذي رفضه الفلسطينيون، وأصرّوا على تشييع الشهيدة مشياً على الأقدام. ليهاجم عشرات الجنود المشيّعين بالهراوات وقنابل الصوت والغاز، ما أدّى إلى إصابة عشرات الفلسطينيين. ومع أن العدو حوّل مسار الجنازة، واختطف المركبة التي تنقل جثمان أبو عاقلة، وأرغمها على المرور من طرق أخرى، إلّا أن آلاف الفلسطينيين نجحوا في كسر الحواجز الإسرائيلية والمشاركة في التشييع. وعند باب الخليل في القدس القديمة، رفع فلسطينيون أعلام وطنهم. وفي الوقت نفسه أنزلوا عدّة أعلام إسرائيلية عن سواريات. وفي نهاية المطاف، ووريت شيرين الثرى إلى جانب والديها في مقبرة «جبل صهيون» في القدس، بعدما حوّل الفلسطينيون جنازتها إلى معركة سيادة على المدينة المقدّسة، ونجحوا في النهاية في فرض الوجود الفلسطيني، على رغم استمرار العدو في ملاحقة أيّ مظهر فلسطيني، حتى لو كان حجاب فتاة بألوان علم فلسطين كما جرى داخل البلدة القديمة في القدس أمس.

سوريا

زحمة وفود في الحسكة: دول أوروبيّة تستعيد «دواعشها»

محمود عبد اللطيف

دخل، أخيراً، وفد بلجيكي إلى الأراضي السورية لاستعادة عدد من مواطنيه المقيمين حالياً في مخيّم يُعرف باسم «روج آفا»، وذلك بعد أيّام من استعادة وفد سويدي ثلاثة أطفال وامرأتَين من المخيّم ذاته، في حين تقول معلومات حصلت عليها «الأخبار» من مصدر قريب من إدارة مخيّم «الهول»، إن الجانب العراقي يستعدّ لنقل دفعة جديدة من مواطنيه القاطنين في المخيّم المذكور. لكن تتابُع هذه الوفود، التي لا تحمل صفة دبلوماسية على رغم وجود شخصيات برلمانية بين أعضائها، والتي غالباً ما تدخل سوريا من أراضي «إقليم كردستان»، لا يعني تسارع خطوات نقل العوائل الأجنبية من المخيّمات، إذ لا يزال البطء الشديد يَسِم عملية الاستجابة للنداءات المتكرّرة التي تطلقها المنظّمات الدولية بهذا الخصوص. ولم يَرِد عدد مَن سلّمتهم «قسد» إلى دولهم الأم خلال ثلاث سنوات مضت عن 995 شخصاً، بواقع 389 خلال عام 2019، و282 في عام 2020، و324 شخصاً في عام 2021، كلّهم من النساء والأطفال. وتقول مصادر من داخل مخيّم «الهول»، لـ«الأخبار»، إن «قسد» تستبق عمليات التسليم بنقل المستهدَفين بها إلى مخيّم «روج آفا»، تجنّباً لأيّ إحراج قد تقع فيه أمام الوفود الأوروبية بسبب سوء الأوضاع المعيشية في «الهول»، الذي يُعتبر أشبه بمعتقَل كبير، بينما الخدمات في «روج آفا» تُعدّ أقرب إلى المثالية، فضلاً عن أن «قسد» تخشى، بعد تصاعد عمليات العنف المُسجَّلة في «الهول»، حدوث أيّ مفاجأة بالتزامن مع دخول وفد أوروبي. ويشكّل العراقيون ما نسبته 60% من مجمل سكّان «الهول»، بتعداد يقترب من 30 ألف شخص، من بينهم مدنيون لجأوا إلى الأراضي السورية خلال معارك استعادة مدينة الموصل، لكنّ غالبيّتهم من عوائل تنظيم «داعش».

> **تدخل الوفود الاوروبية الاراضي السورية بطريقة غير شرعية**

ومن بين هؤلاء ما يقارب 11 ألف شخص لم يقبلوا تسجيل أسمائهم ضمن قوائم الذين سيعودون إلى العراق، خشية من الملاحقة الأمنية من قِبَل بغداد. وخلال كلمة بلاده في مؤتمر «التحالف الدولي» لمحاربة «داعش»، والذي عُقد في مدينة مراكش المغربية يوم الأربعاء الماضي، كشف وزير الخارجية العراقي، فؤاد حسين، عن استعادة بلاده 500 عائلة من «الهول»، في حين تؤكد مصادر «الأخبار» وجود تحضيرات لنقل عدد إضافي من العراقيين من المخيّم ذاته إلى بلادهم خلال الفترة القادمة. ويُنقل العراقيون إلى مخيم «الجدعة»، الذي خصّصته الحكومة العراقية لتوطين من تتمّ استعادتهم من سوريا. وبحسب بيانات وزارة الخارجية العراقية منتصف الشهر الماضي، فقد استعادت بغداد 450 عائلة، وبعد إخضاع هؤلاء لبرامج إعادة تأهيل مجتمعي ونفسي، سُمح لـ170 عائلة بالعودة إلى المناطق الأصلية التي كانت تقطنها قبل مغادرة العراق، ومن بينها 120 أسرة أعيد توطينها في محافظة الأنبار. وفي منتصف الشهر الفائت أيضاً، أكدت وكالة الأنباء العراقية الرسمية إنهاء القضاء ملفّات أمنية لـ1550 شخصاً من المرتبطين بتنظيم «داعش»، مِمّن تمّت استعادتهم من سوريا.

أمّا السوريون المقيمون في «الهول»، فيبقى مصيرهم معلّقاً على المخاوف الأمنية التي تسوقها «قسد» بعد هجوم تنظيم «داعش» على سجن الناصرية الصناعية، إذ تؤكد مصادر «الأخبار» توقّف «قسد» عن إخراج السوريين من المخيّم والسماح لهم بالعودة إلى مناطقهم الأصلية، موضحةً أن شروط خروج هؤلاء تتمثّل في وجود موافقة أمنية صادرة عنها، فضلاً عن كفالة عشائرية. ومنذ بداية عام 2020 وحتى مطلع العام الحالي، غادر 8000 سوري المخيم نحو مناطق في ريف حلب الشرقي والرقة ودير الزور، فيما يبقى مصير ما يقارب 21 ألف شخص رهين قرارات «قسد» المعلّقة حتى إشعار آخر.

اليمن

انفراجة في أفق الهدنة مطار صنعاء نحو معاودة العمل

صنعاء - رشيد الحداد

سجّلت الساعات الماضية انفراجة في أزمة تعثّر الهدنة الإنسانية في اليمن منذ مطلع الشهر الماضي، وفق ما أظهرته نتائج زيارة المبعوث الأممي، هانس غروندبرغ، إلى مدينة عدن، جنوبيّ البلاد. فبعد رفض الحكومة الموالية للتحالف السعودي - الإماراتي، الثلاثاء الفائت، المقترحات الأممية في شأن حلحلة الخلافات التي أعاقت انطلاق الرحلات التجارية من مطار صنعاء، عادت وعدلت عن موقفها المتصلّب، لتُوافق، مساء الخميس، على التراجع عن شرطها المتّصل باستخدام المسافرين من صنعاء جوازات سفر صادرة عن عدن، بدلاً من تلك الصادرة عن السلطات الموالية لحركة «أنصار الله». وجاء هذا التراجع في ظلّ تصاعد التحذيرات الدولية من تداعيات فشل الهدنة، ومن بينها ما صدر عن القائم بأعمال السفير الروسي في اليمن، يفغيني كودروف، الذي دعا إلى إيجاد حلول لإعادة فتح مطار صنعاء، وتسهيل الحركة عبر الطرق في مختلف المحافظات اليمنية، مجدّداً دعم بلاده للهدنة، بهدف «الحدّ من معاناة المواطنين، وتحقيق السلام في البلاد».

وتمثّل هذه الخطوة، التي أعادت الآمال إلى الآلاف من المرضى المدرجة أسماؤهم على قائمة السفر التي أعدّتها اللجنة الطبية العليا في صنعاء، أحد أهمّ الاختراقات التي حقّقها غروندبرغ، بعد إعلانه في الثاني من نيسان الماضي الهدنة، التي دخلت حيّز التنفيذ إثر 24 ساعة من ذلك. ومن المتوقّع أن يسهم الاختراق المذكور في تثبيت اتّفاق وقف إطلاق النار على الأرض، وأن يمهّد لتمديده شهرَين إضافيَين. لكن هذا التطوّر قوبل بموجة استياء لدى الشخصيات الموالية لـ«التحالف»، والتي اعتبرت تنازل «المجلس الرئاسي» عن الشروط المسبقة بشأن فتح مطار صنعاء، «دليلاً على ضعف ناتج من استمرار الانقسام الداخلي والخضوع للإملاءات الخارجية». وفي محاولة لامتصاص موجة السخط تلك، سرّبت حكومة معين عبد الملك في عدن، رواية برّرت فيها موافقتها على تسيير الرحلات بجوازات صادرة عن صنعاء، بأن ذلك سيري بشكل مؤقّت، ريثما تتمكّن سفارتها في الأردن من إصدار جوازات بديلة. وقالت إن تنازلها «لا يترتّب عليه أيّ تغيير في مركزها القانوني، ولا يشكّل اعترافاً بالحوثيين».

في المقابل، رحّبت حكومة الإنقاذ بهذه الانفراجة، وأكدت جهوزية مطار صنعاء التشغيلية والفنّية والمهنية لاستقبال جميع الرحلات المدنية والتجارية، وذلك «وفقاً للاشتراطات والمتطلّبات الدولية المعمول بها في المطارات العالمية ومنظّمة الطيران المدني (إيكاو)»، منبّهةً إلى أن ما تبقّى من مدّة الهدنة «يتطلّب تسيير رحلات تجارية بشكل يومي من دون قيود». وأعلنت شركة طيران «اليمنية»، بدورها، تلقّيها موافقة من «التحالف» على تسيير رحلة جوّية مطلع الأسبوع المقبل، يُفترض أن تكون إلى «مطار الملكة علياء» في الأردن، وفق المعلومات المتداولة.

قد تمهد التطورات الاخيرة لتمديد اتفاق الهدنة شهرين إضافيين (أ ف ب)

مصر

تبدو مصر مقبلةً على كارثة اقتصادية جديدة، في ظلّ العجز المتعاظم في الميزانية، والذي لم تَعُد القروض المتكاثرة نفسها تكفي لسدّه، الأمر الذي ارغم النظام على طلب «يد العون» الخليجية مجدّداً، لكن المعونة هذه المرّة لن تكون بالمجّان. أسوةً بما شهدته السنوات الماضية كرمى لعينَي عبد الفتاح السيسي، بل هي مرهونة بشروط لا تعني التلبيةُ المصرية لها أقلّ من بيع أصول الدولة للسعوديين والإماراتيين، مقابل الحصول على «الرزّ». وبينما تغيب أيّ رؤية استراتيجية للتعامل مع الوضع الآخذ في التدهور، تستمرّ الأزمات المعيشية في طحْن المصريين، بدءاً من تدهور سعر الصرف وتفهقر القدرة الشرائية وتبدّد المدّخرات، مروراً بالغلاء المستمرّ في أسعار السلع والخدمات بما فيها السكن والكهرباء، وليس انتهاءً بالإجراءات والقيود التي من شأن استمرارها تهشيم ما تبقّى من الصناعات المحلّية

الدولة أسيرةً لـ «الرزّ» الخليجي
السيسي يبيع ما تبقّى

القاهرة - **جلال خيرت**

منذ وصوله إلى السلطة في عام 2014، يَعِد عبد الفتاح السيسي بتحسين الأوضاع الاقتصادية. لكن لم يكد عامان يمرّان على تلك الوعود، حتى نُكب المصريون بكارثة اقتصادية جديدة، حمّل السيسي مسؤوليّتها لعاملَين: أوّلهما تركة نظام حسني مبارك الثقيلة، وثانيهما الفوضى التي رافقت صعود الرئيس الحالي إلى الحُكم. وبعدما خرج المصريون، في عام 2012، في عهد الرئيس الراحل محمد مرسي، محتجّين على وصول سعر صرف الدولار إلى نحو 7 جنيهات، ورافضين تحريكاً طفيفاً في أسعار المحروقات، وسط توجّه حكومة «الإخوان» آنذاك، إلى الاقتراض من «صندوق النقد الدولي» بقيمة نحو 6 مليارات دولار، قفزَت قيمة القرض نفسه، بعد أقلّ من عامين فقط، مع وصول السيسي إلى السلطة، إلى 12 مليار دولار، بالإضافة إلى عشرات القروض الأخرى التي ارتفعت بدَين مصر إلى 145 مليار دولار، بعدما كانت نحو 35 ملياراً في عام 2011، وأقلّ من 55 ملياراً في عام 2014. ولا تتوافر معلومات كافية حول هذه الديون، التي يمتنع البنك المركزي عن تبيان ما إذا كانت شاملة ديون الهيئات الاقتصادية المختلفة والبنوك الحكومية أم لا، وما إذا كانت متضمّنة أيضاً قيمة قرض الـ25 مليار دولار من روسيا، الخاصّ بإنشاء مفاعلات الضبعة النووية، وهو واحد من المشروعات التي تتكتّم الحكومة على تفاصيلها المالية بشكل كبير، في ظلّ غياب البيانات حول ما جرى الحصول عليه بالفعل، وما تمّ إرجاؤه، خصوصاً مع عدم الالتزام بالجدول الزمني لتنفيذ المشروع حتى الآن.

وعلى رغم تراجع قيمة الجنيه تدريجياً أمام الدولار خلال العقود الماضية، إلّا أن الانهيار الحاصل اليوم يبدو مختلفاً. فالمشاريع التي تمّ تنفيذها لا تعود بفوائد تعادل ما جرى اقتراضه من أجلها، فيما النظام غير قادر على إدارة الوضع الاقتصادي من دون مسكّنات مرحلية، وسط غياب الرؤية الشاملة المتناسبة مع ضخامة الاقتصاد المصري، الذي أصبح رهينةَ الإعانات الخليجية، التي انتهى زمنها هي الأخرى، لا لأسباب سياسية فقط، بل وأيضاً لشعور أنظمة الخليج بأن استثماراتها لا تدرّ أيّ عوائد ذات قيمة عليها. وكان نظام السيسي استبدل بالدعم القطري الذي كان قائماً إبّان حُكم «الإخوان»، الدعم السعودي - الإماراتي - الكويتي، الذي اتّخذ شكل ودائع من دون فوائد لعدّة سنوات، أو مساعدات غازية وبترولية لتغطية العجز في مصر، الناجم عن تخلّف الحكومة عن سداد التزاماتها للشركات الدولية، الأمر الذي صعّب عليها الاستيراد. بالتوازي مع ذلك، جرى التوسّع في تنفيذ المشروعات من دون دراسة عوائدها، كما في حفر التفريعة الجديدة لقناة السويس خلال عام واحد، ومشاريع الطرق و«الكباري» التي كلّفت مليارات الدولارات ونُفّذت في زمن قياسي، في وقت قرّر فيه الرئيس رفع الدعم عن جميع فئات الشعب وزيادة الضرائب والرسوم بصورة غير مسبوقة.

السيسي، الذي كان يُفترض أن تنتهي مدّة رئاسته في عام 2022 قبل أن يعدّل الدستور على نحو يتيح له البقاء حتى عام 2030 على الأقلّ، حاول ترسيخ اسمه ومكانته على حساب الاقتصاد المصري. صحيح أنه قام ببناء العاصمة الإدارية الجديدة من خارج موازنة الدولة، لكن الأموال التي ضُخّت فيها غالبيّتها من الداخل وليس الخارج. كما أن التوسّع في المشاريع العقارية أحدث قفزة غير مسبوقة في الأسعار، ومن دون مبرّر، سوى جشع الدولة لجمع مليارات الجنيهات من المواطنين الراغبين في التملّك، والذين جرى منعهم من البناء على نحو منفرد إلّا في أضيق الحدود. يُضاف إلى ما تقدّم تبديد مدّخرات المصريين، جرّاء الانخفاض المتواصل في سعر العملة المحلّية، وانخفاض قيمة الفائدة الفعلية على الرغم من تسجيلها 18 و20%، فضلاً عن رفع الأسعار لتكون تقريباً معادلة للأسعار العالمية، بما فيها أسعار الكهرباء والمحروقات وحتى الخدمات، في وقت انخفضت فيه قيمة الحدّ الأدنى للأجور إلى أقلّ من 153 دولاراً، حتى مع زيادته رقمياً قبل أيام. وفي مقابل طلب السيسي من المصريين تحمّل الظروف الاستثنائية والأوضاع الصعبة عالمياً، لم يتحرّك نظامه للتخفيف عن المواطنين حتى في عزّ تلك الأزمات. فخلال جائحة «كورونا» مثلاً، «اقتنص» 1% من الرواتب، إلى جانب القروض التي

> **بدّد السيسي مدّخرات المصريين وتسبّب في إضعاف الجنيه بسبب السياسات الاقتصادية الخاطئة**

حصل عليها من «صندوق النقد الدولي» وغيره من الجهات الدولية، فيما واصل سياسة تحريك أسعار الكهرباء والغاز، إلى حدّ أن البنزين صار يُباع منذ أكثر من عام بسعر أعلى من سعره في الولايات المتحدة.

سياسات متناقضة

ينتهج السيسي سياسات اقتصادية متناقضة؛ فعلى رغم حديثه عن أهمية توقّف الاقتراض إلّا للضرورة فقط قبل أكثر من عام، عاد هو نفسه ليمرّر ميزانية حكومته بقروض جديدة لتسديد القروض القديمة، بينما يقف مدافعاً عن إجراءات «الإصلاح» الاقتصادي التي بدأت في تشرين الثاني 2016، وسمحت بتحريك سعر صرف الجنيه ليكون حرّاً، من دون تدخّل من البنك المركزي. على أن ذلك لم يستمرّ طويلاً، مع اضطرار «المركزي» للتحرّك نحو تثبيت سعر الصرف على نحو غير عادل لأكثر من عام، لينتهي الأمر بانخفاض جديد مرّة واحدة قيمته أكثر من 20%، في ظلّ توقّعات بتتابع الانهيار في الأيام المقبلة، في ظلّ قيود الحصول على العملة وتوقّف الاستيراد. وتسود المنابر الإعلامية الرسمية، اليوم، انتقاداتٌ لعمليات استيراد بعض السلع التي يتوافر لها بديل متواضع محلّياً، مع تضخيم لعمليات السحب التي يجريها المصريون من البنوك، بهدف القول إن قدرة هؤلاء الشرائية لم تتأثّر سلباً، فيما الواقع يقول إن تضخّم الأسعار سيتواصل خلال الفترة المقبلة من دون سقف، خاصة بالنظر إلى تناقض الرسائل التي يبعث بها النظام حول الوضع الاقتصادي، وغياب أيّ رؤية بعيدة المدى لديه من أجل إصلاح موازنة الدولة التي أصبحت تسدّد القروض بفوائد تلتهم أعلى من نصف قيمتها.

وعلى رغم أنه لا قيود معلَنةً على الاستيراد، إلّا أن ثمّة إجراءات بدأها البنك المركزي من شأنها الحدّ من قدرة الشركات على تنفيذ هذه العمليات، بداية من توفير الدولار من البنوك وهو ما يتعذّر في غالبية الأحوال، مروراً باشتراط وضع المبالغ كاملة قبل إتمام العمليات، وصولاً إلى استغراق وقت أطول من اللازم في الإجراءات، وفرض قيود تحجّم من نشاط الشركات. وعلى خلفية اضطرار عشرات المصانع لتعليق أعمالها بشكل شبه كامل بسبب عجزها عن استيراد المكوّنات التي تدخل في الإنتاج المحلّي في الوقت المناسب، واختفاء العديد من السلع والأجهزة المستوردة بشكل كامل من السوق - وهو ما يُعزى في جزء منه إلى رغبة التجار في تحقيق أرباح أكبر عند إعادة البيع بالأسعار الجديدة -، خرج السيسي ليعلن استثناء المواد الضرورية للصناعة المحلية من قيود الاستيراد. أمّا بخصوص الضرائب الجديدة على السلع المستوردة، فهي غير موجودة على الورق، لكن فعلياً وُضعت على المستورد أعباء إضافية مرتبطة باضطراره لشراء الدولار من السوق السوداء بنسبة ارتفاع تُراوح بين 10 و20% على الأقلّ، مروراً بأعباء أخرى داخلية مرتبطة بزيادة أسعار الكهرباء والمحروقات المقرّرة في شهر تموز المقبل، إلى جانب زيادة الرواتب والأجور التي يُفترض بدء تطبيقها خلال الشهر الحالي، الأمر الذي تسبّب بزيادة كلفة الإنتاج المحلّي.

ومنذ تحرير سعر الصرف للمرّة الثانية، ورفع سعر الفائدة قبل شهرَين، يَعِد النظام بتسهيلات لتشجيع الصناعة المحلية، لكن هذه الوعود تبقى حبراً على الورق فقط، من دون إجراءات على أرض الواقع، في ظلّ استمرار الروتين الحكومي، وتعقيد ترتيبات الاستثمار، بينما تتعزّز قبضة وزارة المالية من خلال مصلحة الضرائب للحصول على مزيد من الأموال، سواءً بإجراءات مراقبة لتقليص عمليات التهرّب الضريبي، أو حتى في جمع متحصّلات ضريبية لم تكن ضمن المنظومة من قبل.

على رغم تراجع قيمة الجنيه تدريجيا امام الدولار خلال العقود الماضية إلّا ان الانهيار الحاصل اليوم يبدو مختلفا (أ ف ب)

الجيش في قلب البازار: هذه «إمبراطوريّتنا»... فاشتروها

القاهرة - **جلال خيرت**

أظهرت الأونة الأخيرة تحوّلاً واضحاً في السياسات الاقتصادية الخليجية تجاه النظام المصري، بعدما بدا أنّ الكلفة التي تكبّدتها تلك الدول لدعم بقاء نظام عبد الفتاح السيسي، بلغت مستويات قياسية، من دون أن تعود عليها بالفوائد التي كانت مُتوقّعة منها. وأصبح البنك المركزي المصري مطالباً بسداد فوائد الودائع الخليجية التي تكبّدتها تلك الدول لدعم نحو نصف الاحتياطي النقدي، في ظلّ رفض خليجي قاطع لتقديم معونات اقتصادية بمليارات الدولارات من دون مقابل، بما في ذلك المشاريع التنموية التي كان يجري ضخّ ملايين الجنيهات فيها عبر المؤسّسات الخليجية المختلفة، والتي توقّفت بشكل شبه كامل ووُجّهت إلى دول أخرى، ليقتصر الدعم الخليجي حالياً على الاستثمار والشراكة مع الحكومة، أو بتعبير أدقّ مع الجيش.

قبل وصول السيسي إلى السلطة، كانت أنشطة الجيش محدودة بشكل كبير، وقد كان الهدف الرئيس منها توفير بعض الاحتياجات الخاصّة بالقوات المسلحة وبيع الفائض للمواطنين. لكن بعد عام 2013، بات للجيش اقتصاد موازٍ لاقتصاد الدولة، متكامل ومكتفٍ ذاتياً ولديه القدرة على التعامل مع المتغيّرات بشكل حتى أكثر مرونة من الحكومة. إذ اختار السيسي أن يعتمد على الجيش للتخلّص من الروتين الحكومي، وتسريع المشاريع التي تستغرق وقتاً أكبر عبر بقيّة المؤسّسات، بسبب القوانين المعمول بها في مصر، والتي تنصّ على ضرورة تحقيق العدالة بين المتقدّمين لتنفيذ المشروعات الحكومية. لكن حتى هذه القوانين غيّرها السيسي لاحقاً عبر تعديلات دستورية، بما يتيح له تنفيذ «إسنادات» بالأمر المباشر، من دون دراسة، وبتفضيلات لا تتّسق إلّا مع الأهواء الشخصية للرئيس، الذي ظهر في أحد اللقاءات التلفزيونية ليطلب من مقاول منفّذ لمشروع تولّاه الجيش، الحصول على 25% من حقّه، والانتظار لنيل الباقي بسبب عدم وجود سيولة مالية كافية، بل ويدعوه إلى العمل في مشروع آخر، في مخالفة لكلّ قواعد الاقتصاد.

باختصار، بنى السيسي إمبراطورية اقتصادية للجيش على حساب المصريين، بدءاً من تمكين العسكر من الحصول على الأراضي بالمجان، مروراً بإعفاءات جمركية كاملة على جميع ما يجري استيراده لصالحهم، وصولاً إلى إزالة الأسواق الشعبية وطرد الباعة المتجوّلين من المناطق الحيوية من أجل وضع منافذ للجيش ولاحقاً للشرطة، واقتطاع بعض الأراضي في المناطق العسكرية لتكون مناطق استثمارية وتجارية. وتنوّعت استثمارات الجيش ما بين محطّات محروقات ومصانع «معكرونة» ولحوم، فيما بقيت ميزانياته وأرباحه أسراراً عسكرية لا تعلَن ولا تناقش، لكن المؤكد أن تلك الأرباح بلغت مليارات الجنيهات، بما يفوق باشواط ما تُحقّقه شركات القطاع الخاص، والتي تُسدّد رسوماً مبالغاً فيها لصالح الدولة، تُحصّلها من المواطنين.

وفي السنوات الأولى من حُكم السيسي، ضجّ الخليجيون، باستثناء القطريين، استثمارات ضخمة في مجال الإعلام، وفي مشروعات لم تُحقّق نجاحاً، إلى حدّ أنهم عندما خرجوا من هذه الاستثمارات، لم يجنوا سوى أقلّ من ربع ما أنفقوا فيها. ونتيجة لذلك، تتركّز أعين الخليجيين اليوم على الاستثمارات التي ينفّذها الجيش، لضمان العائد المادّي، خصوصاً أنه يُصعب الخروج منها مستقبلاً من دون استرداد ما دُفع فيها. وتتطلّع السعودية والإمارات، تحديداً، إلى المشروعات الأكثر ربحية، مثل شركات توزيع المياه المعدنية، والبنوك الحكومية، ومحطّات المحروقات. ويعود هذا الشرط الخليجي إلى كون الاستثمارات السابقة انصبّت بمعظمها في شركات خاسرة، من دون أن تفلح في إنعاشها أو إعادتها إلى الحياة. لكن المشكلة التي تواجهها شركات الجيش هي ميزانيتها السرّية، والتي تصعّب طرحها في البورصة بهدف إضفاء إطار رسمي على الاستثمارات الخليجية.

وتنتظر الأطراف السعودية والإماراتية والقطرية خطّة الحكومة المصرية لإشراك القطاع الخاصّ في إدارة أصول الدولة بقيمة 10 مليارات دولار سنوياً، قبل ضخّ استثماراتها، وهي الخطّة التي أعلن عنها السيسي الشهر الماضي، من دون توضيح تفاصيلها. ويمثّل بيع الأصول التي تديرها الحكومة أو الجيش، أحد الطرق المتوفّرة أمام النظام للحصول على الدولارات من الخليج، في ظلّ صعوبة الحصول على قروض للسنوات الأربع المقبلة، بهدف تخفيف أعباء الموازنة. وستنطلق عمليات إشراك القطاع الخاص، أو بمعنى أدقّ بيع جزء من أملاك الدولة للخليجيين، في أيلول المقبل، ببرنامج طرح الشركات الحكومية للاكتتاب في البورصة، حيث تستهدف مصر جمع نحو 6 مليارات جنيه خلال الطرح الأوّلي، بما يعادل نحو 330 مليون دولار فقط، في حين تُجرى مراجعات لحصص شركات الجيش التي ستُطرح في وقت لاحق، إلى جانب حصص من شركات تمتلكها هيئة قناة السويس.

في السنوات الاولى من حكم السيسي، ضجّ الخليجيون، باستثناء القطريين، استثمارات ضخمة في مجال الإعلام (أ ف ب)

استراحة

كلمات متقاطعة 4025

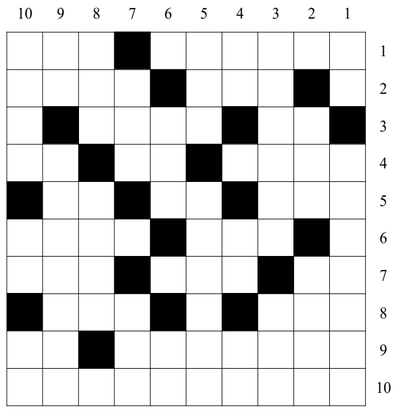

أفقيا

1- جامعة مصرية – حيوان بحري – 2- شن حرباً – رتبة عسكرية – 3- من الحيوانات – شديد الحر – 4- نهر فرنسي – رجع وعطف – سعل – 5- حرف جزم – أمر قطيع – أصل البناء – 6- من أسماء السيف – ينتف الشعْر – 7- هرب – مدينة في اليمن – يُصنع من العجين – 8- صوّت الديك – عاتب – 9- كبرى مدن الاسكا – حرف نصب – 10- من أغانيه " بقى عايز تنساني "

عمودياً

1- من الأقارب – من الأشجار – 2- هدّ الحائط – عدّاء بالأجنبية – 3- مدينة عراقية – كلام بالعامية – 4- كسر رأسه – صوت الطفل إذا بكى – حب – 5- مُضجر – إمارة صغيرة في أوروبا – 6- أثبت صحة الخبر – للتعريف – 7- فجور – تحصّنَ في مخبأ – 8- ضد سلم – سلالة هندية قديمة حكمت البيرو – 9- نعم بالأجنبية – إمتلاك دولة بلاد غيرها بالكامل أو جزءاً منها – 10- من الفاكهة – خلاف يقين – بلل في الحائط بلغة العامة

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- بطرس الأكبر – 2- ار – لهب – سرو – 3- يُباغت – أبكم – 4- رون – ملح – ي ي – 5- نش – با – يملش – 6- المارن – 7- يوان – ما – أم – 8- وز – سف – مغلي – 9- نيجيري – رود – 10- خربة قنافار

عمودياً

1- بايرن ميونخ – 2- طربوش – وزير – 3- ان – 11 – جب – 4- سلخ – بلنسية – 5- اهتمام – فرّق – 6- لب – أمّ – ين – 7- احيرام – 8- كسب – من – غرف – 9- بركيل – ملوا – 10- رومي شنايدر

sudoku 4025

	2		1				4	
4		7	3					
					8	3	7	6
2						7		
		4	7	2	3			
	9	1	5				3	2
				1			8	
8				6		2		9
	1			3	2	4		

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 4024

6	2	5	1	7	9	3	8	4
9	7	1	3	4	8	2	5	6
4	3	8	5	6	2	9	1	7
3	6	7	2	8	1	4	9	5
5	4	2	6	9	3	8	7	1
1	8	9	7	5	4	6	3	2
7	9	4	8	2	5	1	6	3
2	1	6	9	3	7	5	4	8
8	5	3	4	1	6	7	2	9

مشاهير 4025

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

شاعرة أميركية (1830-1886) من الأشهر في القرن التاسع عشر. لم تلقَ التقدير الأدبي في حياتها. أعيد اعتبارها فيما بعد
1+2+3+4 = عاصمة البيرو ■ 8+10+7+9 = ضد حركة ■ 6+5+11 = حاجة بالأجنبية

إعداد نعوم مسعود

حل الشبكة الماضية: **شفيق المغربي**

إعلانات رسمية

بلاغ رقم: 2/4

تُعلن وزارة الاتصالات بأنها ستضع قيد التحصيل إعتباراً من 2022/05/19 الكشوفات التالية: كشوفات فواتير الهاتف الثابت عن شهر نيسان 2022 بالإضافة الى كشوفات الفواتير المتأخرة غير المسددة، ولقد حددت مهلة أقصاها 2022/06/14 لتسديدها.
وتُذكر المشتركين الكرام بالتدابير التالية:
في حال التخلف:
1 - تُقطع خطوط المشتركين المتخلفين عن الدفع باتجاه واحد «للاستقبال فقط» اعتباراً من تاريخ 2022/06/13.
2 - تُقطع خطوط المشتركين المتخلفين عن الدفع بالاتجاهين اعتباراً من تاريخ 2022/07/04 وتستوفى الغرامة عن إعادة وصل الخط (11,000 ل.ل.) اعتباراً من هذا التاريخ.
3 - تُلغى اشتراكاتهم بصورة مؤقتة بعد مرور شهر واحد على تاريخ قطع الإشتراك اعتباراً من 2022/08/01 ويعاد وصله بعد تسديد المتأخرات المستحقة إضافة الى رسم إعادة وصل الخط (11,000 ل.ل.) وذلك حتى تاريخ الإلغاء النهائي.
4 - تُلغى اشتراكاتهم بصورة نهائية بعد مرور ثلاثة أشهر على تاريخ الإلغاء المؤقت اعتباراً من تاريخ 2022/11/01 وتستوفى غرامة قدرها (2%) شهرياً وتحرر الارقام الملغاة وتُحصل المتأخرات بالطرق القانونية المعمول بها.
إستناداً الى المادة 45 من قانون المحاسبة العمومية.
5 - يُحرم المشترك الملغى رقمه من الحصول على إشتراك جديد قبل تسديد جميع الفواتير المستحقة عليه.
ملاحظة: أ - تُقطع خطوط المشتركين المتخلفين عن تسديد فاتورة هاتف شهر آذار 2022 باتجاه واحد «للاستقبال فقط» اعتباراً من تاريخ 2022/05/17.
ب - يمكن للمشتركين الملغاة خطوطهم والذين لم يسددوا فواتيرهم المتأخرة المبادرة الى تقسيط المتأخرات في صناديق المناطق الهاتفية وفي مصلحة الشؤون المالية - مبنى وزارة الاتصالات، شارع رياض الصلح وإمكانية الحصول على إشتراك جديد.
إمكانية تسديد الفواتير عبر الوسائل التالية:
- لدى أي صندوق من صناديق قبض الفواتير التابعة لوزارة الاتصالات على كافة الأراضي اللبنانية.
- لدى أي مصرف عبر توطين الفاتورة مقابل 2,000 ل.ل. للفاتورة الواحدة أو أكثر (للاستعلام اتصل بمصرفك).
- مكاتب LibanPost: مقابل 2,000 ل.ل. للفاتورة الواحدة أو بكلفة 1,500 ل.ل. للفاتورة الواحدة عبر الاشتراك بخدمة «جباية من العنوان» (للاشتراك بهذه الخدمة يمكن الاتصال بالرقم 01/629629 - مقسم 333).
- مكاتب شركة ويسترن يونيون OMT بكلفة 2,000 ل.ل. للفاتورة الواحدة.
- مكاتب شركة ويسترن يونيون BOB FINANCE بكلفة 2,000 ل.ل. للفاتورة الواحدة.
- عبر شبكة الانترنت على موقع هيئة أوجيرو (ogero.gov.lb).
كما تُذكر المشتركين: بأحكام المرسوم رقم 4565/93 (المادة الثالثة منه) وتعديله بالمرسوم 11682 تاريخ 1998/01/30 لجهة تحديد مهلة أربعة أشهر للإعتراض بعد إنتهاء المهلة المحددة للدفع والمذكورة اعلاه، ووجوب تقديم طلب الاعتراض في المنطقة الهاتفية التابع لها رقم المشترك.
يُطلب من المشتركين الكرام التجاوب السريع مع مضمون هذا البلاغ، شاكرين لهم حسن تعاونهم.
بيروت في 26 نيسان 2022
المدير العام لإستثمار وصيانة المواصلات السلكية واللاسلكية
المهندس باسل أحمد الأيوبي
التكليف 256

البلاد

من النهر إلى البحر

النكبة الدائمة والشعب الفدائي

وليد شرارة

الصهيونية مشروع نكبة دائمة بالنسبة للشعب الفلسطيني. فعملية اقتلاع هذا الشعب من أرضه لإحلال المستوطنين الصهاينة في مكانه، والتي بدأت من خلال تطهير عرقي منظم وسريع وواسع النطاق بين خريف 1947 وربيع 1948، مضت في ما بعد على «وتيرة هادئة»، وهي مستمرة إلى اليوم. قاوم الشعب الفلسطيني منذ بداية الصراع ببسالة وتصميم نادرين التطهير العرقي، وما زال يقاومه، غير أن ما حكم مآلاته في

النكبة كانت نتاجاً للهيمنة الغربية على المنطقة والعالم، ودعم أقطابها اللامحدود، وفي جميع الميادين، للصهاينة

العقود الماضية كان ميزان القوى الإجمالي، الدولي والإقليمي والمحلي، المختل لصالح كيان وظيفي، نشأ، واستمر، وتعاظمت قوته، برعاية الإمبرياليات الغربية المهيمنة على المنطقة والعالم. حالة الهلع، وليس القلق، الوجودي، التي تجتاح الكيان، قيادة ومستوطنين، نتيجة إدراك التحولات الجارية في موازين القوى المذكورة، هي التي تفسر قراره بتسريع التطهير العرقي مجدداً، والتي يأتي في سياقها التوحش الراهن في عمليات التنكيل بالفلسطينيين لطردهم من بيوتهم وأحيائهم، كما يحصل في حي الشيخ جراح للمثال لا الحصر، ومحاولة الاستيلاء على المسجد الأقصى، والعودة إلى سياسة القتل العمد للترويع، والتي تجلت باستشهاد الصحافية المناضلة شيرين أبو عاقلة. لقد أوضحت معركة «سيف القدس»، التي توحّد فيها الشعب الفلسطيني في أراضي 1948 والقدس والضفة وغزة، واستخدم جميع أساليب النضال من الحجر إلى الصاروخ، وحظي بدعم أركان محور المقاومة وبتضامن هائل في أرجاء المعمورة، بينما طغى التخبط والإرباك على أداء القيادة الصهيونية وحلفائها في الغرب، حقيقة هذا التحول. إضافة لذلك، وإذا أخذت في الاعتبار عوامل وازنة أخرى، كالتوجه الأميركي للتخفف من «أعباء الشرق الأوسط» وهو اتجاه سيتعزز مع الحرب في أوكرانيا، واشتداد المنافسة الاستراتيجية مع الصين، وانعكاساته على معادلات القوة في الإقليم، فإن الاستنتاج الذي يفرض نفسه هو أن جميع عناصر هذا المشهد الدولي والإقليمي والمحلي توفر أرضية خصبة لاحتدام المواجهة في فلسطين بين شعبها وقواه المقاومة من جهة، والمشروع الاستيطاني الإحلالي من جهة أخرى. وما سلسلة العمليات «الفردية» التي وقعت في أنحاء فلسطين سوى مؤشر آخر على هذا الاحتدام، حيث ينفذ مقاومون، بمبادرة ذاتية في معظم الحالات، حكم الشعب بجنود الاحتلال ومستوطنيه.

آخر قلاع هيمنة آفلة

أي نقاش لتاريخ الصراع مع الكيان الصهيوني وتطوراته المحتملة في المستقبل بمعزل عن موازين القوى الدولية والإقليمية سيصل إلى خلاصات عديمة الصلة بواقعه. فمن اللحظة الأولى، أي منذ بداية الاستيطان الصهيوني في فلسطين بإشراف بريطاني، وطوال المراحل التي تلت، وصولاً إلى يومنا هذا، نحن أمام غزوة صهيونية-غربية مشتركة، تشكل امتداداً لغزوات الغرب لبقية بقاع المعمورة. النكبة كانت نتاجاً للهيمنة الغربية على المنطقة والعالم، ودعم أقطابها اللامحدود، وفي جميع الميادين، للصهاينة، وجميع الحروب التي شنها هؤلاء في ما بعد، اندرجت في سياق استراتيجية ترسيخ وتوسيع هذه الهيمنة. التراجع التدريجي، ولكن المستمر، لهذه الهيمنة بفعل عوامل عدة داخلية وخارجية، وأبرزها التنافس الاستراتيجي المستعر مع الصين وروسيا، الذي يترجم حالياً حرباً على الساحة الأوكرانية، واضطرار الولايات المتحدة لإعادة جدولة أولويات جدول أعمالها الدولي بفعل ذلك، هو تحد بالغ الخطورة بالنسبة للكيان الصهيوني. إدارة بايدن ما زالت على التزامها بـ«ضمان التفوق الاستراتيجي النوعي»، وفقاً لتعبيرها، للكيان، غير أن دينامية النزاعات الدولية الراهنة وتلك المقبلة، وما تتطلبه من تعبئة للموارد والطاقات ستحد موضوعياً من قدرتها على مساندة ورعاية الحليف العضوي. وتعطي الحرب في أوكرانيا مثالاً جديداً على ضمور نفوذها وسيطرتها، إذ هي لم تستطع إلزام حتى حلفائها «التاريخيين» في بلدان الجنوب، كدول الخليج، أو المستجدين، كالهند أو حكومة بولسنارو في البرازيل، على الانحياز لها ضد روسيا. الولايات المتحدة تضعف، وهذه كارثة استراتيجية بالنسبة لإسرائيل. هي لم تنجح أيضاً رغم حروب التدمير التي شرعت بها في هزيمة أطراف محور المقاومة في الإقليم، التي ضاعفت من قدراتها العسكرية النوعية وبات تدخلها لمساعدة المقاومة في فلسطين سياسة رسمية، كدعوة مرشد الجمهورية الإسلامية لتسليح الضفة الغربية وإعلان السيد حسن نصرالله أن المساس بالمسجد الأقصى يعني حرباً إقليمية. البيئة الدولية والإقليمية المتغيرة هي أول دواعي أرق قادة الكيان.

شعب فدائي لا «ذئاب منفردة»

طغيان اليمين القومي والديني على المسرح السياسي الصهيوني هو بين دوافع الانتقال من سياسة التطهير العرقي والاستيطان التدريجي و«الهادئ» إلى التوحش المنفلت من عقاله. غير أن ما يزيد من هذا التوحش هو الشعور العميق بأن الزمن لا يعمل لصالح الكيان. عبّر إيهود باراك، الذي يعكس مزاج قطاع معتبر من النخبة السياسية والعسكرية الصهيونية، عن هذا الشعور عندما أعرب عن خشيته من عدم وصول الكيان إلى عتبة الـ80 سنة، على الرغم من تركيزه على التهديد المتمثل بانقساماته الداخلية وليس على التحديات «الخارجية». تشي هذه الانقسامات في الحقيقة بانهيار «النموذج الصهيوني» الذي تأسس الكيان على قاعدته، وتشظي المجتمع الاستيطاني بين تيارات الهوية القومية والدينية المختلفة، والقاسم المشترك شبه الوحيد في ما بينها هو استكمال التطهير العرقي. قد تكون أبرز دلالات معركة «سيف القدس» هي تنامي مقاومة الشعب الفلسطيني للتطهير العرقي، والدمج بين جميع أساليب النضال لهذه الغاية. وبما أن القدس والضفة الغربية هما اليوم الساحة المركزية لهذه المعركة، فإن تصاعد المواجهات الشعبية والمسلحة مع الاحتلال، وتشكُّل بؤر محررة لفصائل المقاومة، كمخيم جنين مثلاً، هي محطات هامة على طريق انتفاضة جديدة. وفي مثل هذه الظروف، فإن العمليات الفدائية «الفردية» ضد الصهاينة، المتتالية في الأسابيع الماضية، ليست من فعل «ذئاب منفردة»، بحسب التعبير الغربي الشائع، والتي تكون عادة عناصر معادية لمحيطها، بل تعبّر عن تبلور ظاهرة نضالية جديدة ضد الاحتلال، وهي ظاهرة المقاوم الذي يحظى باحتضان شعبه ويعتبر نفسه ذراعه المسلحة. نحن أمام امتداد لانتفاضة السكاكين التي انطلقت في 2015، واعتقد البعض أنها انتهت. التصدي لمشروع النكبة الدائمة هو عنوان المرحلة بالنسبة للشعب الفدائي.

(أ ف ب)

شتات

فلسطينيّو أوروبا: «بدون» النكبة!

رزان حلبي

هُجّر الفلسطينيون بين البلدان العربية المحيطة، لبنان وسوريا والأردن ومصر والكويت والعراق. وهاجر آخرون من هذه البلدان العربية إلى دول أوروبية. مرّ المهاجرون الفلسطينيون في عدة سياقات مركزية حالت دون استمرار

يمكننا القول إن التعاطي الأوروبي مع «فلسطينيّة الفلسطينيين» يأتي استجابة لطريقة تعاطي الاحتلال الإسرائيلي معهم

بقائهم في البلدان العربية التي هُجّروا إليها، من صراعات وأوضاع معيشية سيئة. لذلك، آلت بهم الظروف للهجرة والرحيل عنها باتجاه دول أوروبية مختلفة. تعود أكبر موجات هجرة الفلسطينيين إلى أوروبا إلى ما بعد نكسة 1967، وأحداث «أيلول الأسود» عام 1970، بالإضافة إلى الحرب الأهلية في لبنان (1975-1989) ومجزرة صبرا وشتيلا، وأخيراً توقيع اتفاقية أوسلو في سنوات التسعينيات.

لم تكن الهجرة الفلسطينية إلى أوروبا باتجاه دولة بعينها، بل كانت موزّعة بين عدة بلدان، خصوصاً الدول التي كانت تعطي الحق في الإقامة. ويمكننا القول إن جزءاً منها لأسباب سياسية بدأ باتجاه أوروبا بشكل تلقائي بعد إعلان إقامة دولة الاحتلال عام 1948. الجدير ذكره هنا أن الحكومة البريطانية سنّت في الخمسينيات قانوناً يسهّل مجيء الفلسطينيين، كما وسهّلت إجراءات الحصول على الجنسية، الأمر الذي يثير التساؤلات حول الأسباب التي جعلت بريطانيا تسهّل هجرة وتجنيس الفلسطينيين فيها في تلك الفترة!

انقسم معظم الفلسطينيين الموجودين في البلدان الأوروبية بين طالبين للعلم، غالبيتهم من طبقة اجتماعية جيدة إلى برجوازية، وبين عمّال، انتهوا جميعهم إلى العيش والاستقرار فيها. من ناحية، بدأت موجة من آلاف العمّال الفلسطينيين باتجاه أوروبا عبر عقود عمل ممنوحة بناءً على اتفاق بين الحكومة الأردنية وحكومة ألمانيا الغربية. من ناحية ثانية، قدم مهاجرون آخرون عبر برامج مساعدة اللاجئين الفلسطينيين التي تم طرحها في السويد في ستينيات القرن الماضي. غير ذلك، يمكن عزو هجرة الفلسطينيين إلى تعاون منظمة التحرير الفلسطينية مع الجمهورية الألمانية الديموقراطية (ألمانيا الشرقية).

يلاحظ أن معظم العمّال والطلاب الفلسطينيين الذين ذهبوا إلى أوروبا بقوا فيها. لكن إحصاء تعداد الفلسطينيين في الشتات الأوروبي عملية صعبة وغير دقيقة. يعود السبب إلى جملة عوامل، منها تسجيلهم في السجلات المدنية بجنسيات مختلفة، كالأردنية والسورية واللبنانية وغيرها من الجنسيات، كالأوروبية التي تجنّس بها الفلسطينيون، أو لاعتبارهم عديمي الجنسية بكل بساطة. وهو أمر يمكن ملاحظته بسهولة في معظم الجامعات الفرنسية والإنكليزية.

وهنا إشارة إلى الصعوبات التي يتعرّض لها الطلاب الفلسطينيون في الخارج عند التسجيل للجامعات أو في الإجراءات الإدارية المدنية كافة في تلك البلدان. على سبيل المثال، لا يمكن للطالب الفلسطيني أن يجد اسم بلده ضمن بلدان العالم المقترحة عند التسجيل في جامعة السوربون. وعلى هذا النسق، تغيب فلسطين عن قائمة بيانات معظم الجامعات، أو تتم الإشارة إليها بأجزاء منها كالتالي: «الأراضي الفلسطينية» (territoires palestiniens) و«غزة-أريحا» (Gaza-Jéricho) أو «بدون» (sans nationalité).

يمكننا القول إن التعاطي الأوروبي مع «فلسطينيّة الفلسطينيين» يأتي استجابة لطريقة تعاطي الاحتلال الإسرائيلي معهم. فأحياناً يمكننا استشفاف التفاهم الضمني بين آلة الاحتلال وبين التعاطي الأوروبي، وأحياناً يعكس التعاطي الأوروبي، كما في حالة فرنسا، ضياعاً إدارياً بين ما هو قائم وغير قائم. على سبيل المثال: إرفاق كلمة «إسرائيل» إلى جانب «القدس» كمدينة الولادة، سواء على بطاقة الإقامة أو وثائق الأحوال الشخصية كشهادات القيد العائلي وغيرها. وعند الاستنكار وطلب التغيير تتم الاستجابة أحياناً ويُمحى اسم دولة الاحتلال، إلا أن إرفاق اسم دولة الاحتلال ابتداء غير مبرر، بحكم عدم البت الأوروبي بعد في أن القدس عاصمة إسرائيل.

اكتملت نكبة الفلسطينيين عامة، وفلسطينيي الشتات خاصة، بتوقيع اتفاقية أوسلو التي تجاهلت وجودهم، بل واكتفت بفتات أرض فلسطين، على قاعدة الاعتراف المتبادل مع دولة الاحتلال على مستوى التاريخ والذاكرة. شكّلت هذه الحقبة تحولاً جذرياً في مكانة الأرض والوطن والجماعة التي شكّلت الذاكرة الجامعة على أساسه. كما وعمل الاتفاق اللاحق لوثيقة الاستقلال عام 1988 على تعليق مكانة الجزء الأعظم من الشعب الفلسطيني في الشتات وفلسطينيي الأراضي المحتلة عام 1948 الذين تجاهلت حقوقهم كمواطنين فلسطينيين أصحاب حق بالعودة والتعويض. نجد هنا استمراراً لنكبة 1948، لا تبعات لها فحسب، بل استهدافاً مباشراً لعناصر الهُوية من وعي للذات والذاكرة والأرض والعلاقة بينهما عبر سلسلة من عمليات التشويه والمحو غير المقتصرة على صعيد الوطن بل على صعيد العالم.

(سليمان منصور)

وجوه

فيصل حوراني... العائد من «دروب المنفى»

يوسف فارس

رحل، أوّل من أمس، في العاصمة السويسرية جنيف، الكاتب والصحافي والمفكّر الفلسطيني الكبير، فيصل حوراني، عن عمر ناهز 83 سنة (1939-2022)، سخّرها في خدمة القضية الفلسطينية، مقاتلاً بالسلاح في شبابه، ثمّ صحافياً وباحثاً مثابراً في منتصف العمر، ثمّ كاتباً روائياً ومؤرّخاً وناقداً للتجربة النضالية الفلسطينية حتى وفاته. أثرى ابن بلدة المسمية، القريبة من غزة، المكتبة الفلسطينية والعربية بعدد هائل من الإصدارات الثقافية والنتاجات الأدبية، التي طُبعت في عدد من العواصم العربية والأوروبية. وقد فاقم رحيله مشاعر الحزن في الأسرة الثقافية الفلسطينية التي شيّعت في صبيحة فقدانه الشهيدة الصحافية شيرين أبو عاقلة. ومن المقرّر أن تجري مراسم نقل جثمانه إلى رام الله في قادم الأيام، لتُقام له هناك مراسم جنازة رسمية.

هو فيصل حوراني، المولود في بلدة المسمية التي هُجّر أهلها عام 1948. عايش النكبة في السنة التاسعة من عمره، ثمّ نزح مع أسرته إلى سوريا، التي نشأ فيها وتعلّم، ومنها انطلق في رحلة نضالية زاخرة بالأحداث والتفاصيل. إليه تعود الموسوعة التاريخية الأكثر زخماً في المكتبة الفلسطينية، والموسومة بـ«دروب المنفى»، والتي تقع في خمسة مجلّدات طوال حمل كلّ واحدٍ منها عنواناً فرعياً: «الوطن في الذاكرة 1994»، «الصعود إلى الصفر 1996»، «زمن الأسئلة 1998»، «الجري إلى الهزيمة 2001»، ثمّ الإصدار الأخير «دروب المنفى 2003». تفرّغ للكتابة في الهزيع الأخير من حياته، بعد أن تركت الحروب توقيعها في أجزاء كثيرة من جسده، إلى أن تركته في حالة صحّية يصفها في «دروب المنفى» بقوله: «فقدت الإبصار بواحدة من عينيّ أثناء الحرب التي أبعدتني عن مسقط رأسي، وفقدت السمع بواحدة من أذنيّ في حرب أخرى من الحروب التي لحقتني في المنفى، فصرتُ لا أرى محدّثي إن جلس على يساري ولا أسمعه إن جلس على يميني. احتلّ داء لا شفاء له ظهري، واحتلّ داء آخر لا شفاء له صدري».

في صباه، كان قد شارك في تأسيس «رابطة الطلاب الفلسطينيين»، ثمّ أصبح رئيسها في عام 1964، ثمّ ترأس قسم الدراسات الفلسطينية في مركز الأبحاث التابع لـ«منظّمة التحرير الفلسطينية» وهو أحد «أعضاء المجلس الوطني».

عاش حوراني حياةً حافلة بالتفاصيل والصراعات الفكرية والأحداث التي أنتجت تراكماتها تجربة حياتية يصفها الكاتب المصري عمر عبد العزيز بقوله: «إنها لو وردت في فليم أو عمل درامي، لبدا مخرج العمل سخيفاً لفرْط ما فيها من مبالغة خيالية». ولعلّ شخصية حوراني المتميّزة هي العامل الأبرز في إنتاج تلك الحياة. حجز الرجل، بكلّ ما امتلكه من فكر وثقافة وإخلاص وطني، مقعداً متقدّماً في حياة قائمة طويلة من القادة والزعماء الذين شكّلت أسماؤهم الجزء الأكبر من التاريخ النضالي الفلسطيني والعربي المعاصر، من أمثال ياسر عرفات، صلاح خلف، خليل الوزير، أحمد جبريل وفاروق القدومي، والقادة السياسيين العرب، مثل صلاح جديد، خالد بكداش، وعبد الحليم خدام، الذين كان يكثر من

رحل صاحب «بير الشوم» في أيام بدت وكأنها «عِشرية الحزن الفلسطينية»

الدخول إلى مجالسهم الخاصة، في أكثر اللحظات تأزّماً وتوتّراً.

غير أن شخصيته نفسها، بكلّ ما فيها من أنفة وقدرة لافتة على التعاطي بندّية متهكّمة أحياناً مع أكبر الزعامات، أسهمت في ولوجه درباً وعراً من الأزمات السياسية، التي دفع ضريبتها غالياً. ولعلّ خلافه مع الرئيس الراحل، ياسر عرفات، هو واحدة من تلك المحطّات التي يرويها في كتابه «الحنين... حكاية عودة» بعذوبة منقطعة النظير. فقبل أن يحكي عن تفاصيل لقائه بأمه التي غاب عنها قسرياً لـ46 عاماً، قدّم موقفه من «اتفاقية أوسلو» ووهم السلام المشتهى مع المحتلّ، وقد أدّت معارضته الاتفاق الذي ولدت منه السلطة عام 1994، إلى قطع راتبه الشهري لشهور طويلة، كما لم يَسمح الراحل عرفات بإنجاز إجراءات عودته أسوة بكلّ الذين عبروا معه رحلات المنافي، والذين تمكّنوا بفضل «أوسلو» من العودة إلى قطاع غزة والضفة الغربية، قبل أن يتدخّل أحد أصدقائه وأصدقاء «أبو عمار» المقرّبين، في إنجاز المصالحة التي عاد بموجبها إلى غزة، تلك العودة التي كانت ملحمة درامية بذاتها.

لحوراني أسلوب كتابي متقن ومتين، يوظّف فيه اللغة البسيطة والمكثّفة في آن، في تقديم المواقف والأحداث والصراعات الواقعية في سياق هادئ آسر للقارئ، يمكن أن يصبح في لحظة واحدة درامياً ومتوتّراً وشديد التأثير. هو من الكتّاب القلّة الذين استطاعوا ببراعةٍ المزاوجة بين حياتهم الشخصية والعامة في أطروحاتهم وآرائهم السياسية، ويتبدّى ذلك في كتابه «دروب المنفى» - نال «جائزة فلسطين للسيرة» عام 2003 -، الذي يبوح فيه بما يتجاوز هامش الـ2300 صفحة، بما لم تخنه فيه ذاكرته المتحفّزة من أحداث تاريخية كان فيها حاضراً. باختصار، هو كاتب يمتلك ذاكرة فريدة، كتب رواياته وإصداراته بالطريقة التي يروي بها مشافهة لجلسائه. كما أنه من القلّة الذين يتقنون «الاستغابة» ذات المستوى الراقي، و«لي في هذا رأي طالما سمعه أصحابي منّي، وهو أن الاستغابة وظيفة ممتعة من وظائف الجسد»، كما يقول.

احتفظ حوراني بتمايزه، بالضبط كما كان ينصح قارئه، ليس في أفكاره التي انحاز فيها إلى ما سُمّيت «الواقعية السياسية» التي نظّر لها في رواية «المحاصَرون» بعبارته الأثيرة التي يحذّر فيها الثائر من الغفلة، لا عن مراقبة العدو وتذخير السلاح فحسب؛ فـ«الإفراط في الحماس غفلة، كما هو الإفراط في اليأس»، بحسبه. ومع أن مواقفه السياسية تلك، ضاعفت من منتقديه في صفوف الرعيل الأول للثورة، غير أنه ظلّ مدافعاً عن فكرة «تجليس» الفعل المقاوم، من إطاره «المطلق»، إلى الحيّز الذي يمكن فيه ترجمة هذا الفعل إلى «تغيير سريع» للواقع. ومهما يكن، فقد احتفظ ابن المنافي باحترامه حتى في صفوف الجذريّين، الذين اختلفوا معه، وأحبّوا فيه استعداده غير المحدود للتضحية.

تمايز حوراني يَظهر أيضاً في قدرته على الغوص في أعماق الهواجس النفسية التي تساور حتى منَ يحملون أرواحهم على أكفهم، وهو ما ظهر في تعريفه الدقيق للخوف الذي ينتاب الإنسان المقاوم، حيث يقول: «الخوف ليس هو الجبن، ومَن الذي لا يخاف؟ الجبان قد يهرب حتى حين لا يوجد ما يخيف، أمّا غير الجبان، فخوفه ممّا يخيف يحفّزه للاستبسال في مواجهته». لكن التمايز/ التميّز هنا، امتدّ كذلك إلى نسق الحياة... الحياة البسيطة التي تحيط بها عزّة النفس، فهو يترفّع عن الحصول على منحة علاجية، لأن غيره من البسطاء أوْلى بتكاليفها، تماماً كما يترفّع عن تقلُّد المناصب العليا في السلطة التي عرضت عليه.

رحل صاحب «بير الشوم» في أيام بدت وكأنها «عِشرية الحزن الفلسطينية»، وسيعود من المنفى بعد أن خبر دروبه كلّها، لكن هذه المرّة، بلا رحيل آخر.

البلاد

شتات

مقابر المخيّمات تضيق باللاجئين

حنين رباح

«كان عليّ أن أزيح عظام أبي لأفسح المجال أمام جثة عمي، كانت العظام قد اختفت وكأنّ العالم قد ابتلعه» بهذه الكلمات عبّر محمود معطي من مخيّم برج البراجنة عن مشكلة عدم وجود مساحة لقبور جديدة و«نبش» القديمة لزيادة قدرتها على استيعاب المزيد. يؤكد معطي أن المقابر في المخيّمات الفلسطينية امتلأت، إذ يضطر اللاجئون في لبنان، منذ سنوات، لنبش قبور ابائهم وأجدادهم. أصبح من المألوف فيها حمل شاهد القبر الواحد أكثر من اسم كحل لإيواء الموتى الجدد بسبب اكتظاظ المقابر وتردّي الأوضاع الاقتصادية، ما لا يسمح بشراء قبور خارج المخيم.

في مخيم برج البراجنة، عند موتك وقبل البكاء على فراقك، سيكون البكاء على تأمين مكان لإيواء جثتك! وبعد برودة الجثة سيصار إلى دفنها في أحد قبور الأقارب، أو سيشتري أقاربك، إن استطاعوا، قبراً فاخراً في سبلين. ومنذ بضعة أسابيع تم استحداث 50 قبراً بجانب سور المقبرة، وبحسب عضو لجنة المقبرة، أسعد محمود، فإن «هذه القبور هي مخصّصة لحالات استثنائية في حال كان المتوفّى قد تُوفي أحد أقاربه في فترة زمنية قصيرة ما يعني عدم إمكانية فتح قبره، إذ تحدد الفترة بين الجثة والثانية بسنة ونصف سنة كحد أدنى»، ما يعطي أملاً لأهالي المخيم هو وجود مقبرة وهبها النائب وليد جنبلاط في سبلين مخصصة لدفن اللاجئين الفلسطينيين من لبنان وسوريا، لكن بحسب محمود يجد أهالي المخيم صعوبة في الدفن في هذه المقبرة لبعدها الجغرافي والتكلفة العالية لعملية الدفن التي تصل إلى 600 دولار للقبر. وهي المكان الوحيد المتاح، إذ أكدت المتحدثة باسم وكالة الأمم المتحدة للغوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (أونروا)، هدى سمرا، لـ«الأخبار»، أن مساحة المقبرة تبلغ عشرة آلاف متر مربع وهي لا تزال تسع للموتى.

لكن تكلفة القبر في المخيم ليست أقل سوءاً. حفّار القبور حمزة حبيب يشرح لـ«الأخبار» عملية الدفن «المشترك»؛ إذ تزاح العظام وتوضع في سبلين. ومنذ بضعة أسابيع تم استحداث 50 قبراً بجانب سور المقبرة، وبحسب عضو لجنة المقبرة، أسعد محمود، فإن «هذه القبور هي مخصّصة لحالات استثنائية في حال كان المتوفّى قد تُوفي أحد أقاربه في فترة زمنية قصيرة ما يعني عدم إمكانية فتح قبره، إذ تحدد الفترة بين الجثة والثانية بسنة ونصف سنة كحد أدنى»، ما يعطي أملاً لأهالي المخيم هو وجود مقبرة وهبها النائب وليد جنبلاط في سبلين مخصصة لدفن اللاجئين الفلسطينيين من لبنان وسوريا، لكن بحسب محمود يجد أهالي المخيم صعوبة في الدفن في هذه المقبرة لبعدها الجغرافي والتكلفة العالية لعملية الدفن التي تصل إلى 600 دولار للقبر. وهي المكان الوحيد المتاح، إذ أكدت المتحدثة باسم وكالة الأمم المتحدة للغوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (أونروا)، هدى سمرا، لـ«الأخبار»، أن مساحة المقبرة تبلغ عشرة آلاف متر مربع وهي لا تزال تسع للموتى.

> في عملية الدفن «المشترك» تزاح العظام وتوضع في أكياس بجانب الجثة الجديدة

لكن تكلفة القبر في المخيم ليست أقل سوءاً. حفّار القبور حمزة حبيب يشرح لـ«الأخبار» عملية الدفن «المشترك»؛ إذ تزاح العظام وتوضع في أكياس بجانب الجثة الجديدة، و«رغم مجانية القبر فإن تكاليف الحفر ومستلزمات القبر قد تصل إلى 8 ملايين ليرة لبنانية وفي بعض الأحيان إلى 20 مليوناً في حال قرر أهل الفقيد وضع بلاطة كاملة للقبر». وقد رفعت اللجان الشعبية الصوت عالياً مطالبة بأرض جديدة قريبة من المخيم.

المشكلة لا تنحصر في مخيم برج البراجنة، إذ تكدّست مدافن اللاجئين في لبنان تماماً كما المخيّمات، وأصبح إيجاد مدفن معناه تزاد إلى ألم فقدان الأحبة. ففي مخيم شاتيلا، تمدّدت قبور الموتى على الرصيف إلى جانب مقبرة الشهداء التي يبلغ عمرها ما يقارب الـ50 عاماً. لا مكان فيها لدفن «المدنيين» فقط جزء صغير مخصص للمناضلين وقادة الفصائل وذوي المكانة الاجتماعية في المخيّم. أمّا اللاجئ «العادي» فلا يمكن سوى فتح قبر قديم لأحد أقربائه، إذ بلغ عدد الموتى في القبر الواحد الـ6، أو التوجّه نحو مقبرة «المقاصد» في الغبيري مقابل مبلغ 6 الاف دولار للقبر بحسب عضو اللجنة الشعبية في المخيم ناجي دوالي. تبقى أيضاً مقبرة سبلين هي الحل الأخير بعد أن استنزفت جميع الأماكن أيضاً في مقبرة الداخلية في المخيّم إلى جانب مسجد شاتيلا، حيث تم دفن بعض الموتى في منزل قرب المقبرة لضيق المساحة. ولا تقف المشكلة عند شحّ القبور بل أيضاً، بحسب دوالي، تعاني مقبرة الشهداء من انعدام المياه رغم وجود عائلة بكاملها تسكن في داخلها وتتولى المهمات اللوجيستية بالإضافة إلى تهديم الحمامات وعدم بناء بديل منها. المقابر، تلك البقعة التي كانت وستظل لها رهبة في كل قلب، مع مشهد القبور المتراصة واحداً تلو الآخر، أمّا في المخيم، فلا تخيف اللاجئ فقط رهبة الموت، بل يطارده شبح تأمين القبر قبل الممات ليُحشر في مساحة كان يعلم أنها ضيقة لكن ليس إلى هذا الحد!

(هيثم الموسوي)

(الأخبار)

فلسطينيّو حارة اليهود بدمشق: قصص من ذاكرة التعايش

واصف حميدة

كثيرة هي القصص التي سمعتها في طفولتي عن حارة اليهود في دمشق القديمة، والتي كانت المحطة الأولى لإسرتنا عند خروجها من مدينة صفد مسقط رأس العائلة، إبان النكبة عام 1948، حيث سكنت الحارة، حتى نهاية عام 1964، لينتقل بعدها جزء من العائلة إلى البيت الذي بناه جدي في مخيّم اليرموك للاجئين الفلسطينيين جنوبي العاصمة السورية. وقد بقي الجزء الآخر في الحي إلى يومنا هذا، مع الكثير من العائلات الفلسطينية التي أصبحت جزءاً من نسيج المكان. ولطالما دارت الأحاديث عن قصر شمعايا، وعن اليهود سكان الحي الأصليين، وكيف تعاملوا مع جيرانهم الجدد الذين وصلوا إليهم بسبب حركة ترفع الدين شعاراً لاحتلال فلسطين.

الشتات الاول... "يومين وراجعين"

استقبلت العائلات الدمشقية من مختلف المشارب الدينية والطوائف، الفلسطينيين المهجّرين، ولا سيما أن عدداً من العائلات الفلسطينية تربطها علاقات قربى ومصاهرة وتجارة مع العائلات الشامية. فنزلوا أحياء الأمين وحارة اليهود والشاغور والقيمرية وباب توما وباب شرقي والعمارة داخل السور، وكوّنت معهم علاقات اجتماعية لم تختلف عن علاقاتها بباقي عائلات الحي الشامي من مختلف المشارب الدينية. تستذكر أم خالد الأطباء اليهود، والذين كان يلجأ إليهم الفلسطينيون والسوريون لاستطبابهم، نظراً إلى مهارتهم وشهرتهم الواسعة في مدينة دمشق، إضافة إلى صيدلية إيلي شالو الشهيرة، التي كانت تتوسط الحي، وتكاد لا تجد موطئ قدم داخلها بسبب الإقبال الشديد عليها.

وتضيف ابنة الـ84 عاماً، التي استضافتنا في بيتها داخل الحي الدمشقي القديم: "كانت علاقتنا مع سكان الحي من اليهود جيدة جداً، ما زلت أذكر جارنا الصيدلي داوود نمرود حيث كان زوجي أبو خالد، يعاني من أمراض القلب، فنلجأ إليه عند إصابة زوجي بنوبة في الليل، ليهرع إلينا ولا يكتفي بإعطائه الدواء، بل يبقى معه إلى أن يطمئن أنه تجاوز الخطر".

أحتك اللاجئ الفلسطيني، على مدى الأعوام، مع اليهود الدمشقيين واستطاع بناء علاقة معهم، وُصفت بالـ"ودية" والوثيقة، التي لا تختلف عن مثيلاتها مع باقي مكوّنات المجتمع الشامي الذي استقبل الفلسطينيين وتعاطف مع قضيّتهم. فقد غدا اللاجئ الفلسطيني، مع الزمن، جزءاً من هذا النسيج، إلّا أن ذلك لم يمنع المنظمة الصهيونيّة العالمية والوكالة اليهودية من محاولة ضرب حالة الاستقرار الاجتماعي التي عاشها اليهود العرب في الدول العربية، ممن رفضوا الانضمام إلى المشروع الصهيوني، وذلك بهدف الضغط عليهم للهجرة إلى داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة، خدمة لمشروع الدولة الصهيونية الدينية.

وقد بلغ عدد اليهود في سوريا أكثر من 10 الاف، عام 1909، فكان لهم في الحارة التي سكنوها في دمشق 12 مكتباً (مدرسة)، فيما بلغ عدد معابدهم في المدينة عشرة، أشهرها كنيس "سوق الجمعة"، بحسب ما أورده عبد العزيز محمد عوض في كتابه "الإدارة العثمانية في ولاية سوريا 1864- 1914". ومن جهته، أشار شمس الدين العجلاني في كتابه "يهود دمشق الشام"، إلى أن أعداد اليهود في سوريا تواتر ما قبل سنوات النكبة الفلسطينية وبعدها، حيث بلغ عددهم عام 1943 حوالى الـ30 ألفاً، ولكن بحلول عام 1945 أضحى عددهم 15 ألفاً تقريباً، وبعد حرب عام 1967 بلغ عددهم 550 في دمشق وحلب.

> "أناس بسطاء وطيّبون، لكنّ البعض منهم كانت لهم ارتباطات مع الصهيونية"

بهذه الكلمات بدأ اللاجئ الفلسطيني أبو جمال (62 عاماً)، واحد سكان حارة اليهود، حديثه لـ«الأخبار». ويضيف قائلاً إنه "رغم محاولات الصهيونية العالمية العمل على مبدأ الدين وجمع يهود العالم في فلسطين، إلا أن معظم يهود دمشق رفضوا الفكرة، وأيّدوا أن الدين ليس له وطن، كما تمسكوا بأنهم سوريون وأبناء هذه الأرض، بل أظهروا تعاطفاً مع الفلسطينيين المهجّرين من بلادهم، شأنهم شأن جميع الدمشقيين الذين فتحوا أبواب بيوتهم لاستقبال العائلات الفلسطينية".

يعيش أبو جمال اليوم وسط الحي الدمشقي داخل أسوار المدينة القديمة، ويسكن بيتاً دمشقياً عتيقاً ورثه عن والده الذي هُجّر من مدينة لوبية الفلسطينية. يقول إن هذا هو البيت الذي وُلد وكبر فيه، وأنطلق منه للعمل ضمن صفوف الثورة الفلسطينية، ويعود تاريخه إلى عائلة طوطح اليهودية الدمشقية الشهيرة، وما زال يحافظ في بعض زواياه على الطراز المعماري القديم لبيوت الحي.

خضع اللاجئون الفلسطينيون للقوانين السورية، من حيث المساواة مع المواطن السوري في كل المجالات، ما عدا حق الانتخاب والترشح للبرلمان والإدارات المحلية. فقد ساوى القانون الرقم (260)، الصادر عام 1956، اللاجئ الفلسطيني بالمواطن السوري، من حيث الأنظمة المتعلقة بحقوق التوظيف والعمل والتجارة وخدمة العلم، مع الاحتفاظ بالجنسية الفلسطينية، الأمر الذي سهّل اندماجهم في البيئة الاجتماعية الجديدة ووصولهم إلى المؤسسات الحكومية، إضافة إلى أهم القطاعات الاقتصادية.

يقول أبو جمال عن علاقة الفلسطينيين باليهود الدمشقيين سكان الحارة: "كانت تجمعنا معهم زيارات عائلية متبادلة، كنا نهنئهم بأعيادهم ويهنئوننا بأعيادنا، نشارك في عزاءاتهم ويشاركون في عزاءاتنا، كعلاقة أيّ نسيج اجتماعي داخل أسوار الشام القديمة". ثم يشير بيده إلى الغرفة التي يجلس فيها، ويقول: "هذه الغرفة كانت تشهد سهرات لشبّان الحارة من مختلف المشارب، وكان الأصدقاء اليهود لا يغيبون عن هذه السهرات ولعب الشدة المحتدمة إلى ساعات الصباح الأولى".

"أناس بسطاء وطيّبون، ولم نرَ منهم أيّ أذى، إلا أن البعض القليل منهم كانت لهم ارتباطات سابقة مع المنظمة الصهيونية، وهاجروا بمساعدتها إلى أراضينا في فلسطين المحتلة، وسكنوا بيوت الشعب الفلسطيني"، يضيف أبو جمال. ثمّ يتجه إلى خزانته ويسحب بيته القديم، ويخرج منها قطعة نحاسية منقوشة، ويخبرنا عن قصة جاره اليهودي ناتان، الذي كان يعمل في الشرقيات والحفر على النحاس. "عندما نجحت في الصف السادس نادااني وأهداني هذه، صينية نقشة حفرها بيده لمناسبة نجاحي، وما زلت إلى حدّ الآن أعتزّ واحتفظ بها".

يعيش اليوم ضمن الحارة عدد قليل من اليهود الدمشقيين من كبار السن، وهم ممن بقوا في المدينة، بعد موجات الهجرة، فيما يقوم أهل الحي وجيرانهم وغالبيّتهم من اللاجئين الفلسطينيين بالعناية بهم وتأمين جميع احتياجاتهم، بعد سفر أقربائهم إلى الخارج. يقول أبو جمال عنهم: "هم أصدقاء لنا جميعاً، بل هم أهل أيضاً، خاصة أنهم تمسكوا بجذورهم ورفضوا الفكر الصهيوني، وواجب علينا أن نرعاهم ونقدم لهم أيّ مساعدة، وهذا هو حق الجار".

إسرائيليات

في جدل «الصهيونيّة السوداء» وفلسطين: التاريخ من نافذة خلفيّة

محمد عبد الكريم أحمد

هيمنت أفكار النخبة الأفريقية في أوروبا والعالم الجديد، على مسارات الفكر الأفريقي الرئيسة في القارّة السمراء، منذ عقود "الاتصال" الأولى حتى إرهاصات الاستقلال الأفريقي، في خمسينيات القرن العشرين، وبروز أصوات أكثر عقلانية وثقة في إرثها الأفريقي، وأكثر تفهّماً لطبيعة علاقات الاستلاب والغلبة التي هيمنت على هذا الاتصال، وأعادت تنميط "العقل الأفريقي" وصياغته، وفق تصوّرات ضيّقة ومصطنعة إلى حدّ كبير. وتتّضح هذه المفارقة في صياغة وعي أفريقي مستعار خرج من رحم "الثقافة الغربية" وانسحب على رؤية ما عُرفت بالصهيونية السوداء للمسألة الفلسطينية، من نافذة بالغة المحدودية والمدى. هذه النافذة لم تتّسع لرؤية أشمل لجوانب المسألة بل اكتفت، إن جاز القول، بتعويض نقائص واعتلالات شتى انتابت دعاة "الصهيونية السوداء"، منذ إرهاصات مساعي "الانعتاق العرقي". عبر ترسيخ شخصية أفريقية على قدم المساواة مع "الشخصية المسيحية الأوروبية"، ورؤيتها العنصرية لحقوق الشعب الفلسطيني، حتى تحوّلات "الارتباط الاستهلاكي" للصهيونية السوداء مع المشروع الصهيوني الأشمل، منذ سبعينيات القرن الماضي، وصعود خطاب أفريقي ناقد لهذا الارتباط على خلفية تجارب عملية ومقاربات تفكيكية أكثر دقة ورصانة وإن لم تحظَ بالاهتمام أو التفاعل العربي (والفلسطيني) اللائق حتى الآن.

نموّ الصهيونية السوداء: "تفوّق عنصري مستعار"

كشف تناوُل سيلفستر أ. جونسن، في مؤلفه The Myth of Ham in Nineteenth Century American Christianity (2005)، في ارتباط غير مباشر بنمو تيار الصهيونية السوداء، كيف نمت النزعة العرقية، في القرن 19، الصحيوة بتكوين "تراتبية عرقية"، ويُبرّرت وتُعمت من قبل الخطاب المسيحي الأميركي، كما كشف أنّ كلّ "ما أصبح "أميركياً" في هذا القرن، كان في الأساس صنيعة "العقيدة المسيحية"، فقد استغلّ البيض (في سياقنا هنا) قصة إسرائيل ووضعوها أنفسهم محلّ شعب الله المختار، أو "أرض إسرائيل الجديدة" في "أميركا". وسرعان ما ارتبطت الهوية البيضاء بالقداسة واختيار الرب، وساعدهم تبنّيهم لهذه الهوية العرقية على وضع تبرير لقمع واضطهاد غير المسيحيين (وفي مرحلة لاحقة المسيحيين غير الأوروبيين) أو الوثنيين. وقد برّرت هذه "الإيديولوجيا الدينية" مفهوم "القدر المتجلّي" Manifest Destiny (من ضمن ما يقصد به التقدير الإلهي لتوسّع الولايات المتحدة بين المحيطين الأطلسي والهادئ)، وشرعنت إبادة الأميركيين الأصليين، كما برّرت، نوعاً ما، تجارة الرقيق على صوته لإدانة "التدخّل الأميركي في لبنان في عام 1959". ووفقاً لصحيفة "ذا غارديان"، فقد التزمت غالبية الصحافة السوداء (في بريطانيا والولايات المتحدة) الصمت أو النقد الخافت للتدخّل في لبنان، لكنّها لم تبرّز مرة أخرى الدور الإسرائيلي، وحافظ ديبوا على خط ناعم إزاء إسرائيل، كما كان صامتاً، بحسب الصحيفة، إزاء حقوق الفلسطينيين.

وظلّت مسألة فلسطين مهمّشة نسبياً في سياسات الاستقلال الأفريقي، واعتبرت بشكل واضح مسألة "غير أفريقية". وعلى سبيل المثال، مثّلت دولة الوحدة بين مصر وسوريا (شباط 1958، وما تعنيه من إعطاء أولوية للمسألة الفلسطينية وتهديداً لإسرائيل حينذاك) هاجساً ملحّاً في سياسات الزعيم الغاني، كوامي نكروما، الأفريقية (تلقّى نكروما تعليماً جامعياً في الولايات المتحدة)، رغم مبادرة "الدولة الجديدة" على الفور، بإعلان دعمها لحركات التحرّر الأفريقي، واهتمامها بتحقيق الوحدة بين العرب والأفارقة. وفي مظهر واقعي لفكرة "الوحدة الأفريقية" في تصوّر نكروما (وأغلب رفاقه من قادة الدول الأفريقية في واقع الأمر، في ستينيات القرن الماضي) بدت مصر في تلك اللحظة منافساً لغانا. وبحسب "ماتيو كريلي" Mateo Crilli (في مؤلّفه عن "النكرومية والقومية "بالمعاناة الممتدة" لليهود، ومن ثمّ انخرطوا في تخيّل رسولي في مواضيع من قبيل صهيون وتجلّي مملكة الرب، كتجسيد نهائي للحرية والخلاص"، رغم تبدّل أدوار القهر وحقيقة قيام دولة إسرائيل على حساب حقوق الشعب الفلسطيني كافّة.

يمكن القول من دون تردّد، إنّ "الصهيونية السوداء" قد خرجت كاملة من رحم الصهيونية المسيحية الأميركية، الأمر الذي لا يستقيم تسويغه من دون ملاحظة سعي الصهيونية في الأساس، كما عرّفها المؤتمر الصهيوني اليهودي الأول (1897)، للاعتراف بوطن آمن قانونياً في فلسطين للشعب اليهودي"، ومن ثمّ فقد عُرف الصهاينة المسيحيون بأنّهم من يدعمون عودة اليهود للأراضي المقدّسة، ومرّت الجماعات السوداء في الولايات المتحدة بدرجات بالغة التفاوت من الاستقلال الذاتي خلال القرن 19. وبينما تمّ استيعاب بعض الأفارقة الأحرار وسط مكوّنات الجماعة البيضاء، ظلت النسبة الكبرى من السود "سجناء مشروع الرق الرأسمالي وقمعه" طوال القرن 19. وبينما كان من سافر من المسيحيين الأميركيين السود إلى الأراضي المقدّسة في مستوى أقل من نظرائه البيض، فإنّ ممارساتهم وتقاليدهم الدينية لم تكن أقلّ ارتباطاً بمواضيع "أرض بني إسرائيل".

فلسطين في سياسة "الاستقلال الافريقي"

خفّفت نزعة الصهيونية السوداء، وتجلياتها في فكر نخب أفريقية داخل القارة وخارجها، من جدية أية انتقادات أفريقية لإسرائيل، منذ نهاية الخمسينيات،

> ظلّت مسالة فلسطين مهمّشة نسبياً في سياسات الاستقلال الافريقي، واعتُبرت بوضوح مسالة "غير افريقية"

في خضمّ تعرّض السياسات الإسرائيلية بشكل عام، لانتقادات عالمية من قبل قوى تقدّمية أو يسارية. وظلّ رائداً ونخبوياً أفريقياً بارزاً، مثل وليام ديبوا، كما حال جلّ رفاقه الأفارقة في الولايات المتحدة، متلطّفاً على نحو لافت إزاء، سياسات إسرائيل "تجاه الفلسطينيين"، رغم علو صوته لإدانة "التدخّل الأميركي في لبنان في عام 1959". ووفقاً لصحيفة "ذا غارديان"، فقد التزمت غالبية الصحافة السوداء (في بريطانيا والولايات المتحدة) الصمت أو النقد الخافت للتدخّل في لبنان، لكنّها لم تبرّز مرة أخرى الدور الإسرائيلي، وحافظ ديبوا على خط ناعم إزاء إسرائيل، كما كان صامتاً، بحسب الصحيفة، إزاء حقوق الفلسطينيين.

وظلّت مسألة فلسطين مهمّشة نسبياً في سياسات الاستقلال الأفريقي، واعتبرت بشكل واضح مسألة "غير أفريقية". وعلى سبيل المثال، مثّلت دولة الوحدة بين مصر وسوريا (شباط 1958، وما تعنيه من إعطاء أولوية للمسألة الفلسطينية وتهديداً لإسرائيل حينذاك) هاجساً ملحّاً في سياسات الزعيم الغاني، كوامي نكروما، الأفريقية (تلقّى نكروما تعليماً جامعياً في الولايات المتحدة)، رغم مبادرة "الدولة الجديدة" على الفور، بإعلان دعمها لحركات التحرّر الأفريقي، واهتمامها بتحقيق الوحدة بين العرب والأفارقة. وفي مظهر واقعي لفكرة "الوحدة الأفريقية" في تصوّر نكروما (وأغلب رفاقه من قادة الدول الأفريقية في واقع الأمر، في ستينيات القرن الماضي) بدت مصر في تلك اللحظة منافساً لغانا. وبحسب "ماتيو كريلي" Mateo Crilli (في مؤلّفه عن "النكرومية والقومية الأفريقية" - 2018)، فإنّ نكروما كان يريد التعاون مع جمال عبد الناصر - الذي يشترك معه في رؤيته للسياسة الأفريقية - لكن كان عليه مواجهة ثلاث مشكلات رئيسة، أولاها وثاقة صلة القاهرة بموسكو التي مثّلت هاجساً لنكروما إزاء تعزيز تلك الصلة لقيادة السوفيات عملية القضاء على الاستعمار؛ وتبنّي عبد الناصر فكرتَي الوحدة الأفريقية والوحدة العربية (وفي قلبها القضية الفلسطينية)، في آن واحد، في "ازدواجية" غير مقبولة لدى نكروما؛ ثم كون الجمهورية العربية المتحدة، التي تحظى بدعم سوفياتي هائل، قوة اقتصادية كبيرة يمكن أن تحجّم من دور غانا، سياسياً أيضاً.

نحو نقد أفريقي للصهيونية السوداء

طرح أتشيل مبيمبي Achille Mbembe (2017) تصوّراً مجرّداً، وناقداً في مضمونه، للنزعة السوداء Blackness بشكل عام. مفادها أنّها محكومة بثلاثة اعتبارات رئيسة، وهي الاستعمار والعبودية والأبارتيد، قلّصت جميعها خطاب السود تعبيراً عن أنفسهم، ضمن سياق موازٍ لخلق فكرة تفوّق العالم الغربي بمنطق عرقي صرف وتكريساً لأفريقيا مقابلاً "ملتبساً" لهذا العالم، وصولاً إلى فكرة متطوّرة، لفت مبيمبي النظر إليها، بارتباط ظهور ابتداع وتصنيف وترتيب الأعراق، بهدف نهائي وهو الاستغلال الاقتصادي، أو لتبرير السلطة على مستوى اقتصادي.

ووصل النقد الأفريقي للصهيونية السوداء إلى مستوى عميق، بعد تحوّلات مهمّة في جنوب القارّة منذ مطلع التسعينيات وتطوّر زخم الربط بين نظام الابارتيد في جنوب أفريقيا وترسيخ إسرائيل نظاماً حقيقياً للفصل العنصري داخل حدود فلسطين، لخّصتها جولي بيتيت J. Peteet في دراسة أنثروبولوجية حول الابارتيد الإسرائيلي (2016) بـ"تكوينات اجتماعية للاستعمار الاستيطاني"، في نهاية القرن 20 ومطلع القرن 21.

خاتمة

ربط مفكّرون أفارقة كثُر تصوّراتهم بشكل عام، بالثقافة الغربية على نحو يمكن معه القول باطمئنان كبير، إنّ المستكشفين والمبشّرين والساعين وراء الثروة والمستثمرين الأوروبيين، ساهموا طوال قرون ممتدّة في الابتكار الأوروبي لفكرة "أفريقيا"، انطلاقاً من النزعة العنصرية والمركزية الإثنية، التي غذت تصوّر أوروبا لأفريقيا "كآخر مختلف وأسود"، وانسحبت لاحقاً داخل ثقافة أفريقية "مستلبة" أعادت إنتاج خطاب الهيمنة والعنصرية إزاء المسألة الفلسطينية، كما في فكر "الصهيونية السوداء".

وقد اصطدمت أفكار الصهيونية السوداء، بتجربة الأفارقة (المسيحيين و"اليهود") في "إسرائيل" على نحو بالغ الحدّة؛ إذ لاحظت جالياً صبار Galia Sabar - مثلاً - في دراسة إمبيريقية حول "السيحية الأفريقية في الدولة اليهودية"، أنّ الأفارقة الذين هاجروا إلى إسرائيل، منذ مطلع تسعينيات القرن العشرين، وتشرّبوا بالضرورة فكرة الصهيونية السوداء، لم يجدوا لهم موطئ قدم وسط المجال المسيحي في الأراضي المقدّسة، كما لم يتمكّنوا من ترسيخ وجودهم في المجال الإسرائيلي المدني العام؛ وشعروا بالاغتراب عن المسيحيين المحلّيين، وغالبيتهم من العرب، بسبب الممارسات الدينية المغايرة في ما بينهم. وكذلك لعداء المسيحيين الأفارقة إزاء الإسلام والصلة الواضحة في تصوّراتهم للعرب كمسلمين. ورصدت "صبار" في دراستها - بناءً على مقابلات ومشاهدات عملية - حقيقة مواقفهم "العنصرية" تجاه "الصراع الفلسطيني والعالم الإسلامي"، رغم تجربتهم الاغترابية داخل إسرائيل وعجزهم عن الانخراط الاجتماعي مع سكّانها اليهود ومؤسّسات الدولة وخدماتها المختلفة.

المقال كاملاً على الموقع

الأخبار
al-akhbar
السبت 14 أيار 2022 العدد 4628

صورة وخبر

يُعتبر المؤلفون الروس الأكثر تميّزاً في كتابة أعمال موسيقية للباليه. وفي مقدّمهم تشايكوفسكي (1840 – 1893). لكن قبل أن تدخل «بحيرة البجع» الذاكرة الفنّية، وتتوالد بنسخات لا تُحصى في عواصم العالم، فإنّ رائعة تشايكوفسكي لم تحظَ بالنجاح لدى عرضها الأول على «مسرح البولشوي» عام 1877. العمل الذي يتكوّن من أربعة فصول وكتبه فلاديمير بيجيتشيف استلهاماً من أسطورة ألمانيّة، مُني بفشل ذريع حينها، قبل أن يصبح أحد أكثر الأعمال شعبيةً في تاريخ الباليه الكلاسيكي (الصورة من تدريبات على «بحيرة البجع» في المسرح البلدي لريو دي جانيرو ــ بورو مينانتيل ـ أ ف ب)

المفكرة

«عاشت فلسطين» رغم أنف «رواق»

■ في مناسبة يوم العودة الفلسطيني (15 مايو)، يقيم «الرابر» اللبناني جعفر الطُّفار (الصورة) والفنان البريطاني من أصل عراقي كريم دينيس المعروف بـ Lowky حفلة غداً في «النادي الثقافي الفلسطيني» في «مخيّم مار الياس» في بيروت. كان يُفترض بالحفلة أن تجري يوم الخميس 12 أيار في مقهى «رواق بيروت»، لكنّ الأخير ألغى الحفلة قبل ساعتين من الموعد المقرر، بحجة أنّ «لوكي ينتمي إلى محور الممانعة» وفق ما قال جعفر على صفحته الفايسبوكية. علماً أنّ Lowky تعرّض قبل شهرين لحملة من اللوبي الصهيوني في بريطانيا بسبب دعمه القضية الفلسطينية. حتى إنّه مورست ضغوط على منصة «سبوتيفاي» بهدف «حذف كل مقطوعاته الغنائية، بحجة محتواها المعادي لإسرائيل».

الأمسية التي تجمع مغنيَي الراب المعروفين، يفترض أن تنهل من رصيد الاثنين الغنائي الخاص بفلسطين. الطفار الذي يتمتع بأسلوب فني خاص يمزج بين الراب والفولكلور اللبناني، يهاجم في أغانيه أباطرة النظام اللبناني الفاسدين الذين أوصلوا البلد إلى هذا الواقع المأساوي والمُزري. ولفلسطين موقع خاص في عقل وقلب جعفر الطفار. على امتداد مسيرته، قدّم العديد من الأغاني التي تحيّي صمود الشعب الفلسطيني وتدعو إلى مقارعة المحتل الصهيوني وهزيمته، وتؤكد حتمية تحرير الأرض وعودة اللاجئين إلى ديارهم منها أغنية «واصل يا وجداني النقي واصل» وأغنية «مفتاح الدار». أمّا «لوكي»، فهو مشهور عالمياً بأغانيه السياسية الملتزمة ومساندته القوية لحق الشعب الفلسطيني. قدّم عدداً من الأغنيات التي تؤيد النضال الفلسطيني وتستنكر معاناة اللاجئين مثل «دموع من أجل الضحك»، «عاشت فلسطين» و«أطفال الشتات».

يوم العودة الفلسطيني: س:20:00 مساء غدٍ الأحد ـ «النادي الثقافي الفلسطيني» في مخيم مار الياس ـ بيروت). ـ الدعوة عامة ومجانية.

يسكن يافا ويعرفها حجراً حجراً

■ ضمن عروضه المخصّصة لذكرى النكبة التي تصادف في شهر أيار (مايو)، تعرض «مؤسسة الفيلم الفلسطيني» على منصّتها وثائقي

«يافا أم الغريب» (69 د ـ 2019) لرائد دزدار. الفيلم الذي يستمر عرضه على منصة المؤسسة لغاية 18 أيار (مايو)، يعتمد على التاريخ الشفوي لهذه المدينة الفلسطينية قبل عام 1948، إذ إنّ معظم ضيوف الشريط، وُلدوا وعاشوا في يافا قبل النكبة، وهم حالياً يعيشون في الشتات. يتشاركون ويتقاطعون في قصصهم وذكرياتهم الحية لتغطية معظم جوانب الحياة في المدينة. من خلال ذاكرتهم الحياة والأرشيف المصوّر والوثائق، يجهد الفيلم لإعادة بناء بصري لهذه المدينة قبل الاحتلال. حكايات يرويها معمّرون فلسطينيون عن مدينتهم«يافا». فرغم تجاوز عمر أصحاب هذه الحكايات التسعين عاماً، إلا أنّ الذاكرة حاضرة بكل التفاصيل.

«يافا أم الغريب»: لغاية 18 أيار (مايو) ـ palestinefilminstitute.org

الموسيقى سلاح في النضال

■ يستضيف الشاعر والإعلامي اللبناني زاهي وهبي اليوم في برنامجه «بيت القصيد» (الميادين) الفنانة والباحثة الفلسطينية سلوى جرادات (الصورة) التي تتحدث عن نشأتها وسط عائلة مناضلة. والدها هو الأسير المحرر خليل جرادات وشقيقتها الأسيرة المحررة سماح جرادات. عشية ذكرى النكبة، تتحدث جرادات المتخصّصة في تاريخ الموسيقى والغناء عن أهمية الفن في المواجهة مع الاحتلال الإسرائيلي وفي ترسيخ الهوية الوطنية، وخصوصية الغناء الفلسطيني في إطار الغناء الشامي عموماً.

يتطرق الحوار إلى العروض التي قدّمتها جرادات في «مترو المدينة» (بيروت) وفي مسارح أخرى، ومنها عرض «لا شالوم» رفضاً للتطبيع مع الاحتلال، و«هنا القدس» المستوحى من الأغنيات التي كانت تبثّها إذاعة القدس خلال فترة الثلاثينيات والأربعينيات والدور الذي لعبته يومها في محيطها العربي، و«عوالم شارع عماد الدين» ونظرتها كباحثة إلى غناء العوالم وطبيعته.

«بيت القصيد»: س: 21:00 مساء اليوم على «الميادين»

الأخبار
al-akhbar
صادرة عن شركة أخبار بيروت

■ رئيس التحرير
ابراهيم الأمين
■ مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

■ مجلس التحرير
أمل الأندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

■ المدير الفني
صلاح الموسى

■ المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
■ تلفاكس: 01759500 01759597
■ ص.ب 113/5963

/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/alakhbarnewspaper

■ الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
■ التوزيع
شركة الأوائل
15ـ 01/666314 ـ 03 / 828381
■ الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

الأخبار
al-akhbar

السبت 14 أيار 2022
العدد 4628 السنة الخامسة عشرة
Samedi 14 Mai 2022 nº 4628 16ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي

www.al-akhbar.com

امنحيني قلبَكِ
فإنني أدركتُ جذورَك
ونَطقتُ، بِشَفَتَيكِ، لكلّ الشفاهِ
ويَداكِ تألَفانِ يَديّ.
وفي الخلوةِ المُضاءةِ بكيتُ مَعك
من أجلِ الأحياءِ،
وفي المِقبرةِ المُظلمةِ غنّيتُ معكِ
أجملَ الأناشيدِ
لأنّ أمواتَ هذا العام
كانوا أكثرَ الأحياءِ هياماً

(قصيدة للشاعر الايراني أحمد شاملو)

[5-4]

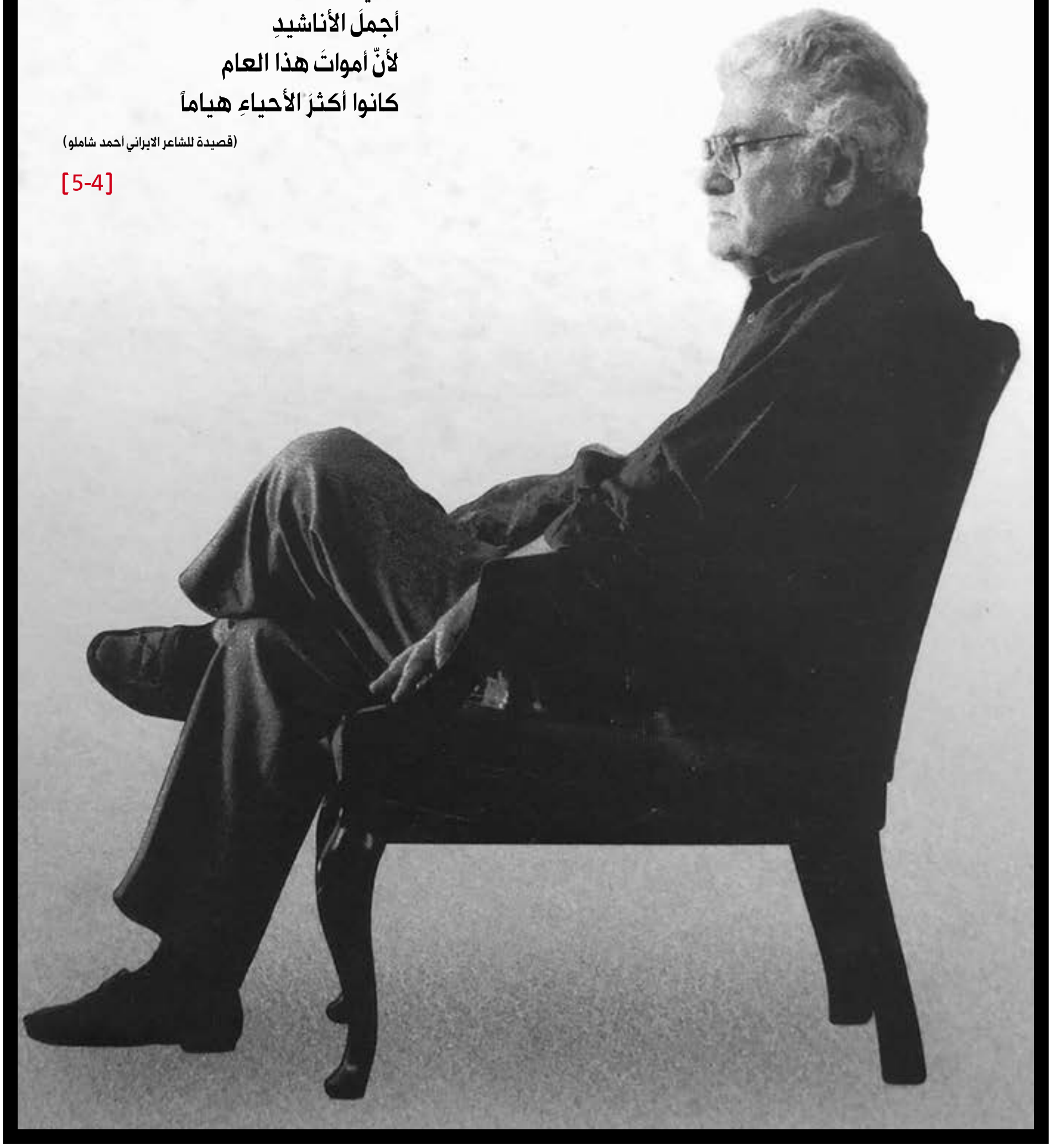

حوار

محمود خيرالله: الخمرة وجه حداثتنا المطمورة

كتاب أكثر من ضروري للمكتبة العربية هو «مزاج الباشا» (دار صفصافة، مصر، 2022) لمحمود خيرالله الذي يرصد تاريخ تطوّر الخمر عبر العصور ثقافةً وأدباً وتشابكاً مع المجتمع والسياسة والتعايش السهل أو الصعب بين مكونات البيئة الاجتماعية والدينية وحدود الإباحة والحظر، وارتباط المشروب بالرفاه المعيشي منذ اقدم العصور وصولاً إلى سعي السلفيّين المعاصرين إلى محاولة تصوير مجتمع السّلف الصالح مساحة طهرانية لا وجود فيها للمتع الذوق والحسّ واللسان. يُعلن الكاتب والباحث المصري بذكاء وشجاعة منذ بداية الكتاب أنّ «الطريقة المثلى لمواجهة التكفير السلفي السائد في الذهنية العربية هي الهجوم عليه في عقر داره». لإثبات أنّ تلك الفترة الذهبية كانت زاخرة بكل تلك المتع، واسّست لثقافة لم تكن تُعير شأناً للكثير من المحظورات التي يتمترس خلفها المتزمتون اليوم... «هل يصلح الخمر مقياساً لمدى حرية ورفاهة حياة الناس أم لا؟. عن نفسي اعتبره مقياساً اساسياً لفهم التاريخ الوجداني لقطاعات واسعة من المجتمعات العربية، خصوصاً تلك الفئة التي تتعالى عليها كتب التاريخ ويستبعدها الفلاسفة والمفكرون من مشاريعهم». عن «مزاج الباشا» والمقاربة الجريئة المطروحة في الكتاب، كان هذا الحوار

تقديم وحوار **محمد ناصر الدين**

■ بدأتَ الكتاب بمقاربة جريئة مفادها أنّ الطريقة المثلى لمواجهة التكفير السلفي السائد في الذهنية العربية هي الهجوم عليه في عقر داره. كيف تشرح ذلك؟

ـ في ظني، تعتبر القراءة غير الدقيقة لحولياتنا التاريخية سبباً رئيسياً، من بين أسباب كثيرة، لإخفاق مشروع النهضة العربي، وما ترتب عليه من إخفاق لأحلام التحرّر والتقدم في بلادنا والإخفاق في «مشروع التنوير»، الذي انتهى إلى استعارة مفهوم النهضة ودلالاته من التراث الفكري الأوروبي في القرنَين الخامس عشر والسادس عشر، متعامياً عما لدينا من الجذور التي نبتت في المدن العربية القديمة، وكان يمكن البناء عليها في صنع نهضة بسمات عربية. كذلك، أدت هذه القراءة غير الدقيقة لتاريخنا إلى الإخفاق في «مشروع تجديد الخطاب الديني»، حيث اعتمدنا على قراءات مدرسية مغلوطة ومُتسرعة ومُبتسرة للمقريزي وابن إياس وعبدالرحمن الجبرتي ورفاعة الطهطاوي، وبنينا عليها تصورات، منقوصة ومتسرعة أيضاً، عن أحوال جدودنا المجتمعية، متصوّرين أنهم كانوا جماعة متحفّظة ومتجهّمة ومغلقة على نفسها، وهذا تصوّر نمطي وغير صحيح على الأقل في مصر والشام بما عرفتا من حضارات قديمة، كانتا لم تر في كتابات مؤرخينا المعتمدين وتسجيلاتهم، ما يستحق فعلاً أن يُرى. أقصد لم نعرف إجابة على السؤال الأهم: كيف بحث الناس عبر العصور عن الحرية والمتعة؟ ولو كانت جماعات من الناس ارتضت في كلّ الأزمنة فكرة أن الخمور شيء يحقّق قدراً لا يستهان به من الحرية والمتعة، بحيث ظلت تجارتها العلنية رائجة منذ عصور ما قبل الميلاد وحتى يومنا هذا، إلا أن كل ذلك لن يكون كافياً ليدرس الباحثون هذا الارتباط بين حرية الناس وشرب الخمور، وهل يصلح الخمر مقياساً لقياس مدى حرية ورفاهة حياة الناس أم لا؟. عن نفسي أعتبره مقياساً أساسياً لفهم التاريخ الوجداني لقطاعات واسعة من المجتمعات العربية، خصوصاً تلك الفئة التي تتعالى عليها كتب التاريخ ويستبعدها الفلاسفة والمفكرون من مشاريعهم، وقد كتبت «مزاج الباشا تطور ثقافة الخمور في مصر» لتقديم إجابتي تحديداً على هذا السؤال.

■ ما الفكرة المضادة التي يمكن أن يثبتها الماضي التراثي عند مقاربة ثقافة الخمر؟

ـ الفكرة التي يثبتها الكتاب أنّ الخمور كانت مقدسة في مصر القديمة، وسائدة في المجتمع الإسلامي الأول، مثلما كانت سائدة قبله، وحضارة «اليمن السعيد» كانت مبدعة في صناعة الخمور كما نعرف. لكن الأكثر سخرية أن الفكرة المضادة في هذا الكتاب هو أن تجارة الخمور توسعت في أوائل حكم الدولة الإسلامية، كنتيجة طبيعية لدخول جيوش المسلمين بلاد الشام ومصر، أكثر بلاد المنطقة إنتاجاً بالخمور عبر البحر المتوسط. إذ فرض عمرو بن العاص في مصر الضريبة على الخمور بنفس القيمة والمخصّصات التي كانت تحصّلها الدولة الرومانية عن الخمور. كما استعان بجباة الضرائب أنفسهم الذين تعاونوا مع الدولة الرومانية التي كانت تستعمر مصر وأجزاء من الشام لحظة دخول الإسلام، وحيث أقرّ المسلمون على الخمور ضريبة تعادل ما أقروه من ضريبة على العسل، أحد أشهر المنتجات المصرية وقتها. هذا الكتاب يُزعزع الصورة النمطية التي رسمتها كتب التاريخ الرسمية وعزّزتها كتب الفقه بالكثير من الكذب والخيال... تلك الصورة المضحكة التي ترى أن المسلمين جاؤوا فقط ليُنشروا الدين، وفي الحقيقة هم كانوا في ضيق شديد وبحاجة ماسة إلى مصر، التي وصفها النص القرآني على لسان يوسف: «قال اجعلني على خزائن الأرض». هذه هي مصر التي يجري في أرضها أحد «أنهار الجنة». والدليل أنّ «خليج أمير المؤمنين» عمر بن الخطاب حفر فيها ـ بعد دخول الإسلام بعامين اثنين فقط ـ قناة فرعية من نهر النيل كانت تصبّ في البحر الأحمر، وبقي ذكرها في اسم أحد أهم شوارع القاهرة «فم الخليج» ـ لنقل البضائع المصرية طازجة إلى «المدينة المنورة» مقر الخلافة. هذا الكتاب يريد أن يثبت أن العرب ـ الذين سمحوا للفقهاء بالاختلاف بين تحريم وإتاحة الخمور ـ لم يجدوا أي غضاضة في جمع أموال الضريبة المدفوعة عن تجارة الخمور الرائجة في مصر والشام، وأرسلوا بها إلى «بيت مال المسلمين». إذ طالب الخليفة عمر بن الخطاب في خطابات ورد نصها في «فتوح مصر والمغرب» لابن عبدالحكم القرشي 250 هجرية ـ بالتعجيل بأول قافلة تأتيه من مصر، فرد بن العاص عليه: «أرسل لك قافلة أولها عندك وآخرها عندي». وهل المطلوب منا اليوم أن نصدق أنّ خليفة المسلمين عمر بن الخطاب لم يكن يعرف أن الخمور حرام ليرسل عوائد ضرائبها إلى بيت مال المسلمين؟ من الضروري اليوم أن نجيب عن هذه الأسئلة خلال تأملنا لحظة دخول الإسلام بلادنا، لأنها أسئلة مستبعدة من تاريخنا تماماً، وها هي الأحداث تجبرنا على مواجهة العقل السلفي بماضيه الحقيقي، الذي تمّت تغطيته عبر العصور.

■ تقول في «مزاج الباشا» إن البحث في تاريخ الخمور محاولة لاكتشاف الوجه الروحي الرحيم - غير الدموي - من تاريخ البشر. هلا شرحت لنا أكثر حول هذه النقطة؟

ـ طبعاً، المعروف في العالم أن ثقافة احتساء الخمور هي المعادل الاجتماعي لفكرة التسامح، لأن فئة من كل الطوائف والملل والنحل والأديان قد تلتقي في أي مشرب، وواقع وجود بيوت احتساء البيرة في مصر القديمة وامتداد الظاهرة إلى العصور اللاحقة مع الفتح الإسلامي وما بعده، يشير إلى أن اجتماع فئة من أديان مختلفة أو أصول اجتماعية متباينة لتناول الخمور في أي بار عبر التاريخ، جعل الخمر في الفهم الشعبي كأنه قوة سحرية عليا فوق الطائفية والعرقية والدين، ما يجعلنا نظن أن بيوت احتساء الخمور شكلت عبر التاريخ وفي لحظات الاستقرار السياسي، مناطق سلام اجتماعي آمنة. كما مثلت في فترات الالتهابات السياسية محاور نزاع من دون أدنى شك.

■ هل بدأت بواكير ثقافة الخمر في الظهور في مصر القديمة في إطار ديني «قدسي»، أم في إطار «مدني» حيث تربط في مكان ما المدنية بقدرة المواطن القديم على استهلاك الجعة مثلاً؟

. بدأت في إطار ديني، لكنها سرعان ما تحوّلت إلى مشروب للصغار والكبار والموتى. بدأت «مقدسة» وانتهت «مدنسة» بطريقة ما. لكنها في كل الأحوال شغلت البشرية طويلاً، قبل أن تصبح سراً دنيوياً، وفي ظني أن بيوت احتساء البيرة في مصر القديمة لم تكن تلبي الاحتياج المجتمعي لاستهلاك الخمور فقط، بل تلبي أيضاً حاجته وشوقه العميق إلى الحرية بمعناها العام لا السياسي. والإجابة على سؤالك ترد في كتاب «رسائل نساء من مصر القديمة»، وتحديداً بين سطور رسالة امرأة تدير حانة، تتوجه فيها إلى قائد المدينة وتشكو له هروب ابنتها. التي تساعدها في إدارة مخزن البيرة. مع أحد تجار النبيذ. هذا التقدير الذي تحظى به تجارة الخمور في هذا الزمن ذو جذر ديني، لكن يقف وراءه مجتمع منفتح ومؤمن بالحريات العقيدية. كل هذا المناخ المفتوح ظلت تحرم منه مصر تدريجاً منذ دخول جيوش المسلمين، وإن كان الجميع عجزوا عن مواجهة انتشار الخمور في مصر، حيث ظلت متاحة داخل سياق من الخفاء والريبة إلى أن فرضت الضريبة عليها. وباستثناء المناسبات والأعياد الإسلامية الكبرى بالإضافة إلى شهر رمضان، كانت الخمور سلعة رائجة في أغلب المدن العربية الكبرى منذ قرون بعيدة وإلى اليوم، وشكلت جانباً من جوانب التسامح الديني والعرقي والطائفي، الا يجعلها كل ذلك وجهاً «غير منظور» من وجوه حداثتنا العربية المطمورة؟.

> كانت الخمور سلعة رائجة في أغلب المدن العربية الكبرى منذ قرون بعيدة وإلى اليوم، وشكلت جانباً من جوانب التسامح الديني والعرقي والطائفي

■ في الفصل الثالث، تتناول ثقافة الخمر في الجاهلية وتورد قصة طريفة عن سرقة غزال الكعبة الثمين وارتباطها بالخمر والسُكر. هل ألِف العرب الخمرة في الجاهلية وباتت ضمن نسق ثقافي للشخصية العربية قبل الإسلام؟

ـ نعم، في ظروف الرخاء والازدهار، كانت الخمرة هاجساً عربياً أصيلاً، يكفي أنها كانت أحد أشهر أوصاف «الفتوة» و«الفروسية» و«الكرم». وهو ما يمكن أن نفهمه من رواية ابن كثير (كتاب «البداية والنهاية») لحكاية «وفد عاد» الذي كان سبباً في هلاك قبيلة عاد، قبل نزول الإسلام بسنوات طويلة. حكاية يرويها الرواة المسلمون، وتشير إلى أنه بعدما اشتد القحط بأهل عاد، اختاروا سبعين رجلاً منهم للذهاب إلى مكة المعروفة وقتها كبيت مقدس والدعاء والتضرع هناك، ليرسل الله المطر والفرج. كان سيد مكة إذاك معاوية ابن بكر. تقول الحكاية إن الوفد بقي في ضيافة معاوية لمدة شهر يشربون الخمر، حتى نسوا ما جاؤوا من أجله... إلى آخر الحكاية، ما يُشير إلى أن الروايات الإسلامية لم تكن تستبعد الخمر من تاريخ ما قبل الإسلام، حتى في مكة. ومع تزايد الفتوحات الإسلامية، زاد الشغف بالخمور في المجتمعات العربية، وما تراثنا في شعر «الخمريات»، وحديثنا عن أبي نواس وخمرياته المشهورة في القرن الثاني الهجري، سوى الصدى الذي يمكن تلمسه في هذا التراث الثقافي العربي الغني بالميل إلى الطرب والغناء والرقص والخلاعة. وأنا لا أستطيع أن أصدق أن أبا نواس الشاعر الماجن، كان يسكر بمفرده، بل أستطيع أن أدّعي أن سكره وشعره جاءا نتيجة اشتباكه مع وسط اجتماعي مفتوح ومتسامح. وما وجود أبي نواس بشخصه في «الف ليلة وليلة» مع الخمر والغلمان بصحبة هارون الرشيد سوى وجهة نظر الخيال الشعبي الفطري الذي قد يشير إلى زوايا مدهشة من الحقيقة التاريخية، بينما يسبح النص كله في خيالات خارج الواقع التاريخي أو بعيدة عن المألوف.

■ يتناول الفصل التالي الفتح الإسلامي لمصر تحديداً، وغضّ الطرف عن إنتاج النبيذ لأسباب تتعلّق بالخراج والجباية والضرائب والتجارة. هل نحن أمام براغماتية تغلّب الديني على الدنيوي، أم احترام لثقافة طويلة في التعامل مع قطاف العنب وعصر النبيذ ذكرها القرآن حتى في سورة يوسف؟

ـ نحن، بالأحرى، أمام براغماتية دولة مزدوجة ومُضلّلة. من ناحية تترك بعض الفقهاء يحرّمون الخمور ويختلفون حول ما جاء بشأنها في النص القرآني، الذي ترك، بدوره، الأمر ملتبساً، رغم أنه لم يستخدم لفظ التحريم صراحة مع الخمر لكنه كرّه الناس فيها. ومن الناحية الأخرى، تُرسل الدولة أموال ضرائب الخمور التي جُمعت من بسطاء مصر والشام إلى بيت «مال المسلمين»، من دون حتى أن تحتاج إلى نقاش فقهي. وربما دار مثل هذا النقاش لكنه لم يصلنا. على العكس، أي قراءة منصفة سوف تنتبه إلى ما ورد في «سورة يوسف» من إشارات لاحترام ثقافة شرب الخمور، حين كانت مصر القديمة تستطيع أن تحمي المنطقة من مجاعة، ويؤكد ذلك أيضاً ما ورد في نص الآية 67 من «سورة النحل»: «وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ». بمعنى أنّ الخلاف حول الخمور يمكن أن يدور في شبه الجزيرة العربية، لكنه لا يصح أبداً أن يدور في مجتمع مصر القديمة. الملك المصري في قصة يوسف كان لا يتوقف عن شرب الخمر تقريباً، والساقي الذي يسقيه الخمر يصاحبه ويرشده. وهو الملك إلى من يقرأ له الأحلام ويستطلع له المستقبل، أي أن ساقي الملك كان منصباً رفيعاً في الدولة المصرية القديمة.

■ أثناء بحثك في الأحاديث والمدونات الفقهية، هل استدللت إلى تحريم قاطع للخمر بجميع أنواعه؟ أم أنّ هناك مساحات رمادية يمكن أم تبرر ما شاع من أخبار الخمرة ومجالسها في التراث؟ وهل من دور للخلفاء والسلطة السياسية في إباحتها أو قمعها؟

ـ لا لم يكن هدفي البحث عن تحريم قاطع للخمور، لأنني اعتقدت أن الصديق الكاتب اليمني علي المقري استوفى هذه النقطة في كتابه المهم «الخمر والنبيذ في الإسلام». دوري كان البحث في ما يمكن اعتباره وثيقة أو نقوشاً، والحقيقة أن حضارة الكتابة في مصر القديمة وفّرت لنا كنوزاً من الوثائق والنقوش وقطع الجرار الفخارية والبراميل التي لا تزال تحتفظ بآثار «الجعة». وبالتالي، يمكن أن نفهم كيف تصرّف أجدادنا في حرياتهم الشخصية، بينما التاريخ في شبه الجزيرة العربية، كما يعرف دارسوه، لا يعتمد على نقوش أو رسوم أثرية إلا في ما ندر، لأنه تاريخ يعتمد على مرويات تاريخية وكتب قديمة، ومنها كتاب «قطب السرور في أوصاف الأنبذة والخمور» للرقيق القيرواني مثلاً، وهو مؤرخ وأديب من أهل «القيروان». وقد كان ساسياً، فقد عمل كاتباً للدولة «الصنهاجية» زهاء نصف قرن، وتوفي عام 420 هـ. هذا الكتاب يستحق أن يطبع في كل البلدان العربية ليرد على التيارات السلفية، ويجب أن يطبّق على طلاب «الأزهر الشريف»، وسوف يكون علامة من علامات الفقه الإسلامي «المستنير». فليس من المنطقي أن نخشى اليوم كلمات فقيه مات في القرن الخامس الهجري، إذا كنا نريد فعلاً، أن نجدد الخطاب الديني.

> محمود خيرالله: كتابي المقبل بعنوان «العنب في المائور الشعبي» وفي الامثال والحكم والالغاز والقصص والحكايات الشعبية

■ كيف تطورت ثقافة الخمر في العصر المملوكي؟ وهل يمكن اعتباره عصر «مأسسة» ثقافة الخمر عبر الملاهي والحانات و«بيوت المزر»؟

ـ العصور المملوكية تبدأ من مماليك الملك الصالح نجم الدين أيوب، مروراً بالمماليك البحرية، فالمماليك البرجية (الجراكسة)، فالمماليك العثمانية التي حكمت مصر تحت إشراف الباب العالي في الآستانة، وهي فترة تمتد من الربع الثاني من القرن السابع الهجري (منتصف القرن الثالث عشر الميلادي) وتستمر حتى الربع الأول من القرن الثالث عشر الهجري (آخر القرن الثامن عشر الميلادي تماماً)، وهي فترة طويلة نسبياً، تستطيع أن تقول عنها إنها فترة انتشار ثقافة الخمامير و«بيوت المزر». تم تنظيم تجارة الخمور لتسهيل الحصول على الضريبة، وقد أشرنا إلى أحد أشهر ملاهي القرن الثامن الهجري في مصر وهو «خزانة البنود»، التي لم تكن مجرد ملهى ليلي وبيت للدعارة ومشرب ومرقص فقط، بل ظهرت نتيجة «شراكة تضامنية» نادرة بين عدد من الخارجين على القانون هدفها كسر كل التابوهات الدينية والاجتماعية. وبالتالي حظيت هذه الشراكة بكثير من المناصرين وراغبي المتعة والمكاسب، بل أصبح منافسوها يريدون التخلص منها. وينتبه المقريزي في كتابه «السلوك لمعرفة دول الملوك» إلى أنّ «خزانة البنود» استمرت لسنوات طويلة تقدم خدماتها ولم تتعرض للإبادة، إلا حين أصبحت تمتلك قوة اجتماعية واقتصادية جاذبة، جعلت أكبر المنافسين يحقد عليها. في هذه الحالة، لا بد من أن تتدخل السلطة للحفاظ على علاقات الملكية السائدة، خصوصاً أن نائب السلطان ويدعى «آل ملك» كان صاحب تجارة، وقد ابتنى لنفسه داراً في ظاهر «الحسينية» وعمّرها وأنشأ بجانبها جامعاً وحماماً وربعاً وحوانيت وبقيت في نفسه حزازات من أصحاب «خزانة البنود». يقول المقريزي: «نزل إلى القاهرة ومعه الحاجب وعدة من أصحاب النائب وهجموا على خزانة البنود، وأخرجوا جميع سكانها وكسروا أواني الخمر، فكانت شيئاً يجل وصفه كثرة... فكان يوم هدم «خزانة البنود» يوماً مشهوداً من الأيام المشهورة المذكورة، عَدِل هدمها فتح طرابلس وعكا، لكثرة ما كان يعمل فيها بمعاصي الله».

■ حملة نابوليون على مصر شكلت نقطة مفصلية في تاريخ البلاد الثقافي، وعدّت الخمور نقطة سجالية بين من يريد أن يجعل من القاهرة «باريس صغيرة في الشرق» وأهالي البلاد وعاداتهم وتقاليدهم وثقافتهم الأزهرية. كيف انتهى هذا «الكباش» الثقافي والاجتماعي بين الطرفين؟

. أختلف معك في أنّ المصريين جميعاً، الآن وفي أي وقت مضى، يملكون ما تسميه «عادات وتقاليد وثقافة أزهرية»، بدليل أنّ أول بار تأسّس في مصر في عهد الحملة الفرنسية (1798 . 1801) وعلى الطراز الأوروبي كان يحمل اسم «بار المشهد الحسيني»، لأنه كان قريباً من «مسجد الحسين»، وما رواه المؤرخون عنه يُشير إلى أنه كان حلقة الوصل بين المصريين والفرنسيين. لكن الأهم أن الفرنسيين لم يأتوا لينشروا الخمور في مصر، بالعكس حين وصلوا، وجدوا «بني الخمار» وهو ملتزم سداد ضريبة الخمور. كما وجد الفرنسيون كثرة غالبة من المصريين يشربون الحشيش، فشربوه مثلهم وأحبوه وأخذوه معهم إلى بلادهم، ومنها انتشر في أنحاء أوروبا. لكن قيادات الحملة حاولوا إقناع المصريين بالتخلي عن تناول الحشيش لصالح الخمور، لكنهم فشلوا في ذلك. كما أن بونابرت حاول دخول الإسلام، لكن علماء الأزهر رفضوا أن يعلنوه مسلماً لأنهم لم يصدقوا إسلامه، وليس بسبب عدم توقفه عن شرب الخمر.

■ في الفصل المعنون «مزاج الباشا»، رصدت تعامل محمد علي باشا مؤسس الدولة المصرية الحديثة مع الخمور والمتع الأخرى كالحشيش والمعجون إلى حد تعيين موظف هو «المعجونجي» بمرسوم ملكي. كيف يمكننا تقييم هذه السياسة؟

ـ كما يعرف الجميع، محمد علي كان تاجر دخان البانيا. هو لا يعرف سوى المكاسب ولا يؤمن بالخسارة، وسياسته كانت تخدم مشاريعه، السياسية والعسكرية والتجارية والعمرانية، وبالتالي كان يتخذ القرارات السياسية التي تسمح له بالانتصار على أعدائه الإقليميين. وقد شرب محمد علي الخمور في شبابه، لكنه أكمل حياته شارباً للدخان ومهتماً بمزاجه الخاص، فقام بتعيين «معجونجي»، صاحب تفنّن في مهنته (صناعة القهوة المخلوطة بالأفيون)، والباشا كان طموحاً لدرجة أنه سمح لجنوده وفق رواية الجبرتي، بالإفطار في نهار رمضان أثناء الحرب على الوهابيين في شبه الجزيرة العربية عام 1815، وكان دخول الجنود للمدينة في رمضان، فسمح للعساكر والجنود المصريين بالإفطار والتدخين في نهار رمضان، كما سمح لجنوده بشرب الخمور داخل المعسكرات خلال الحملة على الشام 1831.

■ أين يتموضع هذا الكتاب في تجربتك الكتابية؟ وهل من مشاريع مشابهة في المستقبل القريب؟

. بالإضافة إلى مشروعي الشعري، إذ أستعد لإصدار ديواني السادس «بشر بأحجام دقيقة يكبرون في تجاعيدي»، يعتبر «مزاج الباشا» الكتاب الثاني في ثلاثية تهتم بالتاريخ الوجداني، الأول صدر في القاهرة 2016 بعنوان «بارات مصر قيام وانهيار دولة الأنس»، أما الثالث فهو قيد الكتابة بعنوان «العنب في المأثور الشعبي». العمل محاولة للاقتراب من حالة الوجدان المصري حيال ثقافة العنب في الأمثال والحكم والألغاز والقصص والحكايات الشعبية، وفي «ألف ليلة وليلة». وكلها تشير إلى أن الوجدان المصري لا يزال يحتفي بالخمور ويقدّرها ويتبناها ويعرف أدوارها، كنتيجة طبيعية لهذا التاريخ الثقافي للخمور في مصر وفي كثير من المجتمعات العربية.

ملف

أحمد شاملو... «هواء نقي» في رئة القصيدة الفارسية الحديثة

يُعدّ أحمد شاملو (1925–2000) الشاعر الأبرز في خريطة الشعر الفارسي المعاصر بعد نيما يوشيج. تبلورت تجربته من خلال انفتاحها على تراث الشعر الملحمي الفارسي والنثر الكلاسيكي، و«تاريخ البيهقي»، والمدارس الشعرية العالمية الحديثة. أغنى المكتبة الإيرانية بترجمات مهمة في مجالَي الشعر والرواية، إضافة إلى إسهامه في مجال القصة القصيرة وسيناريو الأفلام والبحوث الأدبية. التحق بركب الحداثة الشعرية التي أطلقها الرائد علي إسفنديارِي الملقّب بـ«نيما يوشيج» منذ عقدها الأول. على مدى نصف قرن، أسهم شاملو في صناعة أيقونته الخالدة في الأدب الفارسي الحديث، إلى جوار قامات كبيرة مثل صادق هدايت وفروغ فرخزاد.

يُحسب لشاملو ترسيخ الحداثة الشعرية من خلال إصدار العديد من المجلات والملاحق الأدبية التي عزّزت مكانة القصيدة النيمائية (الأقرب إلى قصيدة التفعيلة العربية)، سواء تلك التي حملت توقيع الرائد نيما، أو الروّاد الذين ساروا على نهجه الحداثي وقصيدة الشعر الأبيض الأقرب إلى الشعر الحر. وبينما افتقدت القصيدة الحديثة إلى قاعدة رسمية في الجامعات و المؤسسات الثقافية؛ كانت المنشورات وسيلة للكتابة الجديدة ومحاولاتها المغايرة للتعبير عن الإنسان المعاصر في شكل شعري مختلف وبناء لغة أخرى وأسلوب مغاير. من هذا المنظور، يمكن الوقوف على دور شاملو في فتح جبهات عدة للاشتباك مع تراث شعري ألوفيّ ذي قوة مؤسّسية وجاذبية معجمية. فيما عزفت الأوساط الرسمية عن نشر القصيدة الفارسية الحديثة، أسّس شاملو إصدارات أخذت على عاتقها التبشير بقصيدة فارسية حديثة. واظب على علاقة متينة بالصحافة على مدار عقود، استطاع عبرها ترسيخ الحداثة الشعرية من خلال التعريف بتجربته الشعرية وتجارب مجايليه الذين أثر أسلوبه النثري الرمزي فيهم وفي لاحقيهم.

كان انضمامه المبكر للروّاد مصدر قوة ومتانة وثقة بالنفس في تمرّده على الوضع الراهن، وانتقاد الاستبداد ومدح العدالة. أخذ الشعر دون غيره من الأشكال الأدبية والأنماط الفنية على عاتقه، فتح اللغة على آفاق جديدة في التعبير السياسي والاجتماعي، وكان التعبير الشعري أقل تعرّضاً للرقابة من النثر. وعلى غرار أغلبية مثقّفي اليسار، كان مقرّباً من حزب «تودة» ومناصراً له، وكانوا يرون الشعر ملتزماً اجتماعياً إلى حدّ ما على غرار شعراء الثورة الدستورية أو المشروطة الذين مهّدوا للحداثة الشعرية التي سجلت ولادتها الرسمية مع قصائد نيما يوشيج. إلا أنّ انخراط شاملو في العمل السياسي كان مجاوراً على الدوام للشعر الجديد والتأليف. حارب النظام القديم في الأدب، ومن ناحية أخرى، أسهم في تطوير الشعر الذي لم ينفك عن النضال من أجل العدالة والتحرّر من الاستبداد.

يعتبر مجلّده الشعري «الهواء النقي» نقطةَ تحول أساسي في الشعر الفارسي الحديث. وصفه بعض النقّاد بأهم حدث شعري بعد ديوان حافظ الشيرازي، في هذا السياق، يعلّق الفيلسوف والشاعر الإيراني ضياء موحد: «يمكن لأي شخص يقرأ «الهواء النقي» اليوم أن يرى أنّ هذه اللغة، هذا النسيج، مختلفان عن أيّ شيء آخر. في الشعر المعاصر، قلّة أنجزت هذا النوع من الإيقاع مثل شاملو. «الهواء النقي» أعظم حدث في شعرنا بعد حافظ».

انتقل في شعره تدريجاً من المُثل السياسية والاجتماعية إلى النزعة الإنسانية والمثالية الإنسانية، جامعاً لحظات الحب الخفية مع الألم العام، والمعاناة الإنسانية. الإنسان في خضم متاهة الوجود. لا بد من الوقوف هنا عند نقطة أساسية، فالعدمية التي اتسمت بها قصيدة شاملو في نماذجها الناضجة حصيلة أكثر من مصدر، من الانفتاح على الفكر الوجودي الذي انتشر صداه في الثقافة الفارسية في سنينيات القرن الماضي، وعدمية تضرب جذورها في التراث الشعري الفارسي، الخيّام تحديداً. تسلّح شاملو أيضاً بالثقافة الغربية الحديثة في قراءة التراث الفكري الفارسي، والثقافة الفرنسية أساسية في مشروعه التحديثي. على صعيد الأسلوب، هناك الشعر الأبيض الذي أسّس له شاملو وعُرف أيضاً باسم الأسلوب الشاملوي. هو في العمق استلهام مباشر من الشعر الأبيض الفرنسي، الذي تأثر به شاملو، وإن كانت لغته مزيجاً من الكلمات القديمة والمصطلحات العامية والإزاحات النحوية ومحايثة نصوص الأدب القديم ولغة الشارع والسوق، ما جعل الشعر مقروءاً وبليغاً. في حوار صحافي، يعترف شاملو : «تأثرت بمايأكوفسكي وايلوار ولوركا، ومن ثم بحافظ الشيرازي. تعمّقت في الشعر الكلاسيكي لأرى واعرف عظمة حافظ من منظور جديد».

في مجال الترجمة، تولّى شاملو ترجمة قصائد شعراء عديدين إلى اللغة الفارسية. ويمكن القول إنّه قدم إلينا شعراء أمثال مارغوت بيغل وهيوز ولوركا. قدم ترجمات حرة، حيث الإخلاص للنص الأصلي كان أقل وضوحاً، وكان الهدف النهائي تقديم قصائد تتوافق مع شعرية اللغة الحاضنة.

المستضيفة. من أهم مجموعاته: «الهواء النقي»، و«حديقة المرايا»، و«أيدا في المرآة»، و«اللحظات والأبدية»، و«أيدا: الشجرة والخنجر والذكرى»، و«مراثي التراب»، و«التبرعم في الضباب»، و«إبراهيم في النار»، و«أغاني الغربة الصغيرة»، و«مدائح بلا صلة». هنا مقتطفات من الأعمال الشعرية التي صدرت حديثاً عن «منشورات الجمل» بترجمة غسان حمدان

تقديم محمد الأمين الكرخي

انا ألم مشترك، اصرخيني (*)

ترجمة **غسان حمدان**

1. ليلية

كيف يمكنني أن أكتُب قصيدةً في الليل
تَتحدَّثُ عن قلبي كما عن زِندي؟
في الليل
كيف يُمكن
كتابة مثلَ تلك القصيدة؟

***

أنا ذلك الرماد البارد الذي
تستعر فيه شرارةُ التمرّدات كلها،
أنا ذلك البحرُ الهادئُ الذي
تكمن فيه صرخةُ العواصف كلها،
أنا ذلك القبو المظلم الذي
تكمن فيه نارُ الإيمانيات كلها.

2. سرّ

كنتُ أملك سرّاً
بحثُ به إلى الجبل
كنتُ أملك سرّاً
أفشيتُه للبئر
في الطريق الطويل
أفضيتُ به إلى الفرس الأسود.
وحيداً بلا رفيق
أخبرت أحجار الطريق بها.

***

وصلتُ من الطريق
بسرٍّ عتيق
لَم أتحدَّث
لم تتكلمي
أطبقتُ فمي
قرأته من عينيّ.

3. حكاية

صرتُ ظلَّ غيمةٍ، وخيَّمتُ على السهول:
انطلق الحطّاب وعلى ظهره حمل شوك
قال عابرٌ صامتٌ، وقد كساه الغبار، لنفسه:
«- هه! ما فائدة أن يكون الإنسان ظلَّ غيمة؟»
صرتُ حمامة برية وطرتُ من البرج المتهدم
علّقَ الفلاّحُ قميصه على خشبةٍ، فوق البيدر
ظلّ حارس السهل، خارج الكوخ
عينيه بيده وقال لنفسه:
«- هه! ما فائدة أن يكون الإنسان حمامة وحيدة لبرج قديم؟»
صرتُ غزالاً بريّاً وغدوتُ من الجبل إلى السهل
صرخ الأطفال ضاحكين في السهل.
مرّت عربة متداعية، وقال الحوذي الهَرِم لنفسه:
«- هه! ما فائدة أن يكون الإنسان غزالاً بلا قرين في سهلٍ بعيد؟»
صرتُ سمكة بحرية وطُويتُ المسافة من مستنقع الضفادع إلى الخليج.
صرخ النورس بحرقة من ساحلٍ مهجور
قال الملاح، القريب من زورقه على الرمال الرطبة، مع نفسه:
«- هه! ما فائدة أن يكون الإنسان سمكة هائمة في بحرٍ صامتٍ وباردٍ؟»

***

صرت حمامة برية وطرتُ من البرج المتهدم
صرتُ ظلّة غيمة وخيَّمتُ على السهول
صرتُ غزالاً بريّاً وركضتُ من الجبل إلى السهل.
صرتُ سمكة بحرية وطفوتُ على المياه الداكنة
ارتديتُ خرقةَ الدراويش وقرأتُ الأوراد
صاحبتُ الديكم وبحثتُ عن الأسرارِ في البلاد المخيفة
انتعلتُ سبع أحذية حديد وسرتُ نحو جبل «قاف»
طائر «القاف» كان أسطورة، قرأتُ الأسطورة وعدتُ
اجتزتُ أراضي الأقاليم السبعة مترنحاً
طرقتُ بابَ منزلِ السحرة ولم أغمض جفناً
فتشتُ عن طائر الماء في الجبل والسهل والصحراء، وعبثاً بحثتُ.
إذن صرتُ سمندلاً واستقررت في نار الناس.

4. الحبّ العام

الدمعة سرٌّ
الابتسامةُ سرٌّ
والحبُّ سرٌّ

***

ودموع تلك الليلةَ كانت ابتسامةَ حُبّي.

***

لستُ قصّةً ترويها
ولا نغمةً تُغنّيها
ولا صوتاً تَسْمعينه
أو شيئاً بحيث تَرينَهُ
أو شيئاً تَعرفينهُ...

***

أنا ألمٌ مُشتركٌ
اصْرخيني.

***

الشجرةُ تتحدث مع الغابة
العُشبُ يتحدّث مع الصحراء
والنَّجمةُ مع المجرّة
وأنا أحدّثك.
فَبُوحي لي باسْمكِ
هاتي يَدَكِ
وقولي كلامَكِ لي
وامنحيني قلبَكِ
فإنني أدركتُ جذورَك
ونُطقْتُ، بشفَتَيك، لكلّ الشفاهِ
ويداكِ تألّقان يَديّ.
وفي الخلوةِ المُضاءةِ بكيتُ مَعك
من أجل الأحياء،
وفي المقبرةِ المُظلمةِ غنّيتُ معكِ
أجمَلَ الأناشيدِ
لأنّ أمواتَ هذا العام (1)
كانوا أكثرَ الأحياءِ هِياماً.

***

هاتِ يَدكِ
فيداكِ تألّفاني
إنني اتحدّث إليكِ
يا مَن وجدتُكِ مُتأخّراً
كما يتحدّث الغيمُ إلى الطوفان
كما العشبُ مع الصّحراء
كما المطرُ مَعَ البحر
كما الطيرُ مع الربيع
وكما تتحدّثُ الشّجَرةُ مع الغابة
لأنّني
أدركتُ جذوركِ
لأنّ صَوتي
يألفُ صوتكِ.

(1) إشارة إلى أعضاء الحزب الشيوعي الذين أعدموا أو تمت تصفيتهم تحت التعذيب.

5. احبك

ما من ليل عندنا
ولا يتصالح الصوت مع الصمت
الكلمات تنتظر.
لستُ وحيداً معك، وما من أحد
وحيدٌ مع أي أحد
والليل أكثر وحدة من النّجوم...

***

ما من ليل عندنا
أحجار الزند متوثبة بجانب الفتيل
غضب الزّقاق في قبضتك
وفي شفتيكِ، يُصقل الشعر الناصع
أحبك، فيرتعب الليل من ظلمته.

6. ينبوع

في العتمة بحثت عن عينيكِ
في العتمة وجدتُ عينيكِ
وامتلأت ليلتي نجوماً.

***

ناديتك،
وفي أشد الليالي عتمة ناداك فؤادي
فجئتِ نحوي على رنين صوتي.
بيديكِ انشدتِ ليديّ
لعينيّ بعينيكِ
لشفتيّ بشفتيكِ
وبجسدك أنشدتَ لجسدي.
استأنستُ بعينيك وشفتيك
استأنستُ بجسدك،
خمد شيءٌ فيّ
تفتح شيءٌ فيّ
ومرة أخرى استغرقتُ في النوم في مهد طفولتي
وأعدتُ اكتشاف بسمة زماني ذاك.

***

كان الشكّ قد عشّش فيّ.
جرت يداك نحوي مثل ينبوع
وتجددتُ، أيقنتُ
عانقتُ اليقين مثل دمية
ونمتُ في مهد السنوات الأولى؛
في حضنك الذي كان مهد رؤاي
وبسمة ذلك الزمن عادت إلى شفتيّ.
بجسدكِ هدهدتِ جسدي.
كانت عيناك معي
وأنا أغمضتُ عينيّ.
لأن يديك كانتا تبعثان على الاطمئنان.

***

الشرّ ظلمةٌ
والليالي مجرمةٌ
يا محبوبتي، ويا يقيني؛ أنا في خصام مع الشرّ
وأغنّيك كما لو أنكِ يوم كبير.

***

أناديك، أصيخي السمع فقلبي يناديك
لقد أقامَ الليلُ جداراً حولي
فانظر إليك،
من نوافذ قلبي انظر إلى نجومك
لأن كل نجمة شمسٌ
وأنا أصدّقُ الشمسَ
وأصدّقُ البحرَ.
وعيناك ينبوع البحار
والإنسان ينبوع البحار.

7. تخطيط

غنّى
الليل
متأخراً
بحنجرة دامية
والبحر
جلس جامداً.
فيصرخ
غصنٌ
في عتمة الغابة
نحو الضياء.

8. المطر

عندئذٍ رأيتُ سيّدةَ غرامي المتكبرة
تُفكّر على عتبة ملاًى باللوتس
بسماء ممطرة
عندئذٍ رأيتُ سيّدةَ غرامي المتكبرة
على عتبةِ المطرِ الحافلة باللوتس
وقد استسلم قميصها لريحٍ مرحة.

وعندئذٍ رأيتُ على عتبةِ اللوتس
سيدةَ المطرِ المتكبرة
تعود من سَفرِ السماءِ المنهك.

9. انا وانت..

أنا وأنت فمٌ واحد
مع أغانيه كلها
يمكنه الغناء بأجمل الأناشيد.

أنا وأنت عينٌ واحدة
تجددُ
العالمَ
في نظرتها.

ثمة حقد
يمنعنا من كل شيء
ويفصلنا عن كل شيء
ويجبرنا
على البحث في أطرافنا –
إنها اليد التي ترسم، باطلاً،
خطاً وقحاً.

أنا وأنت حماس واحد
وأسمى من أي لهيب،
فما من شيء يمكنه هزيمتنا
لأن أجسامنا أصبحت منيعة
بفعل الحب.

10. ميعاد

أحبُّكِ أبعدَ مِن حُدودِ جَسَدك.
امنحيني المرايا والحباحب المشتاقة
امنحيني النور والشراب
والسماء العالية وقوس الجسر
العريض
والطيور وأقواس القزح
وكرّري النغمة الأخيرة
في المقام الذي تعزفين.

***

أحبُّكِ أبعدَ مِن حُدودِ جَسَدي.
في ذلكَ البعد البَعيدِ
حيثُ تنتهي رسالةُ الأعضاءِ
ويخمدُ تماماً
لهيبُ النبض والتمنّي
ويغادر كلُّ معنى إطارَ اللفظِ
كما تسلم الروحُ الجسدَ
في نهايةِ السفر،
كي تسلمها لهجمة نسورِ نهايته..

***

أحبُّكِ أبعدَ من الحُبّ
أبعد من الستائر والألوان.

أبعد من جَسَدينا
امنحيني موعداً لِلُقاءْ.

11. رثاء

في ذكرى رحيل الشاعرة فروغ فرخزاد

في بحثي عنك
أبكي على عتبة طريق الجبال
وأعتاب البحار والأعشاب.

في بحثي عنك
أبكي في معبر الرياح
وفي تقاطع الفصول،
وفي الإطار المحطم لنافذةٍ
يصنع إطاراً عتيقاً
للسماء الغائمة.

في انتظار صورتك
إلى متى
إلى متى
سيتم تصفح
هذا الدفتر الخالي؟

***

الاستجابة لهبوب الرياح
وللحب
حيث إنه أخو الموت -
وقد شاركك
الخلودُ
أسراره.
فتجسدتِ في صورة كنزٍ ما:
واجباً وباعثاً للحسد
وكنزاً من دلك النوع الذي
يجعل امتلاك التراب والأوطان
محبباً على هذا النحو!

***

اسمكِ فجرٌ يمرّ على جبهة السماء
- فلْيُبارك اسمكِ! -
ونحن لا نزال
ندور وندور
في أيامنا ولياليا
وما زلنا كذلك...

12. طبيعة صامتة

إلى ميترا إسپهبُد (2)

رزمة ورق
على الطاولة في أولى نظرات الشمس.

كتابٌ مبهمٌ وسيجارة استحالت
رماداً قرب قدح شاي منسي.

بحثٌ ممنوع
في الذهن..

(2) فنانة تشكيلية إيرانية.

(*) مقتطفات من الأعمال الشعرية الكاملة لأحمد شاملو، صدرت حديثاً عن «منشورات الجمل» في بيروت.

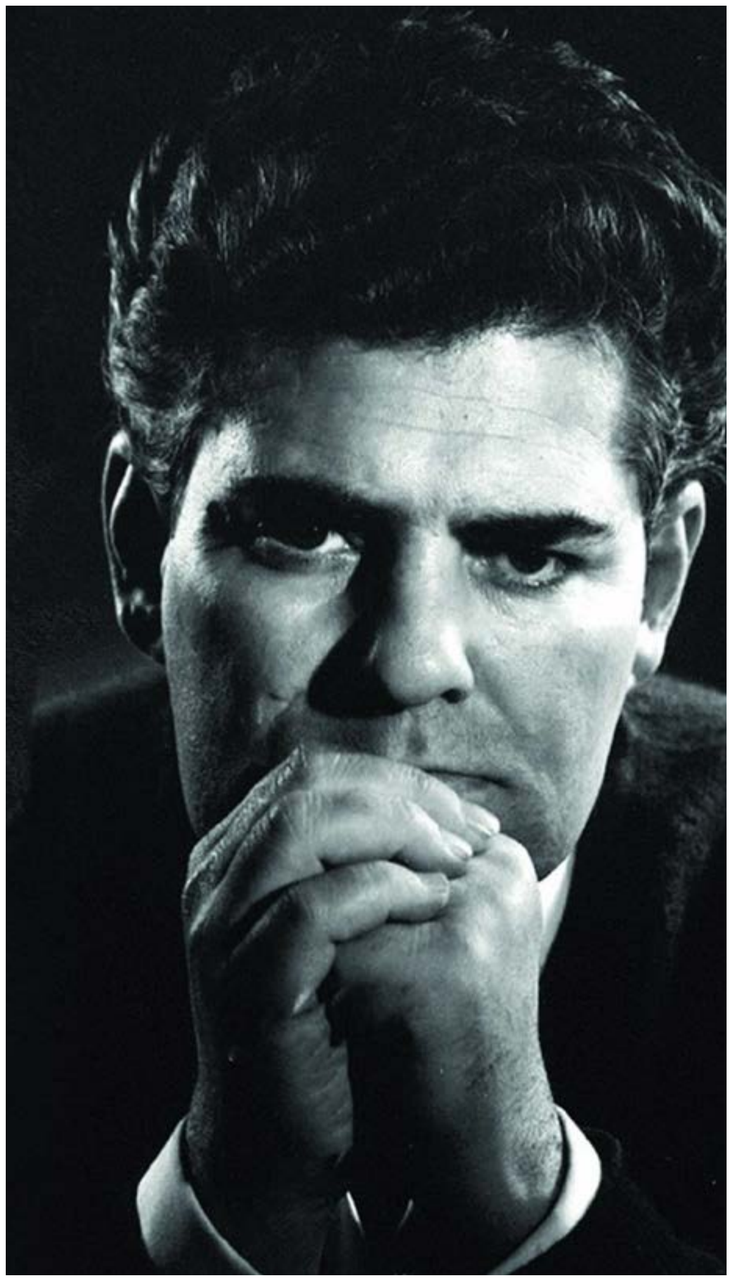

حسن عبدالله

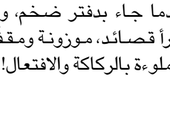

موجز القول

كانت إحدى السيارات تقلّ ثلاثة شعراء، على إحدى الطرقات، في الريف في الربيع، في جنوب لبنان.

وحدث ما جعل أحدهم يهتف:

- ما أجمل تلك البلدة!

نظر الشاعر الذي يقود السيارة إلى البلدة وقال:

-نزورها، ونشرب شاياً.

-كيف؟ ونحن لا نعرف أحداً فيها؟

أدار السائق مقود السيارة عند أحد المنعطفات واتّجه نحو البلدة. وهناك، في الساحة العامة، سأل أحدَ الأولاد:

-أين بيت الشاعر؟

- يوجد أكثر من شاعر هنا، فأيّهم تريد؟

- لا يهمّ، دلّني على أحدهم.

قاد الولد الشعراء في طريق ضيقة، إلى بيت غارق في أشجار الزنزلخت. وعند الدالية المعرّشة عند مدخل البيت، كان يجلس رجُل عجوز، فسأله الشعراء عن الأستاذ، فناداه، فأتى. وقد عرف الشعراء الثلاثة، من دون أن يضطروا للتعريف بأنفسهم، وقد سرّ كثيراً بزيارتهم له.

كانت جلسة شاي رائعة على شرفة البيت، لولا أنه أفسدها عندما جاء بدفتر ضخم، وراح يقرأ قصائد، موزونة ومقفّاة، ومملوءة بالركاكة والافتعال!

فكر

علي حسن الفوّاز: تمرينات على المواجهة والاحتجاج

خليل صويلح

السلطة والرقابة والنصّ، فوبيا الغنائم الثقافية، سرديات السلطة وضحايا المعجم، خديعة السرد أم موت التاريخ؟ أوهام المثقّف المدحور، كورونا وموت اللغة، مثقفو الوصايا وأوهام التاريخ، ترويض الثقافة وأسئلة الاستبداد، استعمالات القراءة. فهرست ضخم لعناوين يطرحها علي حسن الفوّاز في كتابه «مقاربات في السؤال الثقافي: الآخر والسلطة والهوية والأيديولوجيا» (دار نينوى). لن نجد بؤرة مركزية تجمع هذه الأنساق المختلفة، ذلك أن هذه العناوين هي حصيلة سجالات خاضها الناقد العراقي على خلفية التحولات التي أصابت المشهد الثقافي الراهن، كما أنها «تمرين على المواجهة والاحتجاج»، ورغبة في تدوين الوجود بقصد تأسيس منظومة رمزية مستقلّة تنزع «للتشطيب» على مستوى المغايرة والمغامرة وحفظ الأثر. أسئلة تسعى إلى خلخلة الراكد، وفضح منظومة السلطة التي تعمل على «احتكار النصوص»، وإقامة الحدّ على المختلف، وتالياً «تعطيل إرادة الاجتهاد والتأويل الثقافي في قراءة أي نصّ» بفعلي المراقبة والمعاقبة وفقاً لما يقوله ميشال فوكو، وصولاً إلى الطاعة والإخضاع وخطاب العنف.

في مواجهة هذه المتاريس، يدعو صاحب «سرديات الأثر البصري» إلى تفعيل غريزة النقد لتقويض «حضور العائم» والسكنى إلى خطاب تبريري، سيؤدي بالضرورة إلى نشوء مركزيات أكثر عنفاً في تمرير الأوهام وخطاب الهذيان والكراهية والخديعة، وتعويم سياسة المحو «بحرق المتاحف والذاكرة والآثار، وتحويل طريق الحرير إلى طريق للصوص، أو للدبابات». ويشير إلى أن مرحلة ما بعد «الربيع العربي» تحمل خطاباً سوداوياً، وإشهاراً عن عودة الدولة الرعوية، واستعادة رمزية الخليفة، وتوجيه القوة، خطاباً «لا نشمّ فيه رائحة الثورة بالمعنى الفلسفي والقيمي، ولا أي حساسية للمستقبل، وللتقدّم، ولفكرة المدنية، ولا حتى لفكرة الدولة الديمقراطية التي تقبل بالتعدد والتنوّع والتعايش تحت لافتة قيم المواطنة».

وبسطوة هيمنة تاريخ طويل من الرعب السياسي، تحوّلت الثقافة العربية إلى صناعة مركزية عن طريق تدوين فقهاء السلطة في مواجهة سرديات المتخيّل الضدّي المختلف، ما أخضعها إلى أحكام تعسفية، وبدت «ضيافة المختلف» ضرباً من المستحيل، فوجد المثقف نفسه خاضعاً لكل مرجعيات اللاوعي الجمعي لمركزيات الصراع ولسردياتها الكبرى، وكذلك متورطاً «بالصعود إلى العربة التي تقلّ الطائفي والقومي الشوفيني والتكفيري». وإذا «الحوار يتأسّس على حرب أخرى، مثلما يجعل ضيافة المختلف كأنها «ضيافة لحيوان مفترس». ويتجلى الاختلاف بوضوح في تفسير سلطة النصّ لا تأويله، تبعاً لسياق تاريخي متراكم، فالتفسير حسبما يرى هذا الناقد الرصين «سيكون غنيمة للجماعة»، بينما يعمل التأويل على إنتاج نصّ آخر مضاد سيؤثر على فاعلية التصرّف الظاهري بالنصّ الأصلي. فههنا غنيمة إيديولوجية وعصابية أسهمت عملياً في صعود الأصوليات الجهادية والإيديولوجية، كتعبير عن فشل الدولة المستبدة حزبياً وعسكرياً، من دون أن تحقق المدنية. لكن ما موقع المثقف من لعبة الغنائم؟ يجيب: «المثقف العربي هو كائن الأمة المطرود، إذ ظل خارج لعبة الغنائم. ورغم إمكانية تطويعه من قبل السلطة أو قتله ومحوه، لكنه ظلّ كائناً يلتذّ بعزلته تماماً». ويستدرك بأن هناك محاولات لتوريطه في متاهة التابعية، وبغواية لذة اللعبة القديمة «لعبة المثقف الفحل، أو بوق القبيلة، أو فقيهها الأعمى، أو صاحب السدارة والأفندي في سياقها المديني». وسوف تتناسل أكثر من صورة للمثقف بدءاً من المثقف العضوي إلى مثقف الإشاعة، ومثقف الإيديولوجيا، والمثقف المخاتل، والمثقف الحالم، والمثقف المدحور، والمثقف الهذياني، والمثقف المخذول... «سلالات ثقافية خائبة في متاهة من الأوهام والخذلان والعجز. المثقف العضوي القديم يقف اليوم رائياً السرديات الإيديولوجيات الطللية، وربما يرثي كل الرومانسيات الثورية التي لم تستطع أن تصنع أوطاناً صالحة للاستعمال» يقول. ويدعو، من ضفةٍ أخرى إلى «ترحيل وظيفة الوعي من الفرجة المكرّسة للاستعمال، ومن الاكتفاء بلذة الصورة في المرآة، إلى تهشيم المرآة، وإلى فضح سياسة الغنائم، وإعادة إنتاج الشارع والمقهى والمؤسسة». لا يتوقّف احتكار السلطة على النصّ والمنبر والتاريخ ومنصات التواصل الاجتماعي، إنما على المعجم بأكمله لتصدير لعبة صناعة التوحّش، وتسويغ خطاب القوة الغاشمة لفرض «غريزة الترويض والسيطرة» التي تقوم على «العزل والطرد والتهميش»، نحو خطاب إشهاري يؤصّل مفهوم «الطاعة الشرعية»، وتالياً تعطيل إرادة الاجتهاد من جهة، واحتكار النصّ وفقاً لمصلحة السلطة والجماعة، ما أدى إلى «موت مثقف الخطاب» بالتوازي مع موت الدولة، وموت المجال العمومي، بسطوة خطاب الجماعات المهيمنة. هكذا مات اليساري القديم، وفي أحسن الأحوال اندحر خلفاً، وهرب مثقف الخطاب إلى «المؤسسة أو الدين أو الجماعة، أو المهجر» كمحصلة لفشل الحواضن الكبرى بمراياها المتعددة واكتفاء هذا المثقف بوظيفة إنتاج الرؤى والأفكار والمعاني الكبرى، بعيداً عن متخيّل السلطة الذي يصنعه «الفقهاء والوعّاظ ومثقفو السلطة عبر توريات واقنعة وسير ومغازٍ وأساطير وملاحم واستعارات ومجازات» يقول.

على المقلب الآخر، يجد علي حسن الفوّاز في الرواية سياقاً كتابياً ورهاناً مضاداً وخطراً في مواجهة «مركزية التاريخ»، فالرواية سلطة لها استعاراتها الفاضحة في معالجة أحداث الأمة ومحنة الهوية ومحنة الحاكم بوصفها سرديات مضادة لسرديات الجماعة وازاحتها عن وهم مرجعياتها الراسخة في الخلود. هكذا سيحتل الروائي موقع صانع الوعي في لعبة النقائض التي تنهض على «إباحة التأليف» والتشكيك في ما هو سائد في «مدوّنات الجماعة والأمة والسلطة»، وذلك بالخروج عن النص المتداول وتقويضه بتشبيك ما هو تاريخي بما هو سردي على رافعة الوثيقة والمخطوطة والحكاية بمناورات تخييلية ماكرة ستتنهي باطاحة «وظيفة المنبر ومركزية الحكواتي القديم، وخطاب السلطة». إباحة التأليف في مراة أخرى تعني «شراهة الحرية»، و«كسر تابو الخوف». ما يمنح الكتابة السردية أفقاً واسعاً للتخيّل الذي ينطوي بمسلك ما على فوضى مفتوحة في استعمال حرية تشبه الاستبداد، وتغييب الآخر المختلف. وبهذا المعنى تفتقد حرية المخيّلة البراءة المطلوبة.

في «سرديات الإنثروبولوجيا»، ينفي الناقد أن تكون الرواية ديواناً وافياً للحكي أو أن تكون بديلاً عن التاريخ، لكن يمكنها أن تكون «مدوّنة مضادة للمركزيات» بشراهة التخيّل، وبهامش التلصّص، وتسفيه وثائق السلطة ونصوص فقهائها وكتّاب دواوينها. وفي فضاء آخر، يشتبك صاحب «فانتازيا الدولة» مع طغيان من طراز آخر، هو طغيان الأبناء الأدبيين ووصاياهم وضرورة «نَتْف لحاهم» بما يتّسق مع أسئلة أكثر راهنية وشراسة وتجاوزاً، معتبراً هذا الخيار حقاً ثقافياً أكثر منه عقوقاً، وذلك بضرورة تحطيم الزمن الأيقوني واللافتات الثقافية التي تحولت إلى عتبات كبرى غير قابلة للنسف. وإذا بالاستبداد الشعري يعانق الاستبداد السياسي بأدوات القياس نفسها، وتالياً ينبغي تفكيك الأخير باعتباره عتبةً للأول. مروحة واسعة من الأفكار العميقة والمتنافرة والمتنابذة يطرحها علي حسن الفوّاز بشجاعة للإفلات من القبضة الفولاذية للسلطة بكياناتها المتعددة، في محاولة جدية لحراثة الأرض الوعرة والآمة والسلطة»، وذلك بالخروج عن النص المتداول وتقويضه بتشبيك ما هو تاريخي بما هو سردي على رافعة الوثيقة والمخطوطة والحكاية بمناورات تخييلية ماكرة ستنتهي باطاحة «وظيفة المنبر ومركزية الحكواتي القديم، وخطاب السلطة». إباحة التأليف في مراة أخرى تعني «شراهة الحرية»، و«كسر تابو الخوف». ما يمنح الكتابة السردية أفقاً واسعاً للتخيّل الذي ينطوي بمسلك ما على فوضى مفتوحة في استعمال حرية المطلوبة.

قصة

حسن عبد الموجود: كلّ هذا التوحّش

غنوة فضة

في كتابه «البشر والسحالي» (الدار المصرية اللبنانية)، يطرح الكاتب المصري حسن عبد الموجود الكثير من الأسئلة الجوهرية في الحياة، ويلقي الضوء عبر قصصه العشر، على مشهد الصراع الأزلي بين البشر والحيوانات في قرية تبدو كأنها خارجة من الأساطير.

لا يبدو الأمر ملحمياً، بل تخرج الواقعية باشد لحظاتها سحراً، ويظهر الصراع سيد المشاهد. فكل قصة تعاين قضية مصيرية شائكة، إذ يجتاز الكاتب الوقت، ويعود بالزمن إلى الماضي، يدرك بفطنته ومعايشته الذاتية لفضاء الرواية، أن قرى مثل قرية «القصر» موبوءةٌ بالحكايات، وممهورة بالخرافة. لذا يتناوب الأبطال سرد الأحداث. تبدأ القصة الأولى «الخنزير» على لسان طفل يكشف عن مكان يحكمه الجهل والتعصب. فحياته في قرية تحرّم مخالطة النصارى، أو أكل أطعمتهم، زاد من رغبته في تذوق لحم الخنزير، والتلذذ برائحته المنبعثة من بيوت الجيران: «حين تهب رائحة شوربة الخنزير، تصدر معدتي أصوات حب متلاحقة، وأفكر للمرة الألف أن أغافل أمي». وعبر هذه المشاعر المربكة، تتزاحم الأسئلة، ويتمسك بالرغبة لفعل «المعصية». يحلم بارتكاب ما لم يقم به فرد من أفراد القرية، ويتشبّع فضولاً لمعاينة الخطايا عن كثب. وهنا يظهر الوازع الديني، والتسلط الاجتماعي في كبت سلوك الأفراد، فالطفل يحلم بمضغ قطعة اللحم المحرمة، وقد أعجبه مذاقها، فلمْ يُحرّمْ عليه؟ تختلط المبادئ، وتجري أحاديث سرية مع نفسه: كيف سيحبه الله إن لم يتب؟ وكيف سيشعر بالتوبة إن لم يتذوق ما هو محرم؟ إذن يُجمع على ارتكابها مع تزايد شعوره بالضغط إزاء نمو مشاعر غير مفهومة تجاه ابنة العائلة المسيحية. هكذا تنتصر الرغبة في تجريب الممنوع، وتظهر محنة البشر في رسم طرق خلاصهم الذاتية، وصنع فهمهم الخالص لما منعوا عنهم وأحجموا عن ممارسته. لذا، يتسلّل خفية إلى الجيران، ويجلس على مائدتهم، ويشهق حين يأتيه الطبق: «نسيتُ مها، نسيتُ الحب، كنتُ أفكر في مذاق أول قضمة من الخطيئة» في مشهد يصوّر محنة الإنسان الأزلية مع الموروث، وأزمته في التعاطي مع المحرمات.

يصوّر في قصة «السحلية» دور الخرافة في ترسيخ الوهم

تتناوب القصص بعد ذلك لتعالج صراع الكائنات على الطعام، كما على الوجود. الفقر في القرية، وبعض من الهزل، يصوّر في قصة «السحلية» دور الخرافة في ترسيخ الوهم، إذ تعالج الحوادث فيها بالتعويذات، وتخرج أصوات الحيوانات منها، وهي تعايش ظلم بشر أدخلوها عنوة، ليس فقط في يومياتهم المضنية، بل في قصّ معجزاتهم ونبوءاتهم. إلا أن الواقع غالباً ما ينتصر على الخرافة، فالهدهد والنمل والسحالي وغيرها من كائنات اعتادت العيش إلى جانب البشر، باتت تدرك أن لا وجود لها إلا على حساب الآخر، كما لو أراد الكاتب عبر فكرة التوحش تلك تفكيك العلاقات في عالم البشر أيضاً. فلكل جوع ساكت ثمنه من الآلام، ولكل مجرّة، كما للطفل الذي حلم بالنبوة، سبيلٌ لكفّ أفواه الجوعى، وسدّ رمق المساكين. يخرج الفقر كملحمة، ويندبّ صوتُ الطفل الأعراف السائدة، يكثر من الرقة في بعض المشاهد، وبشيء من العنف أيضاً. يعرض الكاتب دور الموروث في تكوين سلوك الفرد، ليقول بأفعالٍ تهبط إلى ما هو أقسى من عالم الحيوانات الغارقة بالغريزة. فالطائفية لا تقل خطراً عن اقتناص نمر لطريدة أضعف منه وأدنى في سلمّ الكائنات، والغطرسة عنف موازٍ لتمزيق تمساح لما يسقط في مياهه، كما أن مطاردة مجموعة أطفال أشقياء لسرب من فراشات ونزع جوانحها وتعذيبها، شبيه بمطاردة كلاب شاردة لرجل عاجز وكفيف كما في قصة «الأعمى». وكما هو حال الجدات اللواتي كدنّ يتسببن بالعمى لأحفادهن جراء إيمانهن بتطهير الملح للأعين، هكذا تشيع عدوى السلوك بين العالمين، وتتناوب القصص والأصوات لتصل إلى مقولتها الكبرى: هل من إمكانية لردم الهوة بين الكائنات؟ ومن المسؤول عن كل هذا التوحش؟ يبدو نسج القصص سبيلاً لوصل ما تقطّعت أوصاله بين البشر أنفسهم، بلغة مدهشة تصيغ أنواع السموم العالقة بحيواتهم، وتهجو علاقاتهم التي سطّرتها الخرافة، كما في قصة المرآة التي علمت أنها ستلد قطاً، حيث تخرج الفنتازيا في تقبّلها لكائن مهمّش وغير مرغوب به، بل تدافع لهدم كل ما شيد من حواجز بين طفلها والآخرين، كأنما تريد ردم ما ارتفع بين البشر من حولها، بتحليل فني منظم، وتفكيك لبنى اجتماعية هشّة، وانساق راسخة في ذاكرة جمعية ملأتها الأساطير بالوهم.

أما في قصته الأخيرة «تراب أبيض مقدّس»، فيحمّل البشرَ مسؤولية ما يحدث من انهيار أخلاقي، إذ تبدو مجموعة أصواتها كجوقة متناغمة لتقول بإمكانية البقاء، عبر الجمال والحب، فالحكايات التي تقف ككوابيس بين البشر وما يريدون تحقيقه، تشي بنقص كبير في حساسيتهم إزاء عالمهم، إنها تصنعهم على صورة كتل مغلقة بالوهم، وتدفع القارئ للتساؤل حيال حكم الإنسان العالمَ لقرون طويلة؛ أما أن أن يغير نظرته وعلاقته بالكائنات من حوله؟ قد يبدو الأمر كما لو أن الكاتب يقصّ حكايات باصوات حيوانات وأطفال، ويقول بالغريزة والفطرة، إلا أن الخفي، هو قوله الواضح بدور الخيال في صناعة حياة يحكمها الحق والجمال، وعالم بعيد عن قسوة الآباء، لا يفكر أفراده بالسوء، بل ينثرون الخير، باستلهام فني مطلق لشخوصه، ليس في شكل أمثولات ومواعظ، بل بصورة عالم حجزت قصص الأحلام حيزاً كبيراً من تكوين كائناته. «قلوبنا عضلات صلبة ودماء، لكنها في نقاء الثلج. حياتنا رمادية، لكنّ عقولنا مشمسة، ثمار ياكين، لكننا نستيقظ مشرقين. نوزع الابتسامات على أنفسنا وحيواناتنا، لذا أرجوك أيتها الفراشات، كفّي عن التفكير في قوة أبائنا، لا تفكري في السوء، وانثري خيرك في كل مكان».

رواية

محمد جعفر: وطأة الزمن الأخير

أحمد طيباوي

ماذا نفعل عندما ينقضي العمر؟ يحيط الروائي الجزائري محمد جعفر بهذا السؤال، بعد أن يستحضر سيرة الرسام الجزائري محمد راسم، بطل روايته «أبكر قليلاً من الموت» الصادرة حديثاً عن «منشورات الاختلاف» في الجزائر و«منشورات ضفاف» في لبنان. يقودنا إلى محاولة اكتشاف إجابة محتملة عنه، مزاوجاً بين السيرة الذاتية والتخييل. يأخذ المنحى التجريبي في هذه الرواية مداه، عبر تسع رسائل تتخلّل المتن. هنا، يكاتب محمد راسم أشخاصاً مختلفين جمعه بهم الزمن والمكان في فترات متباعدة من مراحل حياته، وشكلوا جزءاً من تاريخه الشخصي والفني.

نجد صوت الراوي ـ المحايد مرة الذي يتماهى مع البطل في مرات أخرى ـ في هذه الرواية يسرد يوميات الأشهر الأخيرة من حياة الفنان الجزائري الأشهر. تلي كل فصل رسالة يكتبها لأحدهم، عن حياته الماضية، عن شجون تفتك به، عن المعنى الذي يفقده للحظة الراهنة، عندما يصبح كل العمر ماضياً والحاضر فارغاً وخاوياً ومؤلماً. تتضمن فصول الرواية والرسائل التي كان راسم يبعث بها لآخرين، من أمثال الفنانة بابة، ومحمد خدة، والوزير والكاتب في سنوات السبعينيات من القرن المنصرم أحمد طالب الإبراهيمي وغيرهم، محاورات وذكريات وأحاديث أبعد ما تكون عن الذاتي والشخصي، بل تشتبك مع الواقع آنذاك، وتكشف شيئاً من هموم المبدعين في تلك الفترة الممتدة ممّا قبل ثورة التحرير لغاية منتصف العقد الثاني بعد استقلال الجزائر.

كان الموقف الوحيد المقبول من المثقف والمبدع، هو التحيّز الشديد للسلطة وخياراتها من دون موارية، لتسقط الحرية بوصفها شرطاً للإبداع، وقبل ذلك صعوبة الفصل بين فرنسا الاستعمارية المجرمة وبين فرنسا الآداب والفنون والحضارة، والخلافات التي نشأت بين النخبويّين نتيجة تباين وجهات النظر حول ذلك، عن أخلاقية العنف الثوري كأداة للتحرير، وبعد الاستقلال، عن أولوية الدولة عن المجتمع.

يزاوج العمل بين السيرة الذاتية والتخييل

يستبطن الروائي محمد جعفر شخصية راسم بأقتدار، يعكس مخاوفها وياسها ونظرتها الأخيرة للبشر والوقائع والأشياء والكلمات، وبين كيف يجعل الزمن المرء ـ وهو على أعتاب النهاية ـ يسائل نفسه إلى أي مدى كان واعياً بذاته، ليعيش حياته منسجماً مع ذاته وقناعاته. لكن تلك القناعات التي تترسخ في عقله مع مرور السنوات والعقود، قد ينسفها حاصل العمر نسفاً لتبقى محض أوهام استند إليها وجوده الهش وينتهي دورها عندما نكون أمام الموت.

تقبل شابة جميلة على الشيخ الفنان، فيستعيد عاطفة الحب التي كانت مخبوءة في مكان قصيّ في داخله. يكتشف مجدداً كيف أنّ الحياة جميلة ومبهرة على وقع البدايات. حركته مراقبة، فالدولة الوطنية الموعودة تحولت بعد الاستقلال إلى سلطة قمع، تعتبر من لا يصفّقون للنهج الواحد، متامرين يجب الحذر منهم، ليكون المخبر الذي يتبعه من قريب مثل الموت في أيامه الأخيرة. تمر عليه أوقات يعتقد فيها أن ذلك ليس سوى تخيلات تغذّيها الوحدة والخوف، وأنّ لا أحد يهتم له حقاً. ينتهي الأمر بموت مفجع للفنان محمد راسم ولن نعرف أبداً من كان له مصلحة في تغييبه وهو في زمن الأفول. نجد على امتداد الرواية إلى قرية أبيه في الجنوب اللبناني. يسرد شرارة مغامرات الصبا ويخبرنا عن تجاربه العاطفية الأولى التي عاشها مع فتيات العائلة والقرية، ثم مع فتيات المدينة التي انتقل إليها لاحقاً مع والده. بأسلوب ممتع، يُطلعنا الكاتب أيضاً على التجاذب الحاد الذي عاشه بسبب اختلاف نمط الحياة بين الريف والمدينة. الرواية ينتظرها بشغف قرّاء الكاتب المعروف بأبحاثه الأكاديمية والسياسية وأيضاً ببلاغته اللّغوية المعهودة.

لمحات

كامل مهنا

«مواجهة الاستثمار المفرط لمفهوم المجتمع المدني» كتاب صدر أخيراً عن «دار الفارابي» لرئيس «مؤسسة عامل الدولية» كامل مهنا. يعرض الكتاب نشوء مفهوم المجتمع المدني في لبنان وتطوّره ويستعرض المهمات المنوطة به. يوضح الكاتب اللُّبس الحاصل بين مفهومَي المجتمع الأهلي والمجتمع المدني ويشرح الفروقات بينهما. ينتقد مهنا بشدّة حالة الاستغلال المبالغ فيه لمفهوم المجتمع المدني من قبل عدد من المنظّمات سعياً وراء الشهرة والحصول على هبات مالية خارجية. يشكل الكتاب أيضاً فرصة للمؤلف لعرض تجربة مؤسّسته الرائدة في مجال العمل المدني والتي تلتزم قضايا الإنسان، بغض النظر عن انتمائه الديني أو السياسي أو المناطقي. الكتاب هو أيضاً دعوة لبناء مجتمع مدني حقيقي في لبنان يحترم حقوق الفرد والمجتمع ويبنذ الأفكار الإلغائية ويكون وسيلة للعبور نحو المواطنة. كذلك، يؤكّد الكاتب على ضرورة تقوية الدولة وتفاعل المجتمع المدني معها ضمن شراكة حقيقية للوصول إلى بناء الدولة الديموقراطية العادلة الناظمة للعلاقات المجتمعية. قدّم للكتاب المفكر والوزير السابق جورج قرم وعالم النفس والمفكر مصطفى حجازي.

فرانسوا نودلمان

هل اعتماد نظرية ما والعيش عكسها هو تناقض أم كذب أم جنون أم حرية؟ الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو ألّف كتاب «إميل» الشهير عن التربية على الرغم من تخليه عن أبنائه الخمسة. مجّد ميشال فوكو شجاعة قول الحقيقة وفي الوقت نفسه أخفى إصابته بفيروس الإيدز عن أقرب المقربين إليه. جيل دولوز

ستانلي ميلغرام

هل نحن جميعاً موظفون مطيعون عند سلطة مرعبة؟ أين ينتهي الخضوع للسلطة؟ وأين تبدأ المسؤولية الفردية؟ سؤال حاول عالم النفس الأميركي ستانلي ميلغرام (1933 ـ 1984) الإجابة عليه في كتابه «كيف تُصنع الطاعة عند البشر» (1974) الصادر عن «دار نصوص» اللبنانية (ترجمة آندي ماريديني). أثار سرد ميلغرام لتجاربه العملية بين عامَي 1950 و1963 الكثير من اللّغط حول الأفكار المسبقة عن تأثير السلطة على أفراد المجتمع. تحت ذريعة تحقيق تافه عن التعلّم والذاكرة، أجرى ميلغرام سلسلة من التجارب أمر فيها المشاركين الرجال والنساء بتوجيه صدمات كهربائية متصاعدة العنف لضحية بريئة. كم شخصاً من المشاركين سيطيع الأوامر؟ وإلى أي مدى؟ أثارت النتائج غير المتوقعة جدلاً محتدماً في الأوساط العلمية. في هذه الوثيقة الهائلة حول ما يُحفّز السلوك البشري والخيارات الأخلاقية في الحياة، يقدّم ميلغرام تحليلاً علمياً لطاعة ومقاومة المواطنين العاديّين للسلطة ويخلص إلى أنّ طاعة السلطة عند البشر هي القاعدة لا الاستثناء.

وضاح شرارة

كتاب «أمس اليوم» (هاشيت أنطوان) هو التجربة الروائية الأولى للكاتب والباحث اللبناني وضاح شرارة. الرواية أشبه بسيرة ذاتية للكاتب يروي فيها عن طفولته وعن انفصال والديه الذي اضطره لترك المدينة حيث منزل أمه والعودة إلى قرية أبيه في الجنوب اللبناني. يسرد شرارة مغامرات الصبا ويخبرنا عن تجاربه العاطفية الأولى التي عاشها مع فتيات العائلة والقرية، ثم مع فتيات المدينة التي انتقل إليها لاحقاً مع والده. بأسلوب ممتع، يُطلعنا الكاتب أيضاً على التجاذب الحاد الذي عاشه بسبب اختلاف نمط الحياة بين الريف والمدينة. الرواية ينتظرها بشغف قرّاء الكاتب المعروف بأبحاثه الأكاديمية والسياسية وأيضاً ببلاغته اللّغوية المعهودة.

طه عدنان

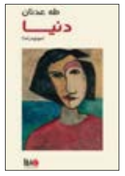

يمنحنا الشاعر والكاتب البلجيكي المغربي طه عدنان في مسرحيّته المونودرامية «دنيا» (دار الفاصلة) الفرصة للإصغاء لصوت المرأة الضائعة التي تُعاني أزمة هوية وجودية في عالم لا يرحم.

دنيا هي الطفلة السادسة والأخيرة لعائلة مغربية مهاجرة تعيش في بروكسل. أتت نتيجة حمل غير مرغوب به وعانت طوال حياتها من شعورها بأنّها منبوذة وسط عائلتها وقاست من العنف اللفظي والجسدي. حلمت بالحرية والاستقلالية ثم كبرت لتكتشف تأثير جسدها المثير على الرجال. تتزوج من صديقها عبديل زواج مصلحة وتمنحه جسدها مقابل جرعات سعادة يومية من الماريغوانا. يدخل عبديل السجن ليخرج وقد تحوّل إلى رجل متطرف ثم يسافر إلى سوريا للالتحاق بصفوف «داعش».

تستغل دنيا غيابه لتعيش حريتها وإثبات كينونتها الأنثوية. هذه المسرحية المؤلّفة من 18 مشهداً درامياً هي فرصة لإسماع صوت هذه المرأة التي تُجبرنا على النظر عميقاً إلى ذواتنا وإلى مجتمعاتنا المتعدّدة الثقافات والمليئة بالتناقضات.

عائشة إبراهيم

تعود بنا رواية «صندوق الرمل» (منشورات المتوسط) للكاتبة الليبية عائشة إبراهيم إلى حقبة الاستعمار الإيطالي لليبيا، لتقدّم للقرّاء وجهة نظر جديدة للأحداث مختلفة عن سرديات المستعمر. من خلال الاستعانة بوثائق المخابرات الإيطالية والصحافة العائدة إلى تلك الفترة، تحكي الروائية عن الانتهاكات الجسيمة والجرائم العديدة التي ارتكبتها قوات الاستعمار ضد المدنيّين العُزّل. تخبرنا عائشة إبراهيم من خلال شخوصها عن عذابات الشيوخ والنساء والأطفال الذين اعتُقلوا ونُفيوا عن بلادهم، ثم زُجّ بهم في سجون بعيدة في جزر غابيط وأوستيكا. «صندوق الرمل» هي العمل الرابع للكاتبة الشابة بعد روايتَي «قصيل» و«حرب الغزالة» ومجموعتها القصصية «العالم ينتهي في طرابلس».

يزاوج العمل بين السيرة الذاتية والتخييل

أوراق

روزنامة الحمل والولادة

زكريا محمد *

كنت قد توصّلت في كتابي «سنة الحية: روزنامة العصور الحجرية» الذي صدر حديثاً إلى أنّ سنة العصر الحجري القديم الأعلى (45 ـ 17 ألف سنة) والعصر الحجري الوسيط (17ـ 10 آلاف سنة) تتكوّن من 364,5 يوماً، مقسّمة إلى ثلاثة أقسام، كلّ واحد منها مكوّن من 121,5، ومن تسعة أشهر في كل شهر مكونة من 40,5 يوماً. كما توصلت إلى أن تقويم هذين العصرين لم يكن توقيتاً شمسياً ولا قمرياً، بل توقيتاً يستند إلى حركة الماء العذب في الكون، وعلى الأخص حركة الماء السفلي الكوني. فالكون عند القدماء يتكوّن من صنفين: عذب ومالح. أما الماء العذب فيتكون من محيطين: سفلي، يحيط بالماء المالح لكن لا يختلط به، وهو المحيط الذي تتبع له العيون والآبار الارتوازية والفيضانات الدورية، وعلوي: وهو المسؤول عن المطر.

وكانوا يعتقدون أنّ لماء المحيط الماء السفلي حركتَين دوريتَين: حركة صعود وحركة هبوط. فحين تطلع نجوم محدّدة في الصيف، يتحرّك الماء السفلي صاعداً من الأعماق، لكي يتموّج على سطح الأرض كالحيّة، وتفيض الأنهار مثل نهر النيل. وكانوا يفترضون أن هذه الحركة تؤدي إلى انخفاض ماء الينابيع والآبار. ثم تأتي لحظة أخرى يتوقف فيها الماء السفلي عن الصعود، عند طلوع نجوم أخرى، لكي تبدأ عودته إلى الأعماق من جديد حيث يستقر هناك ويسكن لمدة ستة أشهر (243 يوماً). أما حركة الصعود فتستغرق 81 يوماً. أي أنّ هذه الحركة تستغرق 234 يوماً. وهناك شهر انتقالي مكوّن من 40,5 يقف بين الصعود والهبوط، لتكتمل به السنة المكونة من 364,5 يوم. وهذا الشهر يُضاف أحياناً إلى فترة الهبوط، وأحياناً يُقسم بين الفترتين.

حركة صعود الماء وهبوطه شُبّهت بحركة الحية. فللحية فترة نشاط في الدفء والصيف، تخرج فيه وتنساب على السطح، وفترة بيات تنزل فيها من خلال الشقوق إلى أعماق الأرض. وبسبب الحركة المتشابهة بين الماء السفلي والحية، فقد صارت الحية استعارة لحركة الكون ودورته. بذا فهي أقدم استعارة في التاريخ، بل أعظم استعارات التاريخ على الإطلاق. بل يمكن القول إنّ الحية في بياتها وتطويها صارت إله الكون. ولأن ظهور نجوم محددة هو الذي يبعث حركة الحيات أو يسكّنها، فقد اختلطت الحيات بالنجوم، وتبدّت الحية كما لو أنها نجم سماوي.

الحمل والولادة

لكن ما أود الحديث عنه هنا إنما هو روزنامة الحمل والولادة في هذين العصرين. فهذه الروزنامة تعتمد على حركة الماء الداخلي في جسد الإنسان، التي هي جزء من حركة الماء الكوني العذب، وحركة الماء السفلي على وجه الخصوص. فقد نُظر إلى الحمل على أنه يشابه حركة الماء حين يسكن في أعماق ويبيت فيها. أما ساعة الولادة، فهي التي يخرج فيها الماء، ماء الرحم وماء رأس الجنين، وينساب على وجه الأرض كالحيات. بذا، فلدينا في جسد الإنسان دورة مشابهة لحركة الحيات، ومشابهة لحركة الماء السفلي، أي مشابهة لحركة الكون الكبرى حركة الكون عملياً. أي لدينا فترة بيات وكمون، وفترة حركة وصعود.

ويبدو أن فترة كمون الماء في جسد الأنثى كانت في حساباتهم تتكون ستة أشهر ونصف الشهر، أي من 263,25 يوم سقط بعضها ماء رأس الجنين ويتدفّق على الأرض، وتبدأ حياة جديدة. لكن لأنه لم تكن هناك طريقة لكتاب الكسر في تلك العصور، فقد كانوا يكتبون الرقم 7 أو 6 بدل الرقم 6,5. لكن حين يريدون التعبير عن الكسر بدقة، فإنهم يضاعفون الرقم 6,5 فنصبح مع الرقم 13. بذا فالرقم 13 هو رقم الحمل والولادة. لذا ففينوس لوزيل الفرنسية الشهيرة (28 ألف سنة) تحمل في يدها قرن ثور عليه 13 حزًا هي الشهور الستة والنصف مضاعفة.

ساعة الحمل

ولدينا رسم من العصر الحجري على الصخور من منطقة نيومكسيكو في أميركا الشمالية يشبه ساعة. وهو مكون من دائرة فيها 14 نقطة. لكن النقطة رقم 14 عزلت وحدها، وأحيطت بخطين ينطلقان من المركز ليتماسّا مع النقطتين على يسارها ويمينها. بالتالي، فلدينا في الواقع 13 نقطة هي رقم الحمل والولادة التي نتحدث عنها.

أما النقطة المعزولة بالخطين على جانبيها، فتشكل ما يشبه صورة العضو الأنثوي في رسومات العصر الحجري القديم الأعلى، والعصور الحجرية اللاحقة أيضاً، كما نرى في الصور أدناه.

النقطة المعزولة تمثل شق الفرج. بالتالي، فنحن مع تمثيل للحمل والولادة.

لدينا ستة أشهر ونصف الشهر ضوعفت، فصارت 13 للتغلّب على معضلة كتابة الكسر، وهي تساوي 263,23 هي معدل أيام الحمل في ذلك الزمن. وهي فترة تزيد 20,25 عن فترة البيات الصافي المكونة من 243 يوماً، لأنها حصلت على نصف الشهر الانتقالي المشترك.

أما حين نضيف النقطة رقم 14 التي عزلت لتبيان فترة الحمل، فسيكون لدينا الرقم 283,5

14× 20,25 =283,5

وهذا هو رقم البيات الصافي مضافاً إليه الشهر الانتقالي المشترك: 243+40,5 = 283,5.

والرقم 263,5 يساوي بحساباتنا 37,6 أسبوعاً. وهو قريب جداً من معدل الحمل في أيامنا الذي يبدأ من 38 أسبوعاً ليرتفع إلى 40 أو أكثر قليلاً عند بعض النساء. ومن المحتمل أن فترة الحمل كانت في تلك العصور أقصر من هذه الأيام لأن عمر الناس كان أقصر في الواقع.

عليه، فالحمل والولادة لم يكونا حدثاً خاصاً بجسد الإنسان- المرأة، بل جزءاً من الحدث الكوني الأشمل وتابعاً له. نعم، الحمل والولادة كانا جزءاً من حركة الماء العذب في الكون، الذي هو أساس الحياة (وجعلنا من الماء كل شيء حياً). ولعل ارتباط الرقم 13 بالحمل والولادة هو سر كره الثقافة الغربية لهذا الرقم. ونحن نتذكر قول أفلاطون: «الحمد لله الذي خلقني يونانياً لا بربرياً، ورجلاً لا امرأة، وحرّاً لا عبداً. وأنني ولدت في عصر سقراط». فعند سقراط المرأة عبودية وبربرية. بذا، فالرقم 13 هو رقم الأدنى، رقم المرأة، لا رقم الرجل المتفوق!

* شاعر فلسطيني

Samedi 14 Mai 2022 no18
السبت 14 أيار 2022 العدد الثامن عشر

القوس

www.alqaous.com

12 صفحة

ملحق أسبوعي مخصّص للعدل والإنصاف يصدر مع الأخبار كل سبت

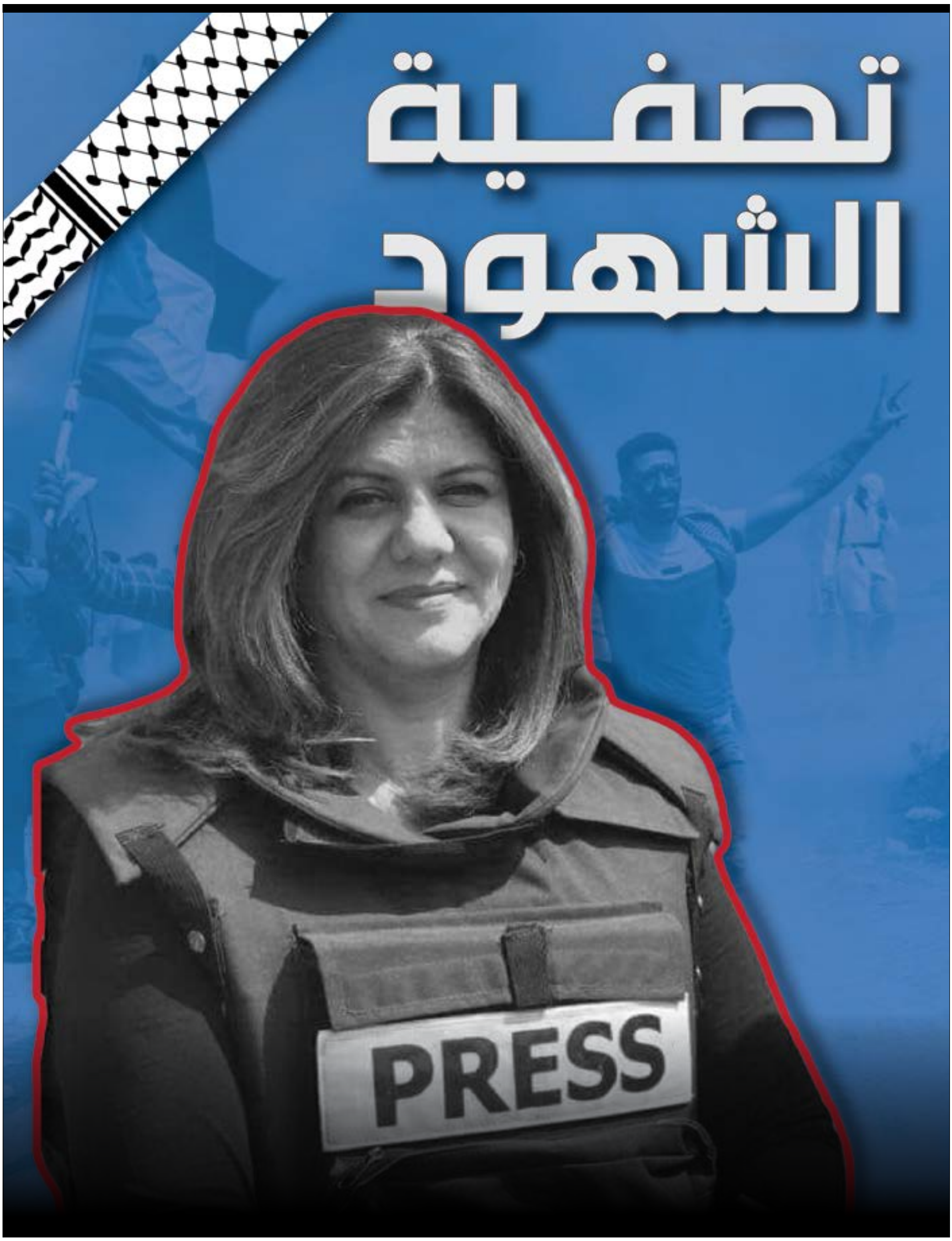

◆ القضية المركزية

محاسبة العدو الإسرائيلي في المحاكم الدولية؟

القانون الدولي أسير ميزان القوى

احمد ابو حسين، ياسر مرتجى، محمد الديري، وقائمة تطول باسماء صحافيين وعاملين في مجال الصحافة اغتالتهم قوات الاحتلال الإسرائيلي، آخرهم الشهيدة شيرين ابو عاقلة التي عرفناها عبر شاشة «الجزيرة» مراسلةً من الاراضي المحتلة، والتي خفرت صورتها وصوتها في ذاكرتنا منذ سنوات طويلة خلال تغطيتها لاحداث مهمة في تاريخ النضال الفلسطيني، ابرزها انتفاضة الاقصى بين 2000 و2004، والاجتياح الإسرائيلي الذي غطت خلاله عمليات القصف والعدوان الغاشم على الفلسطينيين في الضفة الغربية والقدس. رحلت ابنة القدس، وظل يراودنا السؤال بعبارة ملؤها الاستياء: اين منظمات حقوق الإنسان وتحقيقات الامم المتحدة من هذا العدوان؟ للإجابة على هذا السؤال، لا بد ان نعرّج قليلاً على اهم القوانين الدولية التي تحمي الصحافيين وتنظّم مهنة الصحافة

■ نداء يوسف

حال السلم والحرب: حماية دائمة

تنقسم الحالات التي ينظّمها القانون الدولي بشكل رئيسي إلى حالتين؛ حال السلم التي ينظّمها القانون الدولي لحقوق الإنسان والمعاهدات والمواثيق المعنية، وحال الحرب، أو ما يسمى بحالات النزاع المسلح، التي ينظّمها القانون الدولي الإنساني والأعراف المتعلقة بالنزاعات. مع العلم بأنّ حال الحرب لا تلغي، بأي شكل، القانون الدولي لحقوق الإنسان، لكنها تخلق حاجزاً إضافياً من الحماية

> **رغم وضوح القانون في احترام حقوق الصحافيين وتوفير الحماية لهم، إلّا ان الواقع هو مرآة تعكس قصور المنظومة الدولية**

والتنظيم، فيتم إعمال قانون الحرب بشكل أخص. وبصورة عامة، يبقى للقانون الدولي لحقوق الإنسان حُكمه في الحالات التي لم يأتِ القانون الدولي الإنساني على ذكرها. ففي الوضع الطبيعي الخالي من أي نزاع أو عدوان من طرف على آخر، تكون لحرية الصحافة مكانة واحترام باعتبارها صورة من صور حرية التعبير. وقد أكّد الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، في مادته 19، على اعتبار حرية التعبير مكفولة بكل صورها. ولحق العهد المدني للحقوق المدنية والسياسية بتأكيد هذا الحق في المادة 19 منه باعتباره حقاً من الحقوق الأساسية أو ما يشاع تسميتها بحقوق الجيل الأول. لم يقتصر ذكر هذا الحق على كل من الإعلان العالمي والعهد المدني فحسب، بل تبعهما في ذلك عدد من الإعلانات الدولية والإقليمية، كإعلان اليونسكو حول إسهام وسائل الإعلام في دعم السلام العالمي والتفاهم الدولي وتعزيز حقوق الإنسان ومكافحة العنصرية والتحريض على الحرب للعام 1978، وإعلان جوهانسبرغ 2002 للأمن القومي وحرية الوصول للمعلومات، وبعض التقارير كالتقرير الخاص للأمم المتحدة حول حرية الرأي والتعبير 1993.

جريمة حرب

أمّا في حالات الحرب، او النزاع المسلّح، التي تشمل الاحتلال، والمنطبقة على الوضع في أراضي الضفة الغربية وقطاع غزة، تنطلق القوانين التي تنظّم عمل الصحفيين خلال تغطيتهم للأحداث في مناطق نزاع مسلح ابتداءً من القانون الدولي الإنساني، وتحديداً البروتوكول الإضافي الأول لاتفاقيات جنيف لعام 1949 بنص مادته 79 (1) التي تعطي وصف «المدني» لكل صحافي يباشر عمله في مناطق نزاعات مسلحة. ويبنى على هذا الوصف حماية أكثر توسّعاً من حماية أولئك الذين يطلق عليهم وصف «العسكريين». والتمييز ما بين المدنيين والعسكريين في القانون الدولي الإنساني، يحتّم على الأطراف المتنازعة احترام عدة مبادىء تجعل من المدنيين أشخاصاً محميين، وأي تعرض لهم يكلّف الطرف المعتدي مسؤولية القيام بجرائم حرب يحاسب عليها القانون الدولي أمام المحكمة الجنائية الدولية. وبالتالي، فإن توجيه اعتداء إلى الصحافيين قد يودي بحياتهم هو من جرائم الحرب التي تنتهك مبدأ التمييز الذي يوجب على الأطراف المتقاتلة أن تميز في توجيه هجماتها بين العسكريين والمدنيين. وبالتالي، فإن لاتفاقيات جنيف، وعلى تأكيد حقيقة أن الصحافي يعامل معاملة المدني، وتتم حمايته وعدم التعرض له ما دام لم يشارك بدور مباشر في الأعمال العدائية.

جريمة ضد الإنسانية

القانون الدولي الإنساني واضح في ما يتعلق بحماية المدنيين وعدم التعرض لهم بأي شكل من أشكال العنف والاعتداء، وأي استهداف للصحافي يعتبر استهدافاً للمدنيين وأنتهاكاً للقانون الذي يعد ذلك جريمة حرب. أمّا الواقع الذي تشهده الصحافة في الأراضي المحتلة من اعتداءات مستمرة وممنهجة من قبل الاحتلال الإسرائيلي، تمتد إلى سنوات طويلة وتشمل القتل العمد والاعتقال غير المبرر والعنف والتشويه وتقييد الحركة وحرية التعبير، فتصل إلى اعتبارها جريمة ضد الإنسانية. وهي جريمة أخرى منفصلة عن جريمة الحرب بحسب تصنيف القوانين الدولية لها، باعتبارها أكثر فظاعة، وعليه تتطلب اهتماماً خاصاً تتحرك من خلاله كافة الجهود الأممية للنظر فيها وملاحقة مجرميها.

الحقيقة المرة

رغم وضوح القانون في موقفه من احترام حقوق الصحافيين وتوفير الحماية المدنية الموجبة لهم، إلّا أن الواقع في فلسطين هو مرآة تعكس حقيقة قصور المنظومة الدولية عن حماية الصحافيين الفلسطينيين، كغيرهم من مئات الآلاف من المدنيين الذين ينالهم بطش الاحتلال وأعوانه. كما يشهد الواقع خذلان الكثير من وسائل الصحافة، عالمياً وعربياً، حتى في تداولها انتهاكاً صارخاً على المهنة التي تنتمي إليها، فنجد تقارير خرجت بعناوين مخزية من صحف عالمية وعربية تتحدث عن «موت» وعن «أسباب غير واضحة». كما نشهد نفاق المنظمات الدولية المعنية بحقوق الإنسان، خصوصاً تلك المختصة بالدفاع عن حريّة الصحافة، إذ تستخدم هذه المنظمات لغة خطيرة في تقاريرها عند الحديث عن انتهاكات الصحافة، وتساوي بين الإسرائيلي والسلطات الفلسطينية في تقييد حرية الصحافة. وهو، وإن صح في ما يخص تعاملات السلطات مع الصحافة داخلياً، إلا أن من الخطورة جمع المحتل في جملة واحدة تساويه بغيره وتجعله سلطة أمر واقع لها ما لها وعليها ما عليها، من دون النظر إلى واقع الاستعمار الذي يعتبر سبباً رئيسياً في واقع الصحافة اليوم، كما يلاحظ غياب جهود حقيقية فاعلة على أرض الواقع. إذ تكتفي المنظمات بإصدار تقارير عن هذه «الانتهاكات»، والمناشدة التي لا تسمن ولا تغني من جوع. وفي كل مرة يتم اغتيال صحافي على يد الاحتلال تتم الدعوة إلى فتح تحقيقات بجهود مشتركة تسمح للطرف الاسرائيلي بالتشكيك في الحقيقة وتصدير رواية زائفة، ثم تغيب التحقيقات عن المشهد ولا نعلم بما ينجم عنها. في الواقع، ورغم أنّ قرار المدعية العامة بفتح التحقيقات في الجرائم الإسرائيلية الذي صدر مؤخراً قد يعني رمية حجر في المياه الراكدة منذ عقود، لكن ما نخافه، أو نعلمه مسبقاً، هو الدعم الدولي لإسرائيل بمساندة الأم الحاضنة أميركا، وهو الأمر الذي يجعل مصير أي بصيص أمل نجم عن بعض التحقيقات والتقارير التي أدانت اسرائيل سابقاً الانخفاض، لأن القانون الدولي لا يعمل وفق نظام محاسبة عادل، بل بحسب ميزان القوى الراجح دوماً لصالح الأقوى ودعمه الاقتصادي والعسكري. فحتى لو جاءت التحقيقات بنتائج تكشف الحقيقة، من الذي سيحاسب «اسرائيل»؟

من سيحاسب الاحتلال الاسرائيلي فعلاً هو من يقاطعه ويقاطع أي علاقات اقتصادية ودبلوماسية معه، ومن يحاسب اسرائيل لن يدينها فقط، بل يقاطع كل صحفها ووسائلها الإعلامية ويدعم مقاومتها بالفعل والكلمة، وفي ذلك بعض من ثأر للصحافيين الفلسطينيين الذين قضوا في سبيل الحقيقة... في سبيل الحرية.

«مؤسسة» إسرائيلية للتضليل

لدى العدو الإسرائيلي مؤسسة مختصة بتضليل الحقائق لصالحه تدعى «هاسبارا». معنى الكلمة بالعبرية «شرح» ومن وظائفها تعميم شرح خاص لوقائع تتعلق بـ«إسرائيل». المؤسسة تدرب الاف الطلاب من 95 جامعة كندية واميركية وقد قدمت 3000 منحة حتى الآن. تعمل «هاسبارا» منذ يوم الاربعاء على تشويه الحقائق من خلال تعميم فيديو يزعم ان مسلحين فلسطينيين هم من اطلقوا النار على الصحافية شيرين ابو عاقلة. وتتواصل «هسبارا» مع الاف الصحافيين والديبلوماسيين والاكاديميين غربيين وقد بدأت توزيع اخبارها وتقاريرها المضللة في بعض دول الخليج.

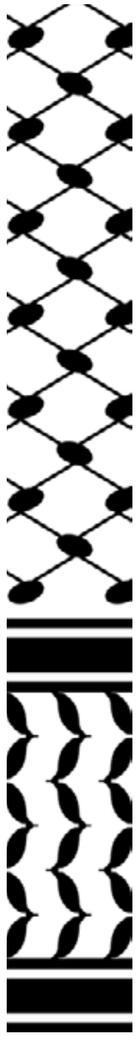

لا معنى للتحقيق الدولي دون إدانة الابارتايد

■ عمر نشابة

«أوافيكم بالخبر فور اتضاح الصورة»، كتبت الزميلة شيرين أبو عاقلة لدى وصولها الى جنين صباح الأربعاء.

الرصاصة التي استهدفتها في الرأس لن تمنع «اتضاح الصورة» بل على العكس. فبعد سنوات من نقل اخبار فلسطين المحتلة بالصوت والصورة، نقلت شيرين الأربعاء الأخبار من جنين بالدمّ.

الصحافية المقدسية التي تميزت بمهنية عملها ودقة تقاريرها، استشهدت خلال تغطيتها اعتداء جيش الاحتلال الإسرائيلي على جنين. كانت تجمع اخباراً عن الجريمة الدولية المتمثلة بالهجوم العسكري المتكرّر على الضفة الغربية. وبلحظة، توسّع نطاق الجريمة ليشملها، فأصبحت هي الخبر. لم تحتج «الجزيرة» الى مراسل بديل ليستمر في نقل الخبر، بل بقيت شيرين وسط الشاشة على جنب الطريق مغمضة العينين، بينما استمر إطلاق النار باتجاهها وباتجاه زملائها. وكأن العدو كان يريد ان يتأكد من انها لم تعد على قيد الحياة، وان زملاءها لن يجرؤوا على متابعة عملهم، ليباشر في انتهاك القانون الدولي من دون ان يتمكن أحد من نقل وقائع الجريمة. بعد انتشار خبر استشهاد أبو عاقلة، اتّعت قيادات العدو الإسرائيلي انها تعرضت لإطلاق نار من مسلحين فلسطينيين. ونشرت فيديو يظهر فيه فدائي فلسطيني يطلق النار في أحد شوارع جنين. لكن تبين سريعاً أن الفيديو التقط في مكان بعيد عن مسرح الجريمة.

لا عجب في ان السلطات الإسرائيلية كانت أول من استبق التحقيق في جريمة اغتيال الزميلة أبو عاقلة عبر توزيع الفيديو المضلّل. لكن اللافت هو مطالبة الاسرائيليين بتحقيق جنائي لمعرفة ملابسات الجريمة، بعد ساعات قليلة على انكشاف حقيقة الفيديو المضلل الذي عملوا على تعميمه بشكل واسع، خصوصاً لدى وسائل الاعلام الغربية والخليجية.

نشير، اولاً، الى ان أي تحقيق مهني في جريمة اغتيال أبو عاقلة يفترض ان يشمل الظرف الذي وقعت خلاله الجريمة، أي انها اغتيلت فيما كان جيش الاحتلال الإسرائيلي يشنّ هجوماً عسكرياً على الضفة الغربية.

ثانياً، ان نظام الابارتايد الذي ينتهجه العدو الإسرائيلي لا يسمح بإجراء تحقيق جنائي مهني في فلسطين المحتلة، لأن الابارتايد مبني على أساس عنصري يعدّ فئة من البشر (اليهود) أكثر قيمة من بقية البشر. ولا يمكن، بالتالي، ان ينظر المحقق او قاضي التحقيق الإسرائيلي الى المشتبه فيهم على قدم المساواة. وستكون الشبهة مضاعفة بحق الفدائيين الفلسطينيين، ومحصورة بالنسبة للجنود الإسرائيليين، بغض النظر عن القرائن والدلائل الجنائية المتوفرة.

ثالثاً، لا بد من الإشارة الى ان نظام الابارتايد الإسرائيلي يمنع قيام تحقيق دولي في فلسطين المحتلة. وقد اثبتت التجارب السابقة عجز المجتمع الدولي ومنظمة الامم المتحدة والاتحاد الاوروبي عن التحقيق في العديد من الجرائم التي تبين أن مرتكبيها إسرائيليون وملاحقتهم قضائياً. وبالتالي، فإن تعليق الآمال على المحكمة الجنائية الدولية يفترض ان يأتي فقط بعد ادانة نظام الابارتايد الإسرائيلي من قبل الدول الغربية، وكل ما هو غير ذلك مضيعة للوقت.

لكن، هل يمكن أن تدين المجتمعات والدول الغربية التي يتفشى فيها التمييز العنصري والاسلاموفوبيا، خصوصاً بعد تزايد اعداد اللاجئين في أوروبا، سلوكاً ونهجاً ليس غريبين عنها؟

رابعاً، كان لافتاً في الايام الماضية تركيز بعض وسائل الاعلام وبعض الأصدقاء على ان الشهيدة شيرين أبو عاقلة مسيحية وتحمل الجنسية الاميركية. يشكل ذلك تسليماً عفوياً بالتمييز العنصري المتنامي في العالم الغربي اليوم. اذ يعتقد البعض ان الانتماء المسيحي والجنسية الاميركية سيجذبان اهتماماً عالمياً جدياً بجريمة اغتيال أبو عاقلة، وتشديداً على وجوب ملاحقة الجناة ومحاكمتهم. وقد يصح ذلك، غير ان التحقيق والمحاسبة قد يقتصران على افراد من جيش العدو ارتكبوا «خطأ» أدى الى وقوع جريمة بحق مواطنة أميركية، فيما لا يمكن، مهنياً وقانونياً وأخلاقياً، فصل جريمة اغتيال أبو عاقلة عن الجرائم التي يرتكبها الاحتلال الإسرائيلي بحق مئات آلاف الفلسطينيين، من كل الاطياف والاجناس والاعمار، بغض النظر عن اوراقهم الثبوتية وجوازات سفرهم.

> **قد يقتصر التحقيق على افراد من جيش العدو ارتكبوا جريمة بحق مواطنة اميركية بينما لا يمكن فصل جريمة اغتيال ابو عاقلة عن الجرائم التي يرتكبها الإسرائيلي بحق مئات آلاف الفلسطينيين من كل الاطياف والاجناس والاعمار**

◆ القضية المركزية

الشهود هم «عيون وآذان العدالة» (جيريمي بنثام)، واساس نظام العدالة الجنائية. من خلال الإدلاء بشهادة، يؤدي الشاهد واجبًا مقدسًا لمساعدة المحكمة على اكتشاف الحقيقة. أغتيلت الشاهدة على جرائم العدو الإسرائيلي الصحافية شيرين ابو عاقلة، صباح الاربعاء الحادي عشر من آيار 2022، برصاصة في الوجه، هي وترتدي الخوذة والسترة الصحافية. علماً ان استهداف القناصة الإسرائيليين للصحافيين هو اعتداء مباشر على حرية التعبير المصانة في مواثيق حقوق الانسان الدولية والإقليمية. لكن العدو، باغتيال ابو عاقلة وغيرها من الصحافيين، يسعى الى ضمان إتلاف ادلة الشهود على جرائم قوات الاحتلال الإسرائيلي وارهابها. يستعرض هذا المقال تأثير «تصفية الشهود» في نظام العدالة الجنائية وعواقبه على معايير العدل والانصاف. لذلك، لا بدّ ان يؤمّن نظام العدالة الجنائية المساعدة وتدابير الدعم والحماية للشهود لتسهيل قدرتهم على المشاركة في نظام العدالة الجنائية والإدلاء بالشهادة المطلوبة إحقاقاً للحق وحفاظاً على سيادة القانون

إبراهيم ناصر
1978
مؤسّسة السينما الفلسطينية

عبد الحافظ الاسمر
1978
مؤسّسة السينما الفلسطينية

بهجت دكروب
1993
مصوّر
قناة المنار

احمد حيدر احمد
1993
مصوّر
قناة المنار

عزيز التنح
2000
وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية «وفا»

عثمان القطناني
2001
وكالة الأنباء الكويتية «كونا»

محمد البيشاوي
2001
مكتب النجاح للصحافة

احمد نعمان
2002
تلفزيون بيت لحم

رفايلي تشريبلو
2002
مصوّر صحفي مستقل

عمر السيلاوي
2009
مصوّر قناة الاقصى الفضائية

باسل فرج
2009
مساعد مصوّر في التلفزيون الجزائري

علاء مرتجى
2009
إذاعة البرق

جودت كيليجلار
2010
محرّر لمؤسّسة الإغاثة الإنسانية الخيرية

عشاف ابو رخاك
2010
مراسل جريدة الاخبار

حسام سلامة
2012
مصوّر فضائية الاقصى

محمود الكومي
2012
مصوّر فضائية الاقصى

محمد ابو عيشة
2012
إذاعة القدس التعليمية

حامد شهاب
2014
صحفي وكالة «ميديا 24»

جميل نواورة
2002
تلفزيون فلسطين

امجد العلامي
2002
مصوّر تلفزيون فلسطين

عماد ابو زهرة
2002
مكتب النخيل للصحافة والإعلام

عصام التلاوي
2002
اذاعة صوت فلسطين

نزيه دروزة
2003
مصوّر تلفزيون فلسطين ووكالة AP

جيمس ميللر
2003
مخرج ومنتج ومصوّر صحفي لشركة Frost Bite

ليال نجيب
2006
صحفية في مجلة «الجرس»

حسن شقورة
2008
إذاعة صوت القدس

فضل شناعة
2008
مصوّر وكالة «رويترز»

خالد حمد
2014
مصوّر وصحفي في وكالة (Continue)

سامح العرعير
2014
مصوّر في فضائية الاقصى

رامي ريان
2014
مصوّر الشبكة الفلسطينية للصحافة والإعلام

محمد الديري
2014
مصوّر الشبكة الفلسطينية للصحافة والإعلام

عبد الله مرتجى
2014
مصوّر ومراسل قناة الاقصى

ياسر مرتجى
2018
صحفي وصانع افلام مستقل

احمد ابو حسين
2018
مراسل إذاعة صوت الشعب

شيرين ابو عاقلة
2022
مراسلة قناة الجزيرة

العدو الإسرائيلي يمعن في تصفية الصحافيين

اغتيال عيون وآذان العدالة

■ جنان الخطيب

جريمة القتل التي تُرتكب للقضاء على الشهود تشبه، تماماً، تنظيف مسرح الجريمة من آثار الدماء أو مسح البصمات عن زناد مسدس، وهي من الطرق التي يلجأ إليه المجرم للتخلص من أي أثر قد يرشد عنه، أو لتجنب الإدانة بمجرد القبض عليه، خصوصاً ان للشاهد دوراً محورياً في تقديم الجاني إلى العدالة. إذ إنّ المعلومات المقدمة من الشهود تعتبر جزءًا من الأدلة التي تساعد في تحديد ما إذا كان المتهم قد ارتكب الجريمة بالفعل.

من يقرأ الواقع القائم، يدرك أن اغتيال الصحافية شيرين أبو عاقلة ليس منفصلاً عن السلوك الاجرامي الإسرائيلي تجاه الفلسطينيين. بل إن الهدف غير المعلن لهذه الاعتداءات على الصحافيين في فلسطين المحتلة، وسابقاً في لبنان إبّان الاحتلال، هو التخلّص من الشهود الذين ساهموا في نقل الصورة الحقيقية لما يحدث على الأرض الواقع، وصورة الانتهاكات بحق الفلسطينيين، ووفّروا الكثير من الأدلة والمعلومات المرئية والمسموعة التي من شأنها أن تدين جرائم العدو الوحشية، مما قد يعرض السلطات الإسرائيلية للمساءلة والملاحقات القانونية من قبل المجتمع الدولي.

جعل تطور العلوم الجنائية وتقنيات التحقيقات العلمية من «ردع الشهود»، عن طريق القتل أو التهديد، أحد الطرق الوحيدة المتبقية لإضعاف التحقيق، عن طريق التخلص من أدلة يمكن أن تكون حاسمة في القضية، الأمر الذي غالباً ما يمنع المتهمين من توجيه الاتهام أو يؤدي إلى التخلي عن القضايا أو فقدانها في المحكمة. تصفية الشهود يشكّل أبرز التحديات التي تواجه أنظمة العدالة الجنائية في التحقيق في الجرائم وملاحقة مرتكبيها، الأمر الذي يقوض قدرة وكالات انفاذ القانون على تفكيك الجماعات الإجرامية، وطرح عوائق ومشاكل في مساعدة وحماية الأشخاص الذين وقعوا ضحايا أو شهدوا جرائم خطيرة.

من جهة أخرى، للتخلص من الشهود عواقب ضارة على المجتمعات ونظام العدالة الجنائية بأكمله. بموت الشهود، وبالتالي عدم مشاركتهم في هذا النظام، لن تكون قوى إنفاذ القانون والمدعون العامون قادرين على محاسبة الجناة، ما يسمح للمجرمين بالبقاء أحرارًا ومواصلة ارتكاب الجرائم، ويمنع عائلات الضحايا من استعادة الشعور بالأمان. عندما تفلت الجرائم من العقاب، يعتقد الجناة أن بإمكانهم ارتكاب جرائم أكثر مع الإفلات من العقاب. فتتصاعد الأنشطة الإجرامية من دون رادع. ولذلك تأثير مباشر على الثقة في سلطات العدالة الجنائية من خلال الكشف عن مدى سيطرة المجرمين وشركائهم على سير العدالة.

> يلعب توفير الحماية المناسبة والكافية للشهود دورًا حاسمًا في تقديم الجناة إلى العدالة

يمكن أن يلعب توفير الحماية المناسبة والكافية للشهود دورًا حاسمًا في تقديم الجناة إلى العدالة لأن الاختتام الناجح لكل مرحلة من مراحل الإجراءات الجنائية القانونية غالبًا ما يعتمد على تعاون الشهود. ومن ثم، فإن «دليل الشاهد» أساسي لأي نظام عدالة جنائية. إذ لن يتم دائمًا العثور على أدلة مادية كافية. لذلك، فإن حماية الشهود خطوة مهمة خصوصاً في مكافحة جرائم العدو الإسرائيلي، لأن الطبيعة المغلقة للجيش الإسرائيلي، وقدرته على الافلات من العقاب كل مرّة، وغياب أي نوع من المساءلة، يجعل من الصعب استخدام أساليب التحقيق التقليدية معه. عندما يتعلق الأمر بجرائم العدو الاسرائيلي، سيحاول الجناة في كل مرة قتل عيون وآذان العدالة.

مع قتل الفلسطينيين لا يريد الإسرائيليون فقط ترخيصًا للإفلات من العقاب، بل أيضًا التزام الصمت أثناء تعرضهم للقتل. فمن خلال التصفية المُمنهجة للشهود، وتضليل الصورة الحقيقية لما يحصل على أرض الواقع، وفي ظل تغاضي المنظمات الدولية عن انتهاكات القانون الدولي وإضفاء «الشرعية» على إجرام سلطات الاحتلال الإسرائيلية، أصبح المجتمع الدولي مقتنعاً الآن بأن الفلسطينيين هم من يحاولون الاستيلاء على «الأراضي الإسرائيلية».

حماية الشهود... من أجل التحقيق

تعتمد عملية التحقيق في الجرائم وملاحقتها، إلى حد كبير، على معلومات وشهادة الشهود. وفي هذا الصدد، فإن الشهود هم حجر الزاوية لنظم العدالة الجنائية الناجحة، بشكل عام، يعتمد الأداء الناجح لنظام العدالة الجنائية إلى حد كبير على استعداد الأفراد لتقديم المعلومات والأدلة من دون التعرض للتهديد أو القتل. لذلك فإن حماية الشهود من التخويف أو التهديدات الجسدية من المشتبه في ارتكابهم جرائم هي مطلب لدعم سيادة القانون. وتدعو اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة المنظمة البلدان إلى اتخاذ التدابير المناسبة لحماية الشهود. في هذا السياق، تشير الحماية إلى تطبيق جميع التدابير التي يمكن أن تسهم في منع أو تقليل مخاطر الضرر و/أو الحد من أي تهديدات يمكن أن تعرض حياة الأشخاص أو سلامتهم الجسدية للخطر و/أو توقف الضرر الذي يلحق بهم. تشمل التدابير الوقائية كلاً من التدابير المتخذة لمنع تعريض شخص متعاون للخطر (وقائي) وتلك التي يتم اتخاذها عندما يواجه هذا الشخص تهديدًا أو يتعرض لأعمال انتقامية (استجابة).

إعاقة العدالة من خلال تصفية الشهود

انتهاك حقوق الضحايا
◆
إخفاء الادلة
◆
التاثير على المحققين والقضاة
◆
تضليل الحقيقة
◆
الإفلات من العقاب
◆
اهتزاز الثقة في نظام العدالة
◆
انتشار الفوضى والخوف

الطب الشرعي

اتّسم تصريح استشاري الطب الشرعي الدكتور ريان العلي، مدير المعهد العدلي في جامعة النجاح الوطنية الفلسطينية، حول مقتل شيرين أبو عاقلة، باحترافية مهنية عالية، وجاء وفقاً للمعايير العلمية الجنائية ومحافظاً على سريّة التحقيقات. صرّح الطبيب بأن «الرصاصة التي اصابت شيرين أبو عاقلة كانت قاتلة مباشرة، وتسببت بتهتك واسع للدماغ والجمجمة، والسلاح المستخدم من نوع سريع جداً»، من دون أن يعطي أي إجابات خارج نطاق خبرته العلمية والمهنية، تاركاً تحديد مسافة إطلاق النار ونوع الطلق وأدلة أخرى للخبراء في المعمل الجنائي.

فمن خلال دراسة جرح دخول الطلق الناري، والبحث عن وجود أي مخلفات ثانوية لإطلاق النار، سيكون الخبراء قادرين على تحديد مسافة إطلاق النار. كما يقوم الخبراء بمناقشة فرضيتي القتل المتعمد والقتل العرضي عبر الفحص الدقيق لظروف الجريمة، إذ ان شكل جرح دخول الطلق يلعب الدور الأهم للتمييز بين الموت العرضي والقتل، وتحديد مسار الطلق وزاوية إطلاق النار، وارتفاع الجاني. كما يقوم الخبراء بدراسة مخبرية مفصلة للمقذوف المشوّه الذي جرى استخراجه من راس الضحية أثناء التشريح من أجل استخراج معلومات مهمة تفيد التحقيقات في تحديد الجهة المسؤولة عن اغتيالها

◆ مرافعة

المولدات الخاصة
تشريع الأمر الواقع في غياب دولة المؤسسات

في لبنان، دوما يحل البديل محل المؤسسات العامة عند غيابها، فتبرز الحاجة الى تشريع هذا البديل ووضع ضوابط لتحكّمه في السوق. غابت الكهرباء فحلّت محلها المولّدات الخاصة ، وتنازعت الوزارات هذه الصلاحية إلى ان رسا الامر على تدخّل وزارتي الاقتصاد والطاقة اللتين تقاسمتا الصلاحيات: الاولى تضع شروطا تنظيمية للتسعيرة والثانية تصدر تسعيرة رسمية يفتضي الالتزام بها. حين صدر هذا القرار عن وزير الاقتصاد لم يكن النقاش الساند حينذاك قانونياً ولا إدارياً، بل طغى عليه الطابع السياسي بحيث يؤيده من يناصر هذا الوزير ويرفضه من يناصر خصمه، إلى ان اصبح قرار وزارة الاقتصاد - كالمولدات الخاصة - امرا واقعاً يقتضي الرضوخ اليه. حينذاك فقط تمت قوننته

■ صادق علوية

عام 2011، أصدر وزير البيئة تعميماً الى جميع المحافظين والقائمقامين والمجالس والادارات المحلية حول مراقبة تشغيل واستثمار المولدات الكهربائية. واستند القرار 10/2011 الى قانون حماية البيئة رقم 444/2002 حول اليات رقابة التلوث البيئي، بعد أن وردت الى وزارة البيئة، كما أوضح التعميم نفسه، سلسلة شكاوى متعلقة بالمولدات الكهربائية وما تسببه من تلوث هوائي وتلوث ضوضائي، سيما في المناطق المكتظة سكنياً، وطلب منها إلزام المولدات الكهربائية المستثمرة ان تلتزم بالشروط الفنية المطلوبة في تشغيل واستثمار المولدات الكهربائية الواردة بموجب الملحق رقم (1) المرفق بالتعميم. أي بمعنى أوضح، طلب من البلديات أن تراقب التزام المولدات الكهربائية بمراعاة شروط فنية، منها تزويد عادم بنظام لمعالجة الملوثات مع فلتر وصيانة هذا النظام، وتوصيل عادم المولد الى أعلى المبنى وفق معادلة هندسية أوضحها في القرار، إضافة الى إدارة النفايات السائلة والزيوت ومنع تسربها. في الخلاصة كان القرار ورقياً، ولم تقم البلديات حينذاك بواجبها في مراقبته الا في حالات نادرة. ولكن الأهم من ذلك كله أنه لم يقم أحد بإحصاء هذه المولدات ولم يطلب أحد من البلديات القيام بهذا الأمر.

المادة

70

من القانون 144/2019

تم فرض رسم مقطوع على بيع الطاقة من قبل اصحاب المولدات الكهربائية مقداره 15.000 ل.ل. (خمسة عشر الف ليرة لبنانية) سنوياً على طاقة هذا المولد المحتسبة على اساس الـ KVA

عام 2013، صدر قرار عن رئيس بلدية الزلقا -عمارة شلهوب بتشكيل لجنة مهمتها تحديد نطاق عمل كل صاحب مولد كهربائي وإحالة الملف إلى المجلس البلدي لاتخاذ القرارات اللازمة تبعا لذلك، وطلب إلى المواطنين واصحاب المولدات الكهربائية التقيد بتعليمات اللجنة المشرفة على تنفيذ القرارات. تقدم أحد أصحاب المولدات بطعن امام مجلس شورى الدولة الذي قضى في قراره 525/2018 بعدم قابلية القرار المذكور للطعن لعدم تمتعه بصفة النفاذ مما يعني أنه قرار توجيهي وليس ملزماً. ورغم أن صلاحيات المحافظ محددة في المرسوم الاشتراعي رقم 116/59 المتعلق بالتنظيم الاداري، ويحق له ازالة المخالفات المتعلقة بالمولدات لمنع الضرر وحرصاً على الصحة والسلامة العامة، او في حال التعدي على حرمة الملكية الخاصة، إلا أنه لم يقم أي محافظ باتخاذ قرارات لتنظيم هذه الظاهرة. وحين اتخذ أحد المحافظين قراراً بإزالة مولد كهربائي أبطل مجلس شورى الدولة في قراره رقم 338 /2016 قرار المحافظ المطعون فيه بازالة المولد الكهربائي، لافتقاره الى اي سند قانوني ولخروج المحافظ فيه عن اطار صلاحياته المحددة قانوناً.

عند مقاربة موضوع المولدات الكهربائية التي تبيع الطاقة الى الجمهور، كان السؤال الأول الذي يتبادر الى أذهان القانونيين: هل يحق لأصحاب المولدات استعمال واستغلال الطرقات العامة والأملاك الخاصة وأعمدة مؤسسة كهرباء لبنان او وزارة الاتصالات لجني أرباح على حساب أصحاب هذه الحقوق بما فيها أصحاب الحقوق المختلفة والمشتركة ومن دون اذن من اصحابها ما يعد شبه استملاك؟

وهل يحق لأصحاب المولدات حق الارتفاق بالمرور الحر في الفضاء فوق الاملاك الخاصة من دون مراعاة الشروط الفنية المتعلقة بالسلامة التي يعود للادارة ان تفرضها، من دون أن يلزم صاحب المشروع اما بدفع تعويض عادل الى المالك، واما باستملاك العقار؟

وكيف يجاز لأصحاب المولدات انشاء واستثمار خط للنقل الكهربائي الهوائي وحق اقامة دعائم وتثبيت ركائز للأسلاك على الاملاك الخاصة والعامة من دون أي تعويض، أو الحق بالدخول الى الملك الخاص بقدر ما تستدعي ذلك مقتضيات الاستثمار، كما لم يصدر قانون يبين أن صاحب المشروع ملزم حكما بالاضرار التي قد تلحق بالاشخاص والاموال بسبب اسلاك وغرف الكهرباء وسواها أو الاشياء التي تنفصل عنها.

- إلا أن المؤسسة كهرباء لبنان - توليد الكهرباء وبيعها الى الجمهور، ولكن بإسم مصلحة كهرباء لبنان. وتنص مادته الرابعة على أنه لا يجوز بعد صدور هذا القانون اعطاء اي كان اي امتياز او رخصة او اذن لانتاج او نقل او توزيع الطاقة الكهربائية او تجديد ذلك او تمديده لاي سبب من الاسباب. غير انه لا يخضع لهذا المنع الأشخاص المعنويون او الحقيقيون الذين ينتجون الطاقة الكهربائية لسد حاجاتهم الشخصية فقط او ينقلون هذه الطاقة من دون القيام بعملية التوزيع الى اشخاص اخرين. بالخلاصة، لا يحقّ لأي كان - إلا لمؤسسة كهرباء لبنان - توليد الكهرباء وبيعها الى الجمهور، ولكن إذا غابت المؤسسة ما العمل؟ يحلّ البديل وهو المولد.

9

هل يحق لأصحاب المولدات حق الارتفاق بالمرور الحر في الفضاء فوق الاملاك الخاصة من دون مراعاة الشروط الفنية المتعلقة بالسلامة؟

6

عام 2017، أصدر وزير الاقتصاد والتجارة قراراً بإلزامية تركيب عدادات لدى المشتركين في المولدات ومراقبة التسعيرة التوجيهية لمولدات الكهرباء الخاصة، أي انه ألزم بموجبه المولدات الخاصة بتركيب عدّادات للمشتركين وأرفقه بآلية لتصريح أصحاب المولدات الكهربائية الخاصة لدى وزارة الاقتصاد والتجارة. للوهلة الأولى، يبدو القرار مخالفاً لعشرات القوانين، ولكنه يصلح في دولة لتسيير أمور المواطنين وتنظيم علاقتهم بصاحب المولد. إلا أن القرار لم يطبّق الا حيث فرضت الوزارة تطبيقه بواسطة القوى الأمنية فاستجاب أصحاب المولدات فرضا وتهرّب منه أولئك الذين لم ترغب الدولة بفرضه عليهم لاعتبارات مختلفة اهمها الزبائنية.

الجيد في قرار وزير الاقتصاد أن التعرفة الشهرية تكون مرتبطة بكمية الكيلواط التي تم صرفها وفقاً لتسعيرة وزارة الطاقة الشهرية. ويتحمل صاحب المولد كلفة العداد وتركيبه. ولكن تقع على عاتق المشترك كلفة التمديدات العائدة له. في البداية، سمح القرار لصاحب المولد ان يأخذ تأميناً من المشترك لمرة واحدة فقط قدره 100000 ل.ل. عن 5 امبير و175000 عن 10 امبير ويضاف 75000 ل.ل. عن كل 5 امبير في حال رغب المشترك في زيادة اشتراكه، على ان يصار الى اعطاء المشترك ايصالاً واضحاً بالمبلغ الذي تم ايداعه لكي يعاد هذا التأمين كاملا الى المشترك عند ايقاف الاشتراك وبعد تغطية كل النفقات المتوجبة عليه. اما في حال عجز المشترك في نهاية الشهر عن دفع الفاتورة فيحق لصاحب المولد حسم قيمتها من التأمين واعادة ما تبقى للمشترك بعد ايقاف اشتراكه. ولكن حيث تغيب الدولة يفرض أصحاب المولدات تسعيرة مختلفة تزيد وترتفع وفقا لرغبة صاحب المولد، وفي غياب لافت للبلديات ووزارة الاقتصاد التي تلجأ الى حجتها الدائمة بأن لا قدرة للبلديات على تشغيل المولد في حال مصادرته.

المادة

8

من قرار وزير الاقتصاد المتعلق بتعديل آلية تصريح اصحاب المولدات الكهربائية الخاصة لدى وزارة الاقتصاد والتجارة - قرار رقم 100 /2018

لا يحق لاصحاب المولدات غير المشروعة والتي تخالف القوانين المرعية الاجراء، المطالبة باية تعويضات لاحقاً من اي نوع كان او اية حقوق مكتسبة باعتبار انهم في وضع غير محمي قانونا وغير مشروع نظرا لحصرية انتاج الطاقة الكهربائية من قبل مؤسسة كهرباء لبنان

رغم أن هذا التنظيم كان يستدعي استصدار قانون، فقد أعطى الوزير بتعميمه امتياز جباية الضريبة والرسوم لاصحاب المولدات خلافا للدستور، لا سيما المادة 89 منه التي تنص أنه لا يجوز منح أي التزام أو امتياز لاستغلال مورد من موارد ثروة البلاد الطبيعية أو مصلحة ذات منفعة عامة أو أي احتكار إلا بموجب قانون وإلى زمن محدود. إلا أنه لا يجوز في الوقت نفسه عدم تنظيم هذا القطاع الذي فرض نفسه كأمر واقع في غياب سلطة محددة يُجاز لها هذا الأمر، وفي غياب قيام البلديات بدورها إلا في ما ندر، وذلك قبل أن تتم قوننة هذا الأمر عام 2019 بحيث تضمنت المادة 70 من القانون 144/2019 على أنه يتوجب على صاحب المولد الالتزام بالتسعيرة المحددة من قبل وزارة الطاقة والمياه، واعتبارا من ذلك التاريخ أصبحت مخالفة التسعيرة مخالفة لقانون، وأصبحت تسعيرة وزارة الطاقة مقوننة.

وحدها البلديات التي قامت باستثمار مولدات أو شراء مولدات نجحت في هذه المهمة مع وجود بعض الاستثناءات التي فشلت حين تدخلت محسوبيات عدم الجباية والتدخل السياسي في التوزيع المجاني او في اختلاس المازوت.

القانون الأول الذي اعترف بهذه المولدات الخاصة هو قانون الموازنة العامة للعام 2019 الذي تعامل مع هذه الظاهرة من باب الجباية لا من باب التنظيم. إذ تم بموجب المادة 70 منه فرض رسم مقطوع على بيع الطاقة من قبل أصحاب المولدات الكهربائية مقداره 15.000 ل.ل. سنوياً على طاقة هذا المولد المحتسبة على أساس الـ KVA، مع الإشارة إلى أن البلديات التي تملك مولدات كهربائية وتبيع الطاقة إلى الجمهور لا تخضع لرسم المولدات.

علما أن هذا الرسم لا يرتب أي حقوق لصاحب المولد، ويمنع عليه زيادة قيمته على الأشخاص الذين يستجرّون الطاقة منه، ويتوجب عليه الالتزام بالتسعيرة المحددة من قبل وزارة الطاقة والمياه. ويعتبر هذا الرسم من الأعباء القابلة للتنزيل من إيرادات المكلف بضريبة الدخل على أساس الربح الحقيقي الخاضعة للضريبة. ويتم التصريح عن هذا الرسم وتسديده سنوياً بشكل مسبق وفقاً لنموذج تضعه وزارة المالية خلال شهر كانون الثاني من كل عام، وخلال الشهر الذي يلي الشهر الذي يتم فيه وضع المولد في الاستخدام عند استخدام المولد، وتتوجب على التاخير في التصريح والتسديد الغرامات التي نص عليها قانون الإجراءات الضريبية بالنسبة للضريبة على الأرباح.

وقد ألزم القانون البلديات كافة بإجراء مسح شامل لكل المولدات المستخدمة في مجال بيع الطاقة ضمن نطاقها البلدي، وإبلاغ نتائج هذا الإحصاء إلى وزارة المالية في مهلة أقصاها 31/03/2020، كما تلزم بإبلاغ وزارة المالية عن كل مولد كهربائي يتم استخدامه مستقبلاً بصورة دورية خلال الشهر الذي يلي نهاية كل فصل، وذلك استناداً لبيان تفصيلي تحدده وزارة المالية.

أصدر وزير المالية قرار دقائق تطبيق هذا القانون بموجب قراره 5./2021 ورغم ذلك لم تقم البلديات بالمسح اللازم ولم يدفع أصحاب المولدات الضريبة، إلا في ما ندر، ما يستدعي المباشرة بمحاسبة البلديات الممتنعة عن تطبيق القانون المذكور.

الرسمية Gazette

الشروط الفنية المطلوبة في تشغيل واستثمار المولدات الكهربائية

في العام 2011 حدد تعميم وزير البيئة المتعلق بمراقبة تشغيل واستثمار المولدات الكهربائية رقم 10/1 / 2011 الشروط الفنية المطلوبة في تشغيل واستثمار المولدات الكهربائية وبموجب هذا التعميم طلب وزير البيئة من جميع المحافظين والقائمقامين والمجالس والادارات المحلية إلزام كافة المولدات الكهربائية المستثمرة بالشروط الفنية المطلوبة في تشغيل واستثمار المولدات الكهربائية الواردة بموجب الملحق رقم (1) (الصورة) .

كما حدد أصول تقديم شكاوى المواطنين المتعلقة ب المولدات الكهربائية الى البلديات بحسب الاصول، وفق نموذج تم إرفاقه بالتعميم المذكور الذي طلب من كل بلدية او قائمقام او محافظ بمعالجة الشكاوى الواردة اليها وفرض التدابير المحلية لمنع التلوث الناتج عن تشغيل واستثمار المولدات الكهربائية؛ وفي حال تعذر على البلدية القيام بذلك لاسباب تقنية فقط، بإمكانها أن تكلّف خبراء او استشاريين متخصصين للقيام بهذه المهمة، على نفقة مشغل أو مستثمر المولد الكهربائي، وذلك وفق دفتر مهام أرفقه بالتعميم نفسه إلا أن وزير البيئة نفسه أورد في ختام تعميمه بالعمل به لمدة سنة واحدة من تاريخ توقيعه ومنذ بتطبيقه ولا بالاستناد إليه لوضع أسس مراقبتها لهذه المولدات إلا ما ندر.

النص الوارد في الملحق:

الملحق رقم (1)

الشروط الفنية المطلوبة في تشغيل واستثمار المولدات الكهربائية ادارة الملوثات الهوائية:

- تزويد عادم المولد الكهربائي بنظام فعال لمعالجة الملوثات الهوائية الناتجة (على سبيل المثال إجراء مخروطي Cyclone يليه فلتر من الفحم المنشط، دش مائي، الخ)، على أن يأخذ التصميم بعين الاعتبار ما يأتي:

a. تصميم نظام معالجة الملوثات الهوائية بما يتوافق مع حجم الملوثات الهوائية الناتجة عن المولد الكهربائي؛

b. صيانة نظام معالجة الملوثات الهوائية للمولد الكهربائي بشكل مستمر ودائم لتأمين فعالية النظام والاحتراق الفعال والكامل للمازوت في المولد الكهربائي؛

c. التقيد بمضمون القرار رقم 8/1/2001 (المواصفات والمعايير المتعلقة بملوثات الهواء والنفايات السائلة المتولدة عن المؤسسات المصنفة ومحطات تكرير المياه المبتذلة)؛

وفي حال تعذر ذلك لاسباب تقنية فقط

- توصيل عادم المولد الكهربائي إلى أعلى سطح البناء، بمسافة تؤمن التوافق مع المعادلة الآتية:

طول العادم = طول البناء السكني المجاور ضمن شعاع 50 متراً + √ قوة المولد الكهربائي

إدارة النفايات السائلة:

- العمل على منع تسرب أي زيوت وشحوم على الأرض، والاحتفاظ في موقع المولد الكهربائي بمواد ماصة (نشارة خشب) لوضعها على التسربات الموجودة في أرض الموقع؛

- وضع الزيوت والشحوم الناتجة عن صيانة المولد الكهربائي في مستوعبات خاصة مقفلة وتسليمها للجهات التي تعيد استعمالها أو تكريرها؛

◆ في العمق

سلب قطاع المولدات الخاصة تدريجيًا من الدولة مكانتها في توزيع الطاقة لا سيما في السنين العشر الاخيرة. فتبدلت المبادئ التي تحكم هذه الخدمة الحيوية مع تراكم العجز في شركة كهرباء لبنان. وخلال الأزمة الحالية، فُرض واقع من الطبقية الكهربائية على اللبنانيين مع تضخم هذا القطاع الخاص بعد ان كان اللبنانيون ينفقون عليه 1,5 مليار دولار حتى عام 2020 بحسب رويترز. ومع حلول 2021، اصبح 54٪ من البيوت اللبنانية من دون تغذية كهربائية كما نشر في تقرير الاسكوا. وانسحب الفقراء من اشتراكاتهم بعد ان تخطت تعرفتها اضعاف الحد الادنى للاجور، اما ميسورو الحال فتوجهوا إلى حلول الطاقة البديلة. بينما لا تزال الاستنسابية في تحديد تعرفة المولدات تحكم حال الثابتين على اشتراك المولد الخاص. فحتى ابناء المنطقة الواحدة لا يدفعون ثمن الطاقة نفسه ولا يتلقون ساعات تغذية متكافئة. فكيف هو المشهد؟

الكهرباء وغياب الإنصاف

مولّد الاجحاف

المادة

25

من قانون حماية المستهلك

يتوجب على المحترف وعلى مقدم الخدمة تسليم المستهلك فاتورة يدرج فيها البيانات التالية:
اسم المؤسسة ورقم تسجيلها في السجل التجاري وعنوانها وتعريف السلعة او الخدمة ووحدة البيع او التأجير ولصنفها والكمية المتفق عليها ومقدار الضرائب والرسوم المستوفاة والقيمة الاجمالية للفاتورة بالعملة اللبنانية وتاريخ اصدارها.

المادة

119

من قانون حماية المستهلك

يعاقب بالغرامة من خمسة عشر مليونا إلى ثلاثين مليون ليرة لبنانية كل من يخالف احكام اي من المواد 10 و25 و52 و53 و54 من هذا القانون

المادة

3-2

من تعميم رقم 10/1 الصادر في 19/3/2011

تقدم شكاوى المواطنين المتعلقة بالمولدات الكهربائية الى البلديات.
تقوم كل ادارة او مجلس محلي (بلدية، الخ...)، ضمن نطاق صلاحيتها، بمعالجة الشكاوى الواردة اليها وفرض التدابير المحلية لمنع التلوث الناتج عن تشغيل واستثمار المولدات الكهربائية.

■ اقبال زين

في أوائل التسعينات، تعاملت الدولة اللبنانية مع المولدات الكهربائية الخاصة كقطاع هجين، ورفضت تشريعه استنادًا إلى المادة الرابعة من المرسوم الرقم 16878 الصادر سنة 1964، والتي تقضي بحظر توزيع وبيع الطاقة على الأراضي اللبنانية إلا عبر شركة كهرباء لبنان. لكن، مع تراكم العجز الكهربائي في الدولة، حلّ القطاع الخاص تدريجيًا مكان الدولة واصبح يستورد ويوزع ويبيع سنويًا أضعاف ما تستورده من مادة المازوت بحسب أرقام مديرية النفط في وزارة الطاقة والمياه. ومع رفع مصرف لبنان الدعم عن أسعار المحروقات في آب 2021، شبّت أزمة المولدات بعد توقف المصرف عن تمويل استيراد المازوت للشركات بنسبة 85%. بحسب الأرقام الصادرة عن الجمارك. ما أدى إلى تزايد كلفة تعرفة المولدات على المواطنين. وتكللت الأزمة مؤخرًا مع نشوب الحرب الأوكرانية - الروسية وارتفاع سعر برميل النفط العالمي، فأصبح اللبنانيون يدفعون فواتير عالية شهريًا للمولدات الخاصة.

بدورها تواصل مديرية مصلحة حماية المستهلك عبر موقعها الالكتروني شكر محاضر الضبط بحق المخالفين من أصحاب المولدات لجدول التعرفة الرسمي الصادر عن وزارة الطاقة والمياه الذي يحدد تسعيرة الكيلوواط، والمخالفين لبلاغ وزير الاقتصاد السابق رائد خوري (رقم 1/4 أ ت) القاضي بإلزامية تركيب العدادات للمشتركين. لكن على مستوى الشارع اللبناني، تظهر مخالفات التعرفة الرسمية كحالة عامة تكاد تكون طبيعية. ففي حين حددت وزارة الطاقة والمياه في النصف الأول من آذار الماضي كلفة توليد وتوزيع الكيلوواط بـ 8,518 ل.ل من كل كيلوواط/ ساعة للمناطق على ارتفاع أقل من 700 متر و9,370 ل.ل عن كل كيلوواط/ ساعة للمناطق على ارتفاع أكثر من 700 متر. يظهر من خلال استطلاع أجرته «القوس» أن تعرفة العداد عن شهر آذار في منطقة برج الشمالي (محافظة الجنوب)، مثلًا، وصلت إلى 13,000 ل.ل فيما وصلت التعرفة في الصرفند إلى 12,000 ل.ل. أما بعلبك فوصلت التعرفة فيها إلى 22,000 ل.ل عن كل كيلوواط/ساعة بحسب مقيمين في تلك المناطق.

اللامساواة الكهربائية تصل إلى بيروت

ليست اللامساواة في بيع وتوزيع الطاقة الجديدة على اللبنانيين. فبحسب ورقة أعدّها الأستاذ في مركز البحوث الدولية إيريك فردل بعنوان «دعم الكهرباء غير المرئي: الامتياز البيروتي»، فإن شركة كهرباء لبنان كانت تعتمد سياسة لا متساوية في فرض أسعار الكهرباء وساعات التقنين بين المناطق اللبنانية. يتكرر المشهد ذاته في القطاع الخاص، مع اختلاف النوايا، كون الأخير يبتغي الربح بشكل أساسي. لكن تفاوت التعرفة الحالي بين المناطق اللبنانية لجهة المولدات لا يعني أنه يمكن تعميم أي من الأرقام المذكورة أعلاه على المنطقة بشكل كامل. وبسبب تعذر القيام بإحصاء يشمل المناطق اللبنانية. أجرت «القوس» مسحًا لمنطقة بيروت التي كانت تتمتع بامتياز لجهة الساعات التي تتلقاها من شركة كهرباء لبنان بعكس مناطق الأطراف. إذ كانت بيروت تتصدر المناطق اللبنانية لجهة حصولها على حوالي 21 ساعة تغذية حتى عام 2014 بحسب ورقة فردل.

> قبل سنتين ونصف سنة تقريبًا، كانت الوظيفة العامة حلم كثيرين في لبنان، خصوصًا من الطبقة الوسطى والدنيا

ثلاثة اشخاص من اصل عشرة لا يحصلون على ساعات تغذية كافية

يحصل 66,5% من المواطنين الذين أجابوا على الاستمارة ويقطنون في مدينة بيروت وضواحيها على أكثر من 10 ساعات تغذية، فيما يحصل البقية بنسبة 33,5% على أقل من 10 ساعات تغذية في النهار الواحد. وذلك يعني أن من بين كل 10 أشخاص أجابوا عن الاستمارة يحصل 3 منهم على ساعات تغذية قليلة مقارنة بغيرهم من المواطنين. وبينما يمكن لهؤلاء الثلاثة أن يكونوا من معتمدي سياسة ترشيد الاستهلاك الشخصي للكهرباء، يوجد احتمال أن يكون التقنين مفروضًا عليهم أيضًا إذا كانوا مشتركين عن طريق «المقطوعية» تحت حجة «غلاء صفيحة المازوت أو عدم توفرها».

من 85 دولارا الى 150 دولارا: التعرفة متروكة لاستنسابية صاحب المولد

تختلف التعرفة الشهرية التي يتقاضاها صاحب مولد عن آخر. إذ يفيد 55,6% من المشتركين عن طريق العدادات بأنهم يدفعون ثمنًا للكيلو واط/ساعة تعرفة أعلى من التعرفة الرسمية (8,518 ل.ل) المحددة من قبل وزارة الطاقة والمياه. كما أن المشتركين عن طريق «المقطوعية» يدفعون عن القدرة نفسها مبالغ كبيرة وغير متجانسة. ففي حين يدفع مشترك 130 دولارًا شهريًا عن قدرة 5 أمبير، يدفع مشتركان آخران عن القدرة نفسها 90 دولارًا و85 دولارًا. الأمر ذاته ينطبق على عدم تجانس القدرة مع التعرفة، ففي حين تبلغ فاتورة مشترك بقدرة 10 أمبير مليون ليرة تصل فاتورة مشترك آخر بقدرة 5 أمبير إلى ثلاثة ملايين ليرة. يرجع أصحاب المولدات قيمة التعرفة لعدد ساعات التغذية «الفاتورة الأعلى تعني ساعات تغذية أكثر»، يشرحون لـ«القوس». لكن المقابلات الميدانية تثبت عدم دقة تلك المعادلة في جميع الحالات. وتجدر الإشارة في هذا السياق، إلى أن تحديد التسعيرة بالدولار كما يحصل في بيروت مؤخرًا مخالف للمواد 5 و 25 من قانون حماية المستهلك (رقم 2005/659) اللتين تنصان على تحديد تسعيرة الخدمات والبضائع بالليرة اللبنانية وليس بالعملات الأجنبية.

3 من اصل 10 لا يحصلون على حقهم في تركيب العداد

يمتنع جزء من أصحاب المولدات في بيروت وضواحيها عن تركيب العدادات للمشتركين بنسبة 34,3% من الذين أجابوا عن الاستمارة. وذلك يعني أنه من كل 10 أشخاص أجابوا عن الاستمارة، يرفض أصحاب المولدات تركيب العدادات لـ 3 منهم على الأقل. علمًا أن «المقطوعية» قد تكون مكلفة على ذوي الاستهلاك الكهربائي الخفيف من موظفين وطلاب وغيرهم، لكن لا يتم الاستجابة لحقهم القانوني في تركيب العدادات للاعتبار التالي:

تواصلت «القوس» مع عباس هاشم وهو أحد أصحاب المولدات في منطقة مار الياس، للاستفسار عن سبب امتناع أصحاب المولدات عن تركيب العداد. عبّر هاشم عن استهجانه لقرار تركيب العدادات «الفجائي»، واصفًا إياه بغير العادل في ظل التضخم الاقتصادي الذي يعيشه البلد، خصوصًا أن القرار حمّل كلفة تركيب وشراء العدادات لصاحب المولد. فتنظيم هذا القطاع لم يكن من «اهتمامات الدولة قبل صعود الدولار» بحسب هاشم. ويوضح أن القرار (رقم 1/4 أ ت)، بعكس التعديل الذي أدخله عليه الوزير أمين سلام، «لم يجبر أصحاب المولدات على تركيب العدادات بل طلب منهم أن يقدموا للوزارة نموذجًا يحمل توقيع المشتركين الذين رفضوا الاشتراك بالعدادات والنماذج لا تزال موجودة، بينما يحمّل التعديل الجديد إلزامية تركيب العدادات لصاحب المولد».

ما يتحدث عنه صاحب المولد يعود إلى سنة 2018، بعد انسحاب الدولة من معركتها التي حاولت شنّها على أصحاب المولدات بالقرار رقم (1/4 أ ت)، وانتهى الأمر بالتسوية التي ذكرها بعد أن احتجّ أصحاب المولدات على القرار وقطعوا التغذية عن المواطنين. في تلك الفترة قرأت بعض الوسائل الإعلامية المشهد كما قرأه أصحاب المولدات على أنه «انتقام» الدولة من عجزها، كونها لم تهيئ القرار للتنفيذ وتراجعت عن تطبيقه بالشكل المفروض فيه. امتلك أصحاب المولدات سلطة قول لا للدولة عندما كانت تغطي شركة لبنان حوالي 12 ساعة من التغذية الكهربائية بحسب الشركة، ويمتلكون السلطة نفسها، وربما أقوى منها الآن، في ظل انقطاع التيار الكهربائي تمامًا في بعض الأيام.

الفهم الزائف للحق في الكهرباء

فلنسرق من صاحب المولد

يؤمن 43% من المشتركين الذين أجابوا عن الاستمارة بأن أصحاب المولدات مدعومون من جهة حزبية/ سلطة تجعلهم محميين ولا تطالهم المحاسبة. قد يرجع تفسير المشتركين هذا إلى مواقف حياتية حصلت معهم، ويمكن ربط المشهد مع اعتقاد النسبة الساحقة منهم بأن البلديات لا تمارس دورها الرقابي على أصحاب المولدات مما يعكس وجود علاقة من المحسوبية والزبائنية. الأمر الذي يمكن أن يثير «نقمة» على أصحاب المولدات خصوصًا في ظل رفعهم الفاتورة بشكل دائم. ولذلك يعمد بعض المشتركين عن طريق «المقطوعية» إلى السرقة من صاحب المولد الكهربائي، عبر التعليق على الشبكة الكهربائية، أو التلاعب بحساسية الديجانتير من خلال ضربه بـ«إبرة الملح» التي تؤدي إلى تكلس الأجزاء الميكانيكية للديجانتير ما يجعله «غير محدود» بإعطاء قدرة طاقة السحب، أو عبر تزوير القيمة الفعلية للديجانتير وبالتالي دفع تعرفة أقل من كمية السحب. وقد يلجأ البعض أيضًا إلى تفكيك الديجانتير والتلاعب بأجزائه من الداخل. وإن كان فعل المواطنين هذا غير مبرر قانونيًا لكنه يبقى فهمًا زائفًا لـ«الحق في كهرباء 24/24».

القرار رقم 1/4 / أ. ت

تدعو الوزارة جميع المشتركين لدى المولدات الكهربائية الخاصة الى التعاون التام مع اصحاب المولدات وتامين العدادات خاصتهم في حال ارتاوا ذلك، وكذلك تامين مكان مخصص لتركيب العدادات في الاقسام المشتركة للمبنى حيث يمكن لصاحب المولد ان يصل اليه في اي وقت، على ان يكون داخل علبة شفافة مقفلة بقفلين يملك كل من المشترك (او من ينوب عنه) وصاحب المولد مفتاحا لاحد القفلين، مع الاشارة الى ان كلفة تركيب العداد تقع على عاتق صاحب المولد.

البلديات: نحن عاجزون بصراحة ومشكلة هذا القطاع تعود لبدايته

يعتقد 75,8% من المواطنين الذين أجابوا عن الاستمارة أن البلديات لا تمارس دورها الرقابي لضبط عمل المولدات. وفي حين ينتظر المواطنون من البلديات أن «تضرب بيد من حديد» لضبط القطاع، يعبّر رئيس اتحاد بلديات صور حسن دبوق لـ«القوس» عن استيائه من تقاذف المسؤوليات وتحميلها للبلديات في هذه المسألة، لافتًا أن موضوع تعرفة المولدات «معقّد» ولا تمتلك البلديات القدرة على ضبطه، إذ «لا يوجد لامركزية إدارية تعطيها القدرة على التصرف مع أصحاب المولدات من دون هيكلية إدارية». يشير دبوق صراحةً إلى عجز البلديات أمام أصحاب المولدات، ويؤكد أن هناك عشرات محاضر الضبط الصادرة بحقهم، لكن «لا يمكننا معاقبتهم بأكثر من محاضر الضبط خصوصًا أننا لا نمتلك قدرة على التعامل مع المولدات في حال مصادرتها». يعرف بعض أصحاب المولدات نقطة الضعف هذه، فيلجؤون إلى ممارسة نوع من الابتزاز لجهة إطفاء المولدات وهذا ما «لا تستطيع البلديات أن تحمله للمواطن». ويضيف دبوق أن المشكلة تعود إلى أصل تنظيم هذا القطاع الذي بات يحتاج إلى «قانون مقونن ينظم علاقة أصحاب المولدات بالدولة وليس فقط بالمواطنين»، مبديًا استعداد البلديات للوقوف إلى جانب الدولة في فرض القانون، «لأن القرارات المنفردة لا تكفي». فصحيح أن وزارة الاقتصاد أصدرت قرارًا بإلزامية تركيب العدادات لكن القرار «لم يترافق مع بيئة تفرض تطبيقه من نيابة عامة ورجال قوى الأمن ووزارة اقتصاد وقضاء مستقل»، مشيرًا إلى أن «المواطنين أنفسهم يجب أن يساعدوا البلديات في الامتناع عن تسديد التعرفة العالية ويقفوا وقفة واحدة». كلام دبوق يثير الجدل القديم الذي حركه الحقوقيون سنة 2017، مع اعتراضهم على قرار وزير الاقتصاد آنذاك، ودعوتهم لربط قطاع المولدات بنطاق البلديات وليس الوزارة. ربما تفسر هذه البداية الارتباك الحاصل في التعامل مع قطاع المولدات إلى الآن واللامساواة التي يسببها النفس التجاري لها، فالدولة لم تعترف بهذا القطاع عبر قانون، كما لا زالت تنظر إليه بأنه غير شرعي رغم قراراتها القاضية بمحاولة ضبطه.

الحل تقني أم سياسي؟

لا يمكن الحديث عن عدالة كهربائية إلا بحصر هذه الخدمة مجددًا في أيدي الدولة. وهو ليس بالأمر الصعب بحسب ما يتداوله الاختصاصيون إذا ما كانت هناك إرادة سياسية بذلك. فالحكومات اللبنانية كانت أمام عدة فرص روسية وصينية وفرنسية وإيرانية وألمانية للاستثمار في قطاع الكهرباء. وحتى الآن، لا يزال اللبنانيون على أمل تحقيق وعود استجرار الكهرباء، من هنا وهناك بعد وقبل الاتفاقية مع البنك الدولي. في ظل يأس الدولة من قدرتها على نهوض سيادي بقطاع الكهرباء الذي يستوجب بحسب وزير الطاقة وليد فياض «تحسين الجباية مع خفض نسبة التعديات ورفع التعرفة الرسمية التي ستظل أقل من تعرفة المولدات الخاصة بمعدّل 70 في المئة».

الاسعار في المناطق بشكل عشوائي عن شهر آذار

برج الشمالي	13,000 ل.ل عن كل كيلوواط/ساعة
الصرفند	12,000 ل.ل عن كل كيلوواط/ساعة
صيدا	10,000 ل.ل عن كل كيلوواط/ساعة
ضاحية بيروت الجنوبية	10,000 ل.ل عن كل كيلوواط/ساعة
بيروت	100 دولار عن قدرة 5 أمبير
بعلبك	22,000 ل.ل عن كل كيلوواط/ساعة
طرابلس	70 دولاراً عن قدرة 5 أمبير
زغرتا	45 دولاراً عن قدرة 5 أمبير

المصدر: مقابلات عشوائية اجرتها «القوس» مع مواطنين خلال الاسبوعين الفائتين

الطاقة الشمسية للميسورين فقط؟

مع أن ميسوري الحال في لبنان وحدهم من عمدوا إلى تركيب الطاقة الشمسية بـ«الفريش دولار»، كون 82% من سكان لبنان يعانون من فقر متعدد الأبعاد بحسب إحصاءات الاسكوا، إلا أنه من الظاهر تنامي اهتمام شعبي بالاستعانة بالطاقة الشمسية، لا سيما أن عبارة البحث عن «الطاقة الشمسية في لبنان» على غوغل تتزايد بشكل كبير على امتداد شهر نيسان الماضي. وبحسب الاستمارة التي أجرتها «القوس» فإن 68,3% من المشتركين يرجحون بأنهم سيعمدون إلى الاستعانة بالطاقة الشمسية لكن الأغلبية (70,8%) لا تمتلك القدرة المادية للاستعانة بها، كما أن النصف (50,6%)، منهم من لا يمتلكون المساحة اللازمة لها. تظهر هذه الأرقام عن وجود رغبة عالية في الاستعانة عن المولدات. لكن في ظل هذه الموجة، ومع تفرّق الجماهير أمام أصحاب المولدات، يتحدث البعض عن أن هذا الواقع الجديد يمكن أن يجبر أصحاب المولدات على خفض تعرفتهم والتخفيف من هامش ربحهم. لكن في الوقت عينه، قد لا يكون هذا التقدير دقيقًا بسبب غياب التخطيط اللوجستي والبنيوي في المدن المكتظة، كما يمكن لموجة الطاقة البديلة أن تكون إنذارًا لمشهد طبقي بين الناس ما لم تأخذ مبادرتها من الدولة أو تتحقق الوعود بتحسين القطاع العام مع قدوم الفيول العراقي.

◆ في العمق

الوظيفة الثانية بين الحاجة وتضارب المصالح

العيش من تحت الطاولة

■ بشرى زهوة، سمر فرحات

«ما صرلي 10 أيّام قابض معاشي، دفعت مليون ليرة فاتورة إشتراك، و500 ألف لقرض الإسكان و500 ألف أوتوكار مدرسة لبنتي، وتنكة بنزين، واليوم ما معي ولا ليرة منّه. شو بعمل؟ يا بسرق، يا بشتغل شغل ثاني»، يقول علي، وهو ملازم في أحد أسلاك الدولة براتب 2,500,000 ليرة، يعمل كـ«دي. جي» (منسق موسيقى) في صالة أعراس ليزيد دخله الشهري.

حال علي كحال كثيرين من موظّفي القطاع العام ممّن تأثروا بالأزمة الاقتصادية والغلاء المعيشي المرتبط بتراجع القيمة الشرائية لليرة. لم تعد رواتبهم تكفي لسدّ احتياجاتهم الأساسية، فاضطرّوا لاتّخاذ تدابير من أجل التأقلم مع الأزمة والصمود أمامها: كاللجوء إلى علاجات الطب البديل بعد رفع الدعم عن الأدوية، وحذف اللحوم من وجبات الطعام توفيرًا لثمنها المرتفع. عجز الدولة عن إيجاد حلول جادّة، وبقاء الحدّ الأدنى للأجور عند رقم الـ 675 ألف ليرة (نحو28 دولاراً أميركياً)، يدفع موظّفي القطاع العام - رغم الحظر القانوني - إلى العمل في القطاع الخاص أو في الأعمال الحرة المستقلة.

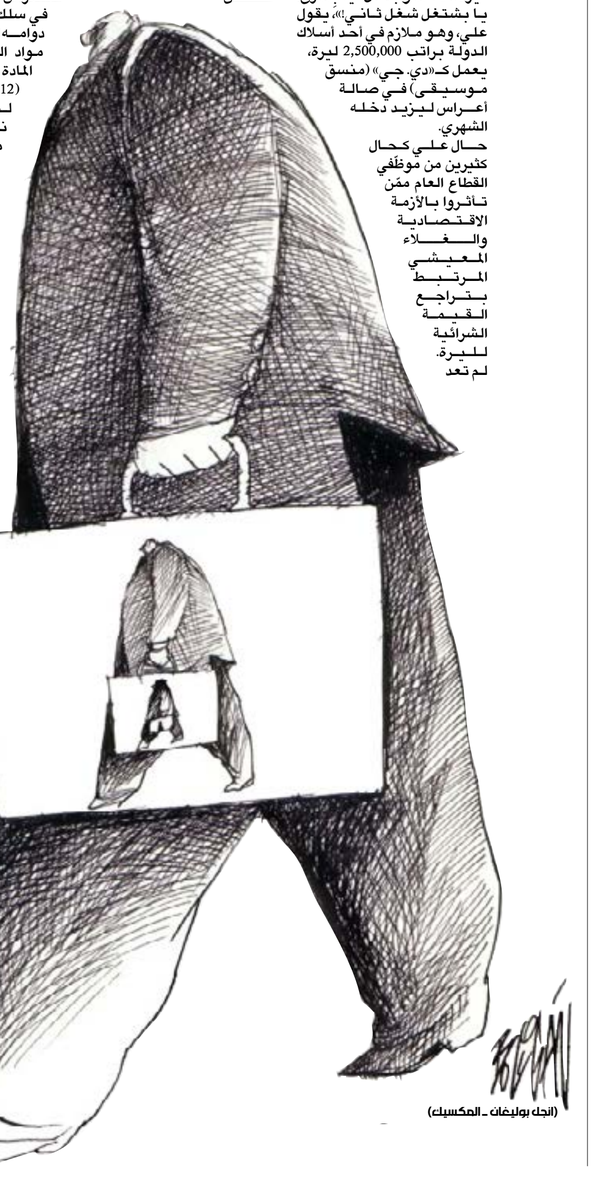

(أنجال بوليخان ـ المكسيك)

قبل عرض بعض التجارب، نستعرض حالتين: الأولى لرقيب في سلك عسكري يعمل خارج دوامه الرسمي في تجارة مواد التنظيف، مخالفاً بذلك المادة 15 من قانون الموظّفين (59/112)، والثانية لضابط في السلك نفسه، برتبة عقيد، ملتزم بدوامه الرسمي ولا يعمل في قطاع آخر -ملتزماً سقف القانون؛ لكنّه يستغلّ نفوذه ليستحصل على رشاوى تؤمّن له مدخولاً آخر. فهل من العدل أن يُعاقب من يمارس عملاً مقبولاً وأخلاقياً مخالفاً للقانون ويُترك من يرتكب أعمالاً لاأخلاقية تحت سقفه؟

قبل سنتين ونصف سنة تقريبًا، كانت الوظيفة العامة حلم كثيرين في لبنان، خصوصاً من الطبقة الوسطى والدنيا، كونها تؤمّن نوعًا من الاستقرار المادي. إذ أن الموظّف العام يتمتّع بحصانة تجعله بمنأى عن فقدان وظيفته لأي سبب طارئ؛ كما في القطاع الخاص، إضافة إلى تعويض الصرف من الخدمة، أو المدخول الثابت الذي يستمر حتى بعد التقاعد، والتقديمات الأخرى (تعويضات عائلية، منح مدرسية، تقديمات صحية، مكافآت...)، عدا عن الامتيازات المعنوية التي يحصل عليها الموظّف من السلطة العامة التي يمثّلها، خصوصاً في الوظائف العسكرية والقضائية، والتي تجعله موضع احترام وتقدير في بيئته ومجتمعه.

بحسب الأحصاءات، يصل عدد العاملين في القطاع العام الى نحو 320 الف موظّف، يتوزّعون بين إدارات ومؤسّسات عامة. ومنذ بداية الأزمة الاقتصادية، تزايد الحديث عن استقالات وتسيّب في هذا القطاع، إلّا أنّه لا توجد استقالات "فعلية". فقد نصّت المادة 78 من قانون موازنة العام 2019 والتي تضمّنت إجراءات تخفّض العجز إلى 7,6 في المئة من الناتج المحلي الإجمالي، على تجميد الإحالة على التقاعد لمدة ثلاث سنوات خلافًا لأي نص خاص أو عام.

وخوفًا من خسارة تعويض نهاية الخدمة، لجأ البعض إلى تقديم طلب «استيداع» كحلّ مؤقّت للبحث عن عمل آخر في بلد أمن اقتصاديًا يحمي كرامتهم. ومن المتوقع تزايد عدد الاستقالات بعد انتهاء المدة؛ أي بعد 30 تموز 2022، ما لم تقم الدولة بتصحيح الأجور وإيجاد حلول جادّة لتأمين الحد الأدنى من الحياة الكريمة لموظّفي القطاع العام.

في إحدى ورش البناء، يقوم عسكري ارتدى ملابس العمّال بطلاء جدار. يحرك الفرشاة يُمنةً ويسرةً، وفي ملامحه شيء من الإرغام، ويقول: «لعن الله هذا الزمن الذي أوصلنا إلى هنا!».

«صرنا مذلولين، بعد ما كنّا ملوك». بهذه الجملة يبدأ عمّار (37 عامًا وأب لولدين) حديثه. موظّف في القطاع العام يبلغ راتبه 3,200,000 ليرة (133 دولارًا). بذل جهدًا كبيرًا لإيجاد فرصة عمل، لكنّه واجه معوقات مع القطاع الخاص، إذ رفض كثيرون توظيفه بدوام جزئي، فيما عرض آخرون راتبًا لا يتجاوز سعر صفيحتي بنزين مقابل ساعات عمل شاقة بعضها بدوام ليلي. مطلب عمّار، كسائر زملائه، أن يتمّ رفع الأجور، أو إيجاد حلّ ما يحفظ كرامتهم ويُعيد «الهيبة لوظيفة الدولة»، وأكثر ما يغضبه سماعه عبارات الشفقة لدى سؤاله عن طبيعة عمله: «إنت موظّف دولة؟ الله يعينك، كيف عايش؟».

تبلغ نفقات عمّار الشهرية نحو 15,000,000 ليرة، أي أنّ الحجز يساوي ثلاثة أضعاف راتبه، فمِن أين يأتي بالمال لسدّه؟ يجيب بحزن: «الحمد لله، أنا محظوظ بأخي، فهو مغترب ويرسل لي مبلغًا بالدولار كل شهر. مع ذلك أشعر بأنّني أثقل عليه، لقد اعتدتُ أن أصرف على أهلي وأساعد مَن حولي، أمّا اليوم فاشعر بالعجز». لدى عمّار قطعة أرض صغيرة بجوار منزله في إحدى قرى قضاء النبطية، يُمضي أيّام عطلته من الوظيفة - بعد قرار التعبئة العامة وحتى اليوم - في زراعة ما يكفيه وعائلته من الخضار، في محاولة لتحقيق الاكتفاء الذاتي وتخفيف المصاريف. يقول حسام (27 عاماً) متأسّفًا: «عندما تقدّمت لطلب يد عبير قبل سنتين، كنت واثقًا بأنّ والدها لن يرفض، لأنني ابن دولة. لكن الدولة تخلّت عن ابنائها في اوج الأزمة! لذا انفصلتُ أنا وعبير، لأنّ معاشي لم يعد يكفي لتكوين عائلة». حسام موظّف في سلك عسكري بدوام ثابت، بدأ العمل مؤخرًا كنادل في ملهى ليلي بدوام ثانٍ من الواحدة بعد منتصف الليل وحتى السادسة صباحًا. وعما إذا ما كان يُدرك أنّ عمله غير قانوني، أجاب: «طبعًا بعرف إنّه غير قانوني، ما وقفت عليي.. يعطوني حلّ». يصمت قليلًا ويضيف غاضبًا: «عم بضطر إسكت عن مخالفات عم تصير قدّام عيوني بالـ pub.. بس بدنا نعيش».

> قبل سنتين ونصف سنة تقريبًا، كانت الوظيفة العامة حلم كثيرين في لبنان، خصوصاً من الطبقة الوسطى والدنيا

المستشار القانوني لإحدى المؤسسات العامة (رفض الكشف عن اسمه) أجاب عن أسئلة «القوس» حول العمل الثاني لموظفي القطاع العام، مؤكداً «أنّ العاملين في المؤسسات العامة لا يجوز لهم القيام بأيّ عمل ماجور أو حر باستثناء وظيفتهم، والأنظمة المرعية الإجراء حاسمة في هذا الشأن. إلّا أن الوضع الاقتصادي الصعب يدفعنا إلى غض النظر عن عمل هؤلاء». يُضيف: «حين يتصل بي زملائي للسؤال عن هذا الأمر أجيب بحسرة بعدم جواز ذلك ولكنّني أضيف عبارة: ومن يسالكم لا تخبروه عن العمل الثاني. فبرأيي كيف يمكنهم مواجهة أعباء الحياة الصعبة من دون عمل ثان! وهل يجوز أن نتركهم فريسة للرشوة؟ وماذا أقول لهم إذا كنت أنا شخصيًا أمارس ثلاث وظائف لا تتعارض مع عملي الوظيفي، إضافة الى وظيفتي؛ كي أعيش بكرامة وأحافظ على نظافة كفّي». ويُنهي حديثه قائلًا: «الوضع صعب والضرورات تبيح هذا المحظور شرط ان لا يكون متعارضًا مع الوظيفة الأصلية».

> قبل سنتين ونصف سنة تقريبًا، كانت الوظيفة العامة حلم كثيرين في لبنان، خصوصاً من الطبقة الوسطى والدنيا

كما علمنا من بعض الموظّفين في سلك عسكري بصدور برقيّات تحمل قرارًا -غير مباشر- بالتساهل معهم، وهذا يؤكّد أنّ الدولة تواجه مشكلة فعليّة وليست لديها حلول تقدّمها سوى غض النظر عن مخالفة القانون. «ومع أنّ الكثير من المستندات تُسرّب في لبنان، إلّا أنّنا لاحظنا حرصًا شديدًا على عدم تسريب هذا المستند، لأنّه قد يؤثّر على المُسرّبين أنفسهم بشكل سلبي، أكثر من أي مستند آخر مهما كانت خطورته».

ليس حال مصطفى (38 عامًا)، المعاون في سلك عسكري آخر، أفضل من حال حسام. هو أب لثلاثة أطفال، أصغرهم وُلدت قبل ثلاثة أشهر، ومسؤول عن نفقات أمّه التي تسكن في منزل مستقلّ. يعمل في تصوير الحفلات والأعراس، ويُتاجر بـ «الأنتيك»، وكان قد فتح قبل عام مقهى صغيرًا في محل قريب من سكنه يبلغ إيجاره شهريًا 1,200,000 ليرة. أصبح وضعه مستقرًا نوعًا ما، إلى أن أخبره صاحب المحل قبل أسبوع فقط بأنّ الإيجار في آخر أيار سيُصبح 120 دولارًا «بالدولار» أو بسعر صرف اليوم. «يُفضفِض» مصطفى بأنّ أمّه اعتادت على رغد العيش قبل الأزمة، وحتى اليوم هي غير متقبّلة للأمر الواقع، وترفض أن تقتصر مصاريفها على الضروريّات، وترفض حتى استبدال منتج بآخر أرخص. يصمت حائرًا وهو يوضّب ما تبقّى في المقهى من أدوات في صندوق، ويقول ضاحكًا من سخرية الموقف: «والله الناس رح تاكل لحم بعضها بالأيام الجايي، مش زعلان إنّي رح سَكّر القهوة، بس عم فكّر من هاللحظة كيف بدّي أمّن مصاريف إمّي الكثيرة؟ شو بتفرق عن الدولة وصاحب المحل؟ شو ما في رحمة».

على أرض المقهى صندوق مليء بعلب «المعسّل»، ولدى سؤاله عمّا إذا كان «نهريب»، ابتسم من دون أن يجيب. إذ أن وظيفته الأساسية في السّلك التابع له الابلاغ عن مثل هذه التجارات ومنعها!

التبعات النفسية

في دراسة أجرتها باحثتان في جامعة ميشيغان في الولايات المتحدة حول تعدد الوظائف والصحة النفسية لدى الأمّهات ذوات الدخل المنخفض ، أشارت إلى أن العمل في وظائف متعددة يرتبط بزيادة ارتفاع الإصابة بالاكتئاب وبزيادة عدم الرضا عن الحياة، وخاصّة لدى الأمّهات اللّواتي يعملن 45 ساعة أو أكثر في الأسبوع، ومع ذلك يجنين أرباحًا قليلة.

وهذا ما تؤكده مريم، وهي أم لولدين وموظّفة في النيابة العامة براتب يساوي 2,000,000 ليرة، إضطرّت للعمل في بيع الملابس «أونلاين» لتجني نحو 2,500,000 ليرة شهريًا. «مُتعب كتير التعامل مع الناس طول الوقت، وخاصّة عبر التلفون»، تقول مريم وعلامات الإرهاق ظاهرة على وجهها، وتتابع: «عم بوصل لوقت عم إفقد أعصابي من هالشغل، بس ما في حلّ تاني، زوجي كمان موظّف بالسلك العسكري ومعاشه انجا بكفّي لدفع اشتراك المولّد وتنكتين بنزين». وعند سؤالنا حول كيفية التوفيق بين العملين وأمور المنزل، أجابت: «قبل أزمة الدولار كان عندي مساعدة من الجنسية الأثيوبية بمعاش شهري 150 دولاراً، ومع هيك كنت إشعُر إنّي عم إركض طول اليوم. بتقدروا تتخيّلوا كيف حالي هيدي الأيام من دون مساعدة، ومع أعباء إضافية وعدم إستقرار ظروف البلد».

أنتجت الظّروف هذه أجواءً سلبيّة ومشكلات عائلية زوجيّة. وتقول المختصّة بالعلاج النفسي د. باسمة قبيسي «إنّ العسكريين هم ممثلو السّلطة على الأرض، والتّقليل من قدرتهم عبر انعدام المدّيات والانهيار المادي يؤدي إلى ضياع وتشتّت نفسي، وانعكاس سلبي على أسرهم يزعزع هرميّة المنزل». أمّا من لم يتزوّج فعليه - بإجماع العسكريّين - أن ينسى الفكرة من الأساس، لأنّ الأمر أصبح أكثر من مستحيل.

قد يُساعد مبلغ إضافي قدره مليونا ليرة شهريًا على سدّ جزء من الديون المتراكمة، أو دفع إيجار المنزل، أو تغطية فاتورة اشتراك المولّد الكهربائي. ولكن تحصيل هذا المبلغ يتطلّب وقتًا وجهدًا وتضحيات. ومن هنا يأتي السؤال: هل إيجابيّات العمل في وظيفة ثانية تفوق السلبيّات؟

وظيفة ثانية في الأقلام؟

يُعيّن بعض موظّفي القطاع العام كرؤساء اقلام في الدوائر الإنتخابية، إضافة إلى الهيئة الدائمة «هيئة الإشراف على الإنتخابات». وقد نصّت المادّة 16: «في الأعمال المحظورة» من قانون الإنتخاب (2017/44) على انه لا يجوز لرئيس واعضاء الهيئة القيام بأيّ عمل او نشاط يتعارض مع مهام الهيئة وحيادها. لكن، ماذا لو كانت لدى احد اعضاء الهيئة او احد رؤساء اقلام الاقتراع وظيفة ثانية في شركة تعود ملكيتها لاحد المرشحين الى الانتخابات مثلاً؟

المادة 15

من قانون الموظفين (112/59)

يحظر على الموظف ان يقوم باي عمل تمنعه القوانين والانظمة النافذة، ولا سيما:
- ان يمارس اية مهنة تجارية او صناعية او اية مهنة او حرفة ماجورة اخرى في ما عدا الحالات التي تنص عليها صراحة القوانين الخاصة: كالتدريس في احد معاهد التعليم العالي او إحدى مدارس التعليم الثانوي ضمن شروط تحدّد بمرسوم يُتخذ في مجلس الوزراء.
- او ان يكون عضوًا في مجلس إدارة شركة مغفلة او شركة توصية مساهمة، او ان تكون له مصلحة مادية مباشرة او بواسطة الغير في مؤسسة خاضعة لرقابته او لرقابة الإدارة التي ينتمي إليها.

المادة 52

-112/59

الاستيداع الوظيفي
هو ليس انقطاعًا نهائيًا عن العمل، وإنّما وضعية إدارية قانونية، يوضع فيها الموظف بطلب منه - في حالات خاصة حددها القانون حصرًا - حيث لا يفقد خلالها وظيفته، إنّما لا يستفيد من عدة حقوق مادية كالراتب، والتدرج، والتقاعد..
شرط ان لا تتجاوز مدة الاستيداع سنة قابلة للتجديد مرتين

إجراءات خجولة

في محاولة من الدولة لتخفيف الأعباء، وقّع الرئيس ميشال عون مراسيم تتعلّق بإعطاء مساعدة اجتماعية مؤقّتة للقطاع العام وتعويض نقل مقطوع للعسكريين:

1. المرسوم الرقم 8737 بتاريخ 28 كانون الثاني 2022، القاضي بإعطاء مساعدة اجتماعية مؤقّتة لجميع العاملين في القطاع العام مهما كانت مسمّياتهم الوظيفية والمتقاعدين الذين يستفيدون من معاش تقاعد. ونصّت المادة الأولى من المرسوم على أن: تحدد قيمة المساعدة بنصف راتب عن شهر تشرين الثاني ونصف راتب عن شهر كانون الأول 2021 وتحتسب على أساس الراتب أو الأجر أو المعاش التقاعدي من دون أي زيادة مهما كان نوعها أو تسميتها، وتُسدد على دفعتين متساويتين على أن لا تقلّ الدفعة الواحدة عن 1,500,000 ليرة لبنانية ولا تزيد عن 3,000,000 ليرة لبنانية.
2. المرسوم الرقم 8739 تاريخ 28 كانون الثاني 2022، القاضي بإعطاء تعويض نقل شهري مقطوع للعسكريين في الجيش وقوى الأمن الداخلي، والأمن العام وأمن الدولة، والضابطة الجمركية وشرطة مجلس النواب من مختلف الرتب بقيمة مليون و200 ألف ليرة لبنانية، يضاف إلى تعويض الانتقال اليومي المستحق للعسكريين.
3. المرسوم الرقم 8741 تاريخ 28 كانون الثاني 2022، القاضي بتعديل مقدار تعويض النقل المؤقت للعاملين في القطاع العام بحيث يصبح 64 ألف ليرة لبنانية عن كل يوم حضور فعلي.

إضافة إلى اعتماد نظام المداورة في العمل بالإدارات والمؤسّسات الرسمية بسبب جائحة كورونا، واستمرار العمل فيه بسبب ارتفاع سعر صفيحة البنزين، ممّا قلّص عدد أيام الدوام للموظّفين، الأمر الذي وفّر عليهم تكاليف النقل، ووفّر لهم الوقت للعمل في قطاعات أخرى.

تبقى هذه الحلول المؤقتة غير كافية، في ظل عدم ثبات سعر صرف الليرة مقابل الدولار، ويبقى السؤال: هل ستقوم الدولة بنص تشريع مؤقّت يسمح لموظّفيها بالعمل في وظائف أخرى ضمن أُطر يحددها وينظّمها القانون! مع ازدياد الخوف من تأثير تضارب المصالح الذي يعرّض مؤسّساتها وإداراتها إلى المزيد من الاهتراء، أم سيبقى عملهم الثاني عشوائياً و«من تحت الطاولة»؟

القوس

■ فريق التحرير: **عمر نشابة (المسؤول)، وفيق قانصوه، جنان الخطيب، صادق علوية، شفيق طبارة**
■ تصميم فني وإنفوغرافيك: **رامي عليّان**

alqaous al_qaous alqaous22 alqaous 01/34 99 54
info@alqaous.com www.alqaous.com